جامعة تكريت
كلية التربية
قسم التاريخ

دور المثقفين والمجددين في الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ - ١٩١١

رسالة تقدم بها

قحطان جابر اسعد ارحيم التكريتي

إلى مجلس كلية التربية - جامعة تكريت

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

بأشراف

الأستاذ الدكتور

إبراهيم سعيد البيضاني

٢١ شعبان ١٤٢٦ هـ ٢٥ أيلول ٢٠٠٥م



﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ ﴾

صدق الله العظيم

سورة آل عمران الآية ١٣٧ - ١٣٩

الإهداء

إلى روح أخي الشهيد النقيب محمد جابر اسعد

وفـــاءا لدمه الطاهر ...

إلى والدي المرحوم...

عــرفــانـــــــا ...

إلى والدتي الحنون ...

حـــبــــــــا ...

إلى أخواني وأخواتي ، زوجتي وأولادي ...

وفـــاءا وتقـــديرا ...

أهديكم جهدي بكل تواضع.

الباحث

.

شكر وتقدير

من أولى الواجبات وبعد الانتهاء من كتابة الرسالة ، لايسعني الا ان اقدم جزيل شكري ووافر امتناني إلى أستاذي الفاضل الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني ، لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة ، اذ لم يدخر جهدا في الاخذ بيدي في سبيل انجاز رسالتي من خلال توجيهاته العلمية وارشاداته المستمرة .

ولزاما علي ان اتقدم بالشكر والعرفان الى أساتذتي في المرحلة التحضيرية وهم الاستاذ المساعد الدكتور محمود عبد الواحد القيسي والاستاذ المساعد الدكتور صالح حسين الجبوري والاستاذ المساعد الدكتور مؤيد محمود المشهداني والاستاذ المساعد الدكتور توفيق خلف السامرائي والاستاذ المساعد الدكتور سلمان خيري الحديثي والاستاذ المساعد محمد يوسف القريشي .

كما اتقدم بالشكر الخاص الى كل من الاستاذ الدكتور كمال مظهر احمد والاستاذ الدكتور خليل علي مراد والاستاذ الدكتور علي خضر المشايخي لدورهم في الارشاد والتوجيه واعارتي المصادر الخاصة بموضوعي .

كما لا أنسى دور مسؤولي وموظفي المكتبات الذين سهلوا علي توفير المصادر اللازمة في ظروف كانت معظم مكتباتنا يعمها الخراب والتلف والنهب نتيجة للاحتلال الامريكي ، واخص بالذكر المكتبة المركزية ومكتبة اللغة الفارسية بجامعة بغداد ومكتبة الوفاق الوطني والمكتبة المركزية ومكتبة كلية التربية بجامعة تكريت ، واخص بالشكر العاملين في المركز الثقافي للدراسات الاسلامية وعلى رأسهم الشيخ الدكتور علي البغدادي الذي وفر لي المصادر والوثائق الفارسية المهمة التي تفتقد اليها مكتباتنا .

واسجل عذري مسبقا لكل من فاتني ان اذكره من أصحاب الفضل ومد يد العون وفقهم الله جميعا لخدمة المسيرة العلمية ، والله من وراء القصد .

الباحث

المحتويات

المقدمة

المقدمة ـ نطاق البحث وتحليل المصادر

كانت إيران وما زالت محط أنظار السياسيين لأهمية موقعها الاستراتيجي ، ودخلت في اهتمام المؤرخين ، وكتب عنها الكثير من البحوث والدراسات ، ولكن المؤسف له انه حجم ما كتب عنها في كتابات العراقيين والعرب ضئيل قياسا لتلك الأهمية وجاءت معظم الكتابات محاباة ومجاراة للأهداف السياسية التي سادت حكومات المنطقة ، فجاءت تلك الكتابات ناقصة للموضوعية والعلمية (باستثناء بعض الدراسات الرصينة التي انطلقت من رحاب جامعة بغداد وبأشراف ومباركة الأستاذ الفاضل الدكتور كمال مظهر احمد) .

ويوما بعد يوم تزداد أهمية إيران كرقم مهم في المعادلة السياسية لدول المنطقة مما يتطلب التوسع في دراسة تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، للوقوف على نقاط القوة والضعف في العلاقات التي تحكم تلك الدول مع إيران .

عدت الثورة الدستورية كأبرز حدث في تاريخ إيران الحديث والمنطقة خلال بدايات القرن العشرين ، لأنها اللبنة الأولى في الحياة السياسية البرلمانية لإيران والمنطقة فكان من الواجب دراسة دور القائمين والمؤثرين في هذا الحدث المهم ، ألا وهو دور المثقفين والمجددين من رجال الدين المدعومين من التجار ووجهاء المجتمع والنبلاء و الأشراف .

وحددت الرسالة مدة زمنية انحصرت بين ١٩٠٥م سنة قيام الثورة وبداية تفاعلاتها السياسية والاجتماعية داخل المؤسسة السياسية والمجتمع ، لتصل إلى عام ١٩١١م حيث الانتكاسة وعودة الرجعية والاستبداد ، لتحكم إيران ثمانية وستين عاما حكما ملكيا مطلقا .

تألفت الرسالة من مقدمة و أربعة فصول وخاتمة ، تضمن الفصل الأول مبحثين ، جاء المبحث الأول مستعرضا الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال القرن التاسع عشر ، أما المبحث الثاني فتناول النفوذ الأجنبي في إيران خلال نفس المدة ، والدور الذي أداه الروس والبريطانيين في حياة إيران السياسية الخارجية والداخلية .

وعني الفصل الثاني بدراسة العوامل التي أدت إلى قيام الثورة التي طالبت بالدستور، وقسم الفصل إلى ثلاثة مباحث جاء الأول تحت عنوان العوامل الداخلية المؤثرة في قيام الثورة ، والثاني : العوامل الخارجية المؤثرة في قيام الثورة والثالث وضح الأسباب المباشرة لقيام الثورة والدخول في أحداثها .

ووصولا إلى مرحلة قيام المجلس الوطني – البرلمان – والدور الذي أداه المثقفون والمجددون في رسم اتجاه الثورة وتأثيرهم على القرارات والسياسات ، وهذا ما فصله

الفصل الثالث ، أما الفصل الرابع فقد عالج موضوع عودة الاستبداد وسيطرة الشاه على مقدرات البلاد السياسية بعد ضرب المجلس الوطني بالمدفعية وحل المجلس وتناول الفصل كذلك مرحلة الانتعاش في الحياة البرلمانية بعد فتح طهران ، ثم الانتكاسة التي أصابت الثورة نتيجة للضغوط الخارجية وعودة الرجعية بكل قوتها وانشغال قادة الثورة بمشاكلهم ، وتصفية الحسابات فيما بينهم ثم جاءت الخاتمة لتعطي وصفا عن التساؤلات والإجابة عما تضمنته الرسالة.

واجهت الباحث عدة صعوبات خلال مدة إعداد الرسالة ، منها الصعوبات التي نجمت عن ظروف الاحتلال الأمريكي للعراق وما تبعها من تداعيات أمنية ونهب وحرق لأغلب المكتبات العراقية وفقدان معظم المصادر المهمة ، فضلا عن إن مكتباتنا كانت بالأصل تفتقر إلى المصادر الفارسية المهمة وما موجود منها باللغة العربية فهو غث لا يسمن ولا يخدم الباحثين إلا بما موجود من اسطر شاردة بين دفات الكتب التي غلب عليها الطابع السياسي الضيق والإعلامي .

اعتمدت الرسالة على مجموعة من الوثائق والمصادر ، ساعدت على تغطية متطلبات الرسالة ، وشملت المصادر على المجموعات الآتية :

أولا : الوثائق المنشورة والتي تضمنت المراسلات بين الوزير المفوض البريطاني لدى طهران مع حكومته وبعض تقاريره عن أحداث الثورة .

ثانيا : المصادر الفارسية : التي استفاد الباحث منها بشكل مباشر بحكم إلمامه باللغة الفارسية وقواعدها ، ولان بعض المصادر جاءت لمؤرخين عاصروا الثورة واشتركوا في أحداثها و أرخوا لها أمثال المؤرخ المشهور احمد كسروي تبريزي في كتابه تاريخ الثورة الدستورية ومحمد ناظم الإسلام كرماني في كتابة تاريخ بيداري إيرانيان (تاريخ يقظة الإيرانيين) ، كما جاء كتاب الدكتور مهدي ملكزادة تاريخ انقلاب مشروطيت إيران (تاريخ الثورة الدستورية الإيرانية) بأجزائه السبعة ، مع الاستعانة بالكتابات الحديثة التي صدرت عن تاريخ إيران مثل إصدارات المؤرخ فريدون أدميت و ايرج افشار وسيد جلال مدني ومحمد إسماعيل رضواني ومحمد حسن الهروي الخراساني وغيرهم .

ثالثا : المصادر العربية والمعربة ، فقد اعتمدت الرسالة كتابات مؤرخين وأساتذة أفاضل اغنوا الدراسات الأكاديمية بكتب و أطاريح تناولت جوانب عديدة من تاريخ إيران مثل كتابات الدكتور كمال مظهر (دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر) ، وطلال مجذوب في كتابه (إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ١٩٠٥ ـ ١٩٧٩)

والدكتور محمد كامل عبد الرحمن الربيعي (سياسة إيران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١-١٩٤١) والدكتور اسعد محمد زيدان الجواري (سياسة إيران الخارجية في عهد احمد شاه) . ومن الكتب المعربة التي اعتمدت عليها الرسالة كتاب المؤرخ اروند ابراهيميان (إيران بين ثورتين – المجلد الأول) إسماعيل رائيين (الماسونية في إيران) علي رزم ارا (جغرافية إيران السياسية) ، وكتاب جون غوردن لوريمر (دليل الخليج) في القسم التاريخي ، و دنالدولبر (إيران ماضيها وحاضرها).

رابعا : المصادر الأجنبية : من المصادر التي اعتمدتها الرسالة الكتب المختصة بشؤون إيران Nikki R.Kidde , Roots of Revolution وما كتب عن تاريخ إيران في كتاب Iran Revolution و M.Chehregani و British Intervention in the Persia Revolution و Klein والكتاب القيم الذي جاء عن أحداث بعثة شوستر المالية في سنوات ١٩١٠/١٩١١ Robert A.McDaniel , The Shuster Misson و أخص بالذكر هنا كتابات المؤرخ البريطاني إدوارد براون E.G.Browne الذي عاصر أحداث الثورة الدستورية و أرخ أحداثها بكل دقة واصبح من اهم الكتاب الغربيين المختصين بتاريخ ايران، هناك مصادر أجنبية جاءت على شكل بحوث أو دراسات في كتب أو مجلات أو صحف .

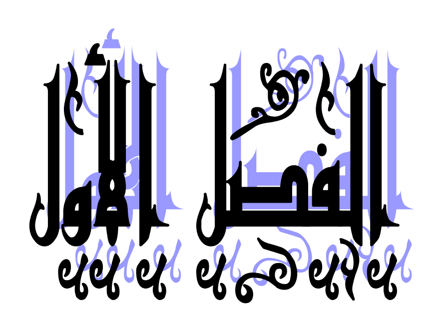
خامسا : الرسائل و الأطاريح الجامعية : إضافة إلى الرسائل الجامعية باللغة الفارسية التي اعتمدناها مثل رسالة الباحث كورش صالحي (تمركز وعدم تمركز در حكومت قاجار) وبايش جبار زيارة (زن در شعر محمد تقي بهار ملك الشعراء) ، فهناك رسائل جامعية كتبت لدراسة جانب من جوانب تاريخ إيران في تلك الفترة مثل رسالة الباحثة فوزية صابر محمد (ايران بين الحربين العالميتين تطور السياسة الداخلية ١٩١٨-١٩٣٩) والباحثة سميرة عبد الرزاق العاني (العلاقات الإيرانية الألمانية منذ أواخر القرن التاسع عشر – ١٩٣٣) واخص بالذكر اطروحة الدكتوراه للباحث محمد كامل محمد عبد الرحمن (الفلاح الايراني في العهد البهلوي ١٩٢٥-١٩٧٩) والباحث فوزي خلف شويل في مرحلة الماجستير (إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى) وفي الدكتوراه (تغلغل النفوذ الأمريكي في إيران ١٨٨٣ – ١٩٢٥) ورسالة الباحث محمد طه علي الجبوري (تاريخ الحزب الشيوعي الإيراني ((تودة)) ١٩١١-١٩٦٣) وغيرها من الاطاريح التي عالجت جوانب مهمة من تاريخ إيران في القرنين التاسع عشر والعشرين .

سادسا : الدوريات : قدمت الدوريات الفارسية والعربية والأجنبية دراسات واسعة ومعمقة حول تاريخ إيران والثورة الدستورية ، وتم الاعتماد عليها لاغناء الرسالة بمعلومات سدت كثير من النقص في المعلومات ، واذكر منها على سبيل المثال : البحث المنشور للدكتورة فوزية صابر محمد (دور المثقفين في الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٥-١٩١١) وبحثي الأستاذ الدكتور طاهر البكاء (من تاريخ الحياة البرلمانية في إيران) و (بعض من ملامح الثورة الدستورية ووقائعها) .

أما مجلة : International Journal of Middle East Studies فكانت غنية ببحوثها عن إيران ولاسيما أن هذه البحوث لكتاب ومؤلفين ذوي سمعة علمية عالية مثل Hamid Algar ، Julian Bhariery ، Ahmed Seyf ، N.Keddie، E.Abrahamian .

اقف هنا لأسجل تقديري وثنائي للجهود الكبيرة والمتابعة المستمرة التي أبداها الأستاذ الدكتور إبراهيم البيضاني ، منذ بدء إشرافه على الرسالة وحتى إنجازها لئلا تقع في نقص أو خطأ ، وجاءت جهوده ومتابعته رغم مشاغله الكثيرة ، لكنه لم يبخل بآرائه وتوجيهاته العلمية القيمة ، فله كل التقدير والامتنان و أرجو أن يكون هذا الجهد قد عالج جانبا من جوانب تاريخ إيران الحديث، وان يكون لبنة متواضعة في صرح المعرفة التاريخية ، متطلعون بكل ثقة إلى ملاحظات أساتذتي رئيس وأعضاء لجنة المناقشة ، والله نسأل سواء السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير .

الباحث



اوضاع ايران خلال القرن التاسع عشر

المبحث الأول
الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إيران
في القرن التاسع عشر

كان المجتمع الإيراني في القرن التاسع عشر يتكون من أربع طبقات ، تتربع الطبقة الأرستقراطية أعلى قمة الهرم السكاني وتضم كبار ملاكي الأراضي الزراعية ، وسلالة الحكام القاجاريين *، والأمراء الملكيين ، ورجال البلاط ، و أصحاب الإقطاعيات الواسعة والوزراء الملكيين، ومعهم حكام الأقاليم وموظفو الدولة وجميع تلك الفئات تمثل النخب المركزية من الطبقة الأرستقراطية الإيرانية (1).

ويشكل تجار المدن، وملاك الأراضي الصغار، و أصحاب الحوانيت، والمشاغل الحرفية أهم ركائز الطبقة الوسطى الإيرانية وهي التي تلي الطبقة الأرستقراطية في الأهمية الاجتماعية والاقتصادية وقد ارتبطت هذه الطبقة برجال الدين ووعاظ المساجد ، وقد اصبح من العسير اجتماعيا فصل البازار عن المسجد ،بينما ضمت الطبقة الثالثة في السلم الاجتماعي الإيراني كسبة المدن عامة من: حرفيين وإجراء ، وعمال البناء، والمصانع والحمالين وهؤلاء جميعا أصحاب دخل ثابت غير انهم أعلى دخلا من غالبية سكان الريف، وجماهير القبائل، والمعدمين من الفلاحين، والبدو، وهم يعدون الطبقة الدنيا والأخيرة في نسيج المجتمع الإيراني(2) .

ويوصف المجتمع الإيراني بأنه مجتمع إقطاعي عشائري قائم على نظام الولايات (3)،إذ الفت إيران ** مجموعة ولايات ، تسمى الممالك الإيرانية المحروسة ، و نظامها

---

* القاجاريون : رغم اختلاف المؤرخين في أصلهم إلا انهم من سلالة قاجار نوبان أحد أمراء المغول وهم إحدى القبائل التركية السبع وكانوا يقطنون الشاطئ الجنوبي الشرقي من بحر قزوين . انظر : كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، ط١٠، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٦٥٦ .

١- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (١٩٠٦-١٩٧٩) ، مجلة عطاء المعرفة ،السلسلة ٢٥٠ ، الكويت ١٩٩٩ ، ص ١٠.

٢- المصدر نفسه ، ص ١٥.

٣- داريوش قمري ، تحولات ناسيوناليسم در إيران (١٣٢٠ هـ – ١٣٣٢ هـ) ، جاب أول ، مركز إسناد انقلاب إسلامي ، تهران ١٣٨٠ هـ . ش ، ص ٣٥ .

** إيران وبلاد فارس اسمان مترادفان ، وكلمة إيران تعني ((موطن الآريين)) وتسمية البلاد باسم فارس من قبل تسمية الكل باسم البعض حيث توجد مقاطعة فارس في جنوب إيران ، وفي ٢٢ / آذار / ١٩٣٥ اصبح الاسم الرسمي للدولة إيران . انظر : صالح محمد صالح العلي ، التاريخ السياسي لعلاقات إيران بشرقي الجزيرة العربية في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥ – ١٩٤١ ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، شعبة الدراسات الفارسية ٧٤ ، البصرة ١٩٨٤ ، ص١٧ .

اقرب ما يكون إلى النظام الاتحادي [1] .

وقد شيد صرح إيران الاجتماعي على حكم الملك المطلق الذي يشد أزره الأعيان الإقطاعيون الذين كان يطلق عليهم منذ عهد الاخمينين لقب الولاة وهم مرتبطون اسميا بالحكومة المركزية ، فكانت الولايات تدار من قبل حكام انتماءاتهم محلية ومدعومين من قبل قبائلهم ورجالاتهم .[2] وقد ظلت سلطة حكام الولايات - ملاكي الأراضي من الإقطاعيين- قوية إلى عهد متأخر ولاشك إن إخضاع الحكام المحليين للسلطة المركزية كان عاملا مهما في الانحطاط الاقتصادي الذي أصاب البلاد بسبب جباية الضرائب التي انتزعت من الولايات [3] .

وللنظام القبلي أسلوب سياسي واجتماعي خاص به إذ يتصدر شيوخ القبائل الحياة السياسية والاجتماعية يساندهم ملاك الأراضي والأعيان ، فيما أستقر الفلاحون والبدو في القاعدة زيادة على ذلك مارس شيوخ القبائل دورا سياسيا مهما فكانوا يمثلون طوائفهم مع السلطة الحاكمة في العاصمة ومع القبائل الأخرى ، كما قاموا بدور القاضي في فك المنازعات وتقسيم الضرائب على السكان . [4]

وعلى الرغم من أن إيران بلد متعدد القوميات * ، إلا إننا لا نجد انعكاسا لهذا الطيف القومي على النظام السياسي ، إذ كانت إيران حتى آب عام ١٩٠٦ م ترضخ لحكومة مستبدة مطلقة وكانت إرادة الملك هي السائدة في كل مكان من خلال رئيس الوزراء والوزراء .[5]

كما شارك تنوع اللغات في الانغلاق على الذات فيما بين أصحاب اللغة الواحدة والعرق الواحد ، وساعدهم على ذلك اختيار الأقاليم الخاصة بسكانهم داخل الدولة الإيرانية واصبحوا شبه دويلات داخل دولة الواحدة ، فعاش الفرس وقبائل البختيارية و القشقائين ، والعرب و اللريين في الهضبة المركزية ، وتوزعت مجموعات من البلوش

١- دونالدولبر،إيران ماضيها و حاضرها ، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين ، إبراهيم أمين الشواربي ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص١ ؛ مجلة همشهري ، تهران ، شمارة ٣٤٥ ، سال ١٣٨٠ هـ ، ص ٩ .
٢- دونالدولبر ، المصدر السابق ، ص١٠٩.
٣- المصدر نفسه ، ص١١٠ .
٤- آمال السبكي ، المصدر السابق ، ص١٢.
* حيث يشكل الفرس ٥٠% والأتراك ٢٥% الأكراد ١١% العرب ٨% التركمان ٣% البلوش ٣% .
للتفصيل راجع : The Cambridge Atlas of the Middle East and The world Africal 1987 , P. 39.
٥ - علي رزم ارا ، جغرافية إيران السياسية ، مركز البحوث والمعلومات ، سلسلة الكتب المترجمة ١٧٧ ، بغداد ، د.ت ، ص ١٢٣ .

والافشار والعرب في الصحارى الجنوبية الشرقية ، وعاشت في المناطق الشمالية الغربية قبائل الشهسوان والأكراد ومعهم الأرمن والآشوريون المبعثرون في قرى صغيرة ، وانتشر التركمان والتيموريون والبلوش والطاجيك والجمشيديون في المناطق الشمالية[1].

تشكل نسبة المسلمين إلى مجموع السكان العام ٩٠% في وقت كان سكان إيران يبلغ العشرة ملايين في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر * ، وتبلغ نسبة الشيعة ٨٨% حيث يشكل السنة الذين هم من الأكراد والعرب والبلوش والتركمان مع باقي الأديان الأخرى النسبة الباقية [2].

وخلال القرن التاسع عشر نمت في المذهب الشيعي طائفتان رئيسيتان : النعمتيون والحيدريون ، الأولى اخذ اسمها من أمير نور الدين نعمة الله ، وهو ناسك صوفي وحفيد الإمام الخامس ، الثانية اخذ اسمها من سلطان الدين حيدر ، وهو ناسك صوفي من أحفاد الصوفيين ، وبالإضافة إلى هذه المجموعات كانت الطائفة الإسماعيلية التي تعتقد ان الخلافة في الخط الشيعي كانت يجب ان تمر من خلال الابن الأصغر للإمام موسى بن جعفر ((الكاظم)) عليه السلام [3] .

ولكن مع هذه الاتجاهات بقيت الشيعة الأمامية هي السائدة في المجتمع الإسلامي الإيراني وتتبع سلطة المجتهدين المؤمنين بمفهوم التقليد مع الإيمان الكامل بمبدأ ظهور المهدي المنتظر* .

١- اروندابراهيميان ، إيران بين ثورتين ، العدد٢٢ ، المجلد الأول ، مطبعة جامعة برنستون ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ١٩٨٣ ، ص١٥.

* يعد هذا الرقم رقما تقريبيا ، إذ كان سكان إيران في عام ١٩٠٠ م وضمن إحصائية موثقة هو تسعة ملايين وثمانمائة وستون ألف نسمة ٩.٨٦٠.٠٠٠ . للتفصيل عن الإحصائيات انظر :

Julian Bharier , The Growth of Towns and Villages in Iran . 199 – 66 , International Journal of Middle East Studies , Vol 8 , No1 , January 1972 , P.52 ;

عبد علي الخفاف ، الخصائص السكانية لهرم السكان في إيران ،مجلة دراسات إيرانية ، مركز الدراسات الإيرانية ، جامعة البصرة ، المجلد الأول ، العدد الأول، ١٩٧٨ ، ص٩٣ .

٢- مرتضى اسعد ، تشيع درجهان امروز ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع : www.imamalinet.net/pscd

٣- أر وند ابراهيميان ، إيران بين ثورتين ، المصدر السابق ، ص١٧.

* المهدي المنتظر : هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة ابن الإمام الحسن العسكري ((ع)) المولود في النصف من شعبان عام ٢٥٥ هـ ، وقد اختفى في المرة الأولى (الغيبة الصغرى) سنة ٢٦٦هـ ، وكان فيها يجيب على أسئلة الاتباع بواسطة علماء أربعة عينوا لهذا الغرض تباعا ويسمون ((السفراء)) وهم : أبو عمر عثمان بن سعيد العمري ، ومحمد بن عثمان العمري ، والحسين بن روح النوبختي ، وعلي بن محمد السمري المتوفي سنة ٣٢٩ هـ، إذ كان عمر الإمام آنذاك أربعة

أما الاقليات غير المسلمة فهي التي بقيت على دياناتها مع إكمال الفتح الإسلامي للإمبراطورية الساسانية أبان عهد الخلافة الراشدة ، وتشتمل على مائة وعشرة ألف ١١٠.٠٠٠ من الأرمن الذين يعيشون بالقرب من اصفهان، وطهران، وتبريز، وهمدان، واراك ومائة وثمانية وثلاثون ألف ١٣٨.٠٠٠من الآشوريين من النساطرة والكاثوليك ومتمركزين في غربي أذربيجان واثنا وثلاثون ألف ٣٢.٠٠٠ يهودي يعيشون في المدن الرئيسة وعشرون ألف ٢٠.٠٠٠ من الزرداشتين ** وهم أقلية من الدين الإيراني القديم ويتمركزون في كرمان ،ويزد، واصفهان، وطهران [١] .

لقد يسرت الأوضاع الاجتماعية مهمة القاجار في إحكام السيطرة على الشعب بتبني حسابات قائمة على مبدأ سياسي قديم جديد هو فرق تسد وخلق الغيرة والتنافس بين الجماعات المختلفة للحصول على الحظوة لدى السلطة ، فاستغلوا ديمومة الخلافات القبلية كأدوات لسياسة الدولة القائمة على الاستبداد [٢].

لم يكن نظام الحكم في إيران في القرن التاسع عشر يختلف اختلافا كبيرا عن أنظمة الحكم في المنطقة والتي تحكم بالحكم الفردي ، فالشاه كان الحاكم المطلق في كل شؤون البلاد وقد جاء في وصف ثرائه ((**انه من أغنى ملوك الأرض وقد اختلف المقدرون في**

وسبعين عاما على حد اعتقادهم ، قضى منها تسعة وستين سنة ونصف في الغيبة الصغرى ، وقبل وفاة السمري بدأت الغيبة الكبرى التي يعتقدون إنها ستمتد إلى أن يؤذن للإمام بالظهور . نقلا عن : فيصل عبد الجبار عبد علي، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في إيران ١٥٠١ – ١٩٠٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز دراسات العالم الثالث ، جامعة بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٥٣.

** الزرداشتية : ديانة انتشرت في بلاد فارس في القرن السادس قبل الميلاد تؤمن بالتثنية أي وجود اله الخير ((اهرمزادة – Oramazd)) واله الشر ((اهرمين – Aneamingu)) . وكتابهم الافستا المقدس مع شرحه المسمى ((زندافستا))وبقيت الزرداشية قائمة في إيران حتى الفتح الإسلامي لها في عام ٦٥٢ م ، إذ أطلق العرب المسلمون على من يؤمن بهذا الكتاب ويتظاهر بالإسلام اسم ((زنديق)) . انظر : احمد أمين ، فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص١٠٠ .

١- اروندابراهيميان ، إيران بين ثورتين ، المصدر السابق ، ص١٧ .
كذلك راجع خارطة إيران الإدارية للتعرف على توزيع المدن الرئيسة .

2-Ann Lambton , Persian Society under the Qajars , Journal of the Royal Central Asian Society , Vol.48 1961 , P.123 .

ثمن ما عنده من الجواهر والحلي فقال بعضهم إنها تساوي خمسة عشر مليونا واوصلها بعضهم إلى خمسين مليونا من الجنيهات))[1] .

وكان الحكم وراثيا في العائلة القاجارية شأنها بذلك شأن السلالات السابقة التي حكمت إيران كالساسانية، والصفوية، والزندية، والافشارية ، ولم ينتقل الحكم من عائلة إلى أخرى إلا بإسقاط حكم السلالة بكاملها عبر الحروب .

فالشاه هو الملك المطلق الذي لا يسأل عما يعمل [2]. وكان نظامه السياسي امتدادا للحكومات المستبدة التي حكمت على مدى آلاف الأعوام ووظيفته هي وضع القوانين وتنفيذها والعمل بها [3] .وقد حكم إيران سبعة ملوك * أهمهم ناصر الدين شاه وذلك لطول فترة حكمه وهي خمسين عاما امتدت من عام ١٨٤٨ حتى عام ١٨٩٦ ، وكان ملكا مستبدا محبا لنفسه ، متسترا بالدين وشعاراته ، محبا للإصلاحات والتغيرات التي تخدم استقرار حكمه وسلطانه ، معتبرا نفسه خليفة المسلمين الشيعة وانه ظل الله في الأرض ، ويحكم بتفويض الهي .[4]

وكان الشاه لا يتوانى عن التضحية بممتلكات دولته من اجل الحفاظ على عرشه ، كما حدث مع فتح علي شاه الذي ضيع القفقاس ، ومحمد علي شاه عندما ضيع هرات ، زيادة على أن ناصر الدين شاه الذي فقدت إيران في عهده ولاياتها الشمالية الشرقية حتى نهر جيحون وأفغانستان وبلوجستان [5] . حتى إن الملوك القاجاريين فرطوا بالميراث القومي لإيران وذلك بإعطاء الامتيازات للبعثات الاثارية الأجنبية وخاصة الفرنسية التي قامت بنهب قسم عظيم من الآثار القومية لإيران ، كما قام الشاه وكبار المسؤولين بالتفريط

١- ناصر الدين شاه ،مجلة المقتطف ، القاهرة ، الجزء السادس ، السنة العشرين ، يوليو ١٨٩٦ ، ص٤٠٣.

٢- مملكة إيران بين انكلترة وروسيا ، مجلة الهلال ، القاهرة ، الجزء الخامس ، السنة العشرين ، فبراير ١٩١٢ ،ص٢٦٢ .

٣-علي اصغر شميم ، ايران در دورة سلطنة قاجار قرن سيزدهم ونيمة اول قرن جهاردهم، جاب دوم، انتشارات زرياب ، تهران ١٣٧٩ هـ ، ص٣٢٧ .

* حكم هؤلاء الملوك منذ ١٧٩٥م ولغاية ١٩٢٥م وهم على التوالي :- اغا محمد القاجاري ١٧٩٥م – ١٧٩٧م فتح علي شاه ١٧٩٧م – ١٨٣٤م محمد شاه ١٨٣٤م – ١٨٤٨م ناصر الدين شاه ١٨٤٨م – ١٨٩٦م مظفر الدين شاه ١٨٩٦م – ١٩٠٧م محمد علي مرزا ١٩٠٧م – ١٩٠٩م احمد شاه ١٩٠٩م – ١٩٢٥م . انظر : عليرضا اوسطي ، إيران در سه قرن كذشته ، جلد أول ، انتشارات مركز إسناد انقلاب إسلامي ، تهران ١٣٧٩ ،ص٢٠٢ .

٤-المصدر نفسه ، ص٢٠٩.

٥-علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص٣٣٨ .

بهذه الآثار وذلك بإعطائها كهدايا إلى السفراء الأجانب ، وبيع قسم منها لتغطية نفقات ومصاريف البلاط الباهظة (١).

كل هذه السلبيات بحق ممتلكات البلاد ، دفعت البعثات الأجنبية للتوافد على إيران لغرض التنقيب والنهب ، و أول هذه البعثات هي البعثة الإنكليزية برئاسة وليام اوزلي (W.Ozly) ومن ضمن ما سرقته البعثة آثار جمشيد، و شاهبور المحفوظة الآن في المتحف البريطاني (٢) . كان البلاط الإيراني يعج بالمشاكل نتيجة اعتماد السياسات غير المدروسة والفردية التي لا تخدم الفئة الواسعة من الشعب الإيراني ، فالصراعات داخل البلاط على اوجها ، زيادة على التدخلات في شؤون الحكم من قبل أفراد العائلة أو تأثيرها على قرارات البلاط(٣) . والتنافس بين الاخوة حول العرش مثل طموح ((ظل السلطان))* ابن الشاه لتسلم مقاليد الحكم بأسلوب الولاءات السياسية وتدبير المؤامرات بين رجال الحكم (٤) . حتى انه تحالف مع الداعية والمفكر الإسلامي جمال الدين الأفغاني ** في الدعوة للأصلاح والرقي بأوضاع البلاد ، خلال زيارة الأفغاني لأصفهان عند ولايته عليها(٥)، مما أثار حفيظة الشاه فعزله عن مناصبه بناء على تقرير من الجنرال فاكنر (Vagnar) وهو ضابط نمساوي كان يعمل مستشارا في الجيش بعد أن ذهب إلى أصفهان

١-رشيد كيخسروي ، دوران بي خبري ياغارت اثار فرهنكي ايرانيان ، ناشر نويسندة، تهران بي تا، ص٢٤ .

٢- المصدر نفسه ، ص٢٦ .

٣-جورج كرزن ، ايران ومسالة ايران،ترجمت غلا معلي وحيد مازندراني، جلد اول،جاب اقبال ، تهران ١٣٦٧هـ،ص٥٤٥ .

* ظل السلطان : واسمه مسعود ميرزا ابن الشاه ناصر الدين ولكنه من أم ليست من العائلة المالكة ، ولد في طهران ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م ، ولهذا لم يصبح وليا للعهد ، وفي عمر ١٣ عاما أي في عام ١٨٦٢م بدا بتولي المهمات الرسمية والعمل في البلاط . تزوج وعمره ١٧ عاما أي في عام ١٨٦٥م ، نال لقب ظل السلطان من أبيه الشاه وتقلد حكم ولايات اصفهان وفارس ولرستان وخوزستان وكردستان وغيرها من الأقاليم ، كان طموحه واسعا ليس في ولاية العهد و إنما في حكم كل إيران تقلب في ولائه بين الإنكليز والروس ، في أواخر عمره اعتزل السياسة وفضل العزلة وذلك في بداية الحرب العالمية الأولى ، في عمر ٧٠ عاما أي في عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٨م توفي في منزله بمدينة مشهد ودفن هناك . راجع : المصدر نفسه ص ١٧٥.

5 -ANN Lambton , Op.cit , P.124 .

**الأفغاني : جمال الدين بن صفدر ، المولود في مدينة سعد آباد سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٩م كان تعليمه الأولى في مدينة كابل الأفغانية ، ثم بدأ السفر عند بلوغ الثامنة عشر ، فأخذ من العلوم الأوربية وأساليبها ، تنقل بين العواصم الأوربية والإسلامية ، نادى بالوحدة الإسلامية من خلال الجامعة الإسلامية ، توفي بمرض السرطان عام ١٨٩٧م في الاستانة. انظر: احمد أمين ، زعماء الإصلاح الحديث ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت، ص ٩٦.

٥- جورج كرزن ، المصدر السابق ، ص٥٤٦ .

لتفقد الجيش هناك ، إذ كتب فيه ((**إن ظل السلطان أخو الشاه لا ينقصه من مستلزمات الملوكية إلا التاج والعرش**)) [١] .

لقد سيطرت على مجمل علاقة البلاط بالشعب مجموعة مميزات ظلت قائمة طيلة الخمسين عاما لحكم ناصر الدين شاه منها : إن الشعب مشروع ضريبي موجود إلى الأبد لتقديم كل شيء من اجل الجهاز الحاكم ، ولذلك بقى الفقر المدقع هو الصفة العامة لعموم الشعب ، وكذلك شيوع روح النفاق والتملق على كافة المستويات ، إذ أصبحت هذه الروح هي السائدة ، فالشاه يخاطب بـ ((**قبلة العالم أرواحنا فداه ـ أتبرك بتراب قدميك الأقدس الملكي ـ صاحب حق التصرف في كل إيران ، ومقسم الأرزاق علينا نحن العبيد**))[٢].

على الرغم من قدم الحضارة والثقافة الإيرانية ، إلا إن المجتمع الإيراني بقى في العهد القاجاري مجتمعا يعيش بمفاهيم القرون الوسطى ، فقد قاربت نسبة الأمية بين صفوف الإيرانيين بحدود ٩٧% وكانت النسبة الباقية تجيد فقط القراءة والكتابة إلا نفر قليل قد درس آداب وفنون وثقافة الغرب [٣] .

وفي زمن ناصر الدين شاه حلت الأوبئة وكان عددها خمسة أوبئة آخرها عام ١٣١٠ هـ ــ ١٨٩٢ م وبين الأعوام ١٨٦٠م ــ ١٨٧١م كان الجرب يجتاح إيران كل سنتين وكان يرافقه الفقر والجوع ، وفي الوقت الذي كان فيه عدد سكان إيران يبلغ العشرة ملايين في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع توفي منهم في قحط عام ١٨٧١م ما يقارب المليون نسمة ، وفي مقاطعة كيلان وحدها أتت على وفاة نصف سكانها [٤] علما إن متوسط الأعمار كان ثلاثين عاما فقط [٥] .

كانت الدولة القاجارية مسيطرة على المجتمع ليس بسبب قوتها ولكن بسبب ضعف المجتمع الملحوظ ، فقد كانت الحكومة تحصل على معظم عائداتها من الضرائب على

---

2 -Lambton , Op.Cit , P 126 .

٢- ينظر إلى :- مجموعة إسناد ومدارك جاب نشده در بارة سيد جمال الدين مشهور بأفغاني ، جمع وترتيب اصغر مهدوي وايرج افشار ، مؤسسه فرانكلين ، تهران ١٣٢٣ ، ص ١٢١؛ إبراهيم صفائي ، إسناد بر كزيده إسناد سياسي قاجارية، إنتشارات أمير كبير، تهران ١٣٧١هـ، ص ٨.

٣- يوسف هادي ، منهج التحريض السياسي عند الأفغاني ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت)الموقع :

www.google.com

٤- رشيد كيخسروي ، المصدر السابق ، ص٢٩ .

٥- محمد رضا بهلوي ، مذكرات شاه إيران المخلوع محمد رضا بهلوي ، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨١ ، ص ١٨.

الأرض والماشية والدكاكين والبيوت [1]. إذ كانت المهمة الرئيسة للحكومة في ذلك الوقت هي تدبير المال اللازم للمصروفات العامة، والاحتياجات الخاصة للشاه الذي لم يتخل عن ممارسة القسوة الشديدة التي يعدها ضرورية [2] .

ونتيجة للأوضاع السيئة فقد كانت الثقة بين المواطن والطبقة الحاكمة مفقودة ، وليس أدل على ذلك من قيام ثمانية وعشرين حركة تمرد وثورة في شتى مناطق إيران في مدة لا تزيد على أربعين سنة من حكم ناصر الدين شاه [3] ، وخير مثال على ذلك ما حدث في طهران عندما قامت الجماهير الغاضبة بسلب ونهب المتاجر والأفران ، وضربت حد الموت أمام جامع شهر آب وسحلت في الشوارع جثة رئيس شرطة المدينة ، وهاجمت بالحجارة القصر الملكي عندها أمر ناصر الدين شاه بتخفيض الأسعار و أنقذ طهران من ثورة عارمة وشيكة [4].

وتظهر الحوادث التاريخية ماهية العلاقة السلبية بين الشاه والشعب ، فقد كان من الواضح ان الشاه يترصد بالشعب ، والشعب يترصده وخير دليل على ذلك ما حدث في عام ١٨٥٠م عندما تعرض الشاه ناصر الدين إلى محاولة اغتيال من قبل ثلاثة من الفلاحين الإيرانيين المعدومين [5].

لقد تميزت فترة الحكم القاجاري بعدم الاستقرار السياسي فيما يخص الحكومات ، المتعاقبة نتيجة للفشل والعجز في تمشية الأمور المالية للدولة ، وتوفير مصاريف الشاه مما اضطرهم إلى الاستقالة ، ففي فترة حكم مظفر الدين شاه وابتداء من عام ١٨٩٦م حتى عام ١٨٩٨ أي في سنتين تعاقب على الصدارة - رئاسة الوزارة - أربع شخصيات، كان آخرها في حزيران ١٨٩٨م عندما اضطر أمين الدولة للاستقالة نتيجة لفشل برنامجه القائم على فصل أجهزة صرف الإيرادات عن أجهزة تحصيلها وفرض ضريبة على الأرض الزراعية، وتخفيض الجيش النظامي، وتكوين شرطة نظامية [6].

---

١ -اروند ابراهيميان ، إيران بين ثورتين ، ص ٥٦ – ٥٨ .
٢- ج . ج . لوريمر ، دليل الخليج ،القسم التاريخي ، الجزء الخامس ، ترجمة مكتب أمير قطر ، د ت، ص ٢٨٩١ .
٣- يوسف هادي ، المصدر السابق ، ص١٨ .
٤- علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص٣٨٠ .
٥- لمزيد من التفاصيل راجع : إبراهيم الدسوقي شتا ، الثورة الإيرانية الجذور – الأيدلوجية ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٧٩ ، ص٤٧؛ شاهين مكاريوس ، تاريخ إيران ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ١٨٩٨ ، ص٢٤٤.
٦- لوريمر ، المصدر السابق ، ص٣٠٣١ .

أما الأوضاع العسكرية ، فكانت تتجه نحو التدهور وسوء الأحوال بسبب ما تعكسه الأوضاع السياسية والاقتصادية من مؤثرات سلبية على كفاءة الجيش الإيراني الذي كانت راياته تخفق في يوم ما على شواطئ البحر المتوسط وسهول الهند وجبال أرمينيا، فقد اصبح عاجزا عن مقاومة أي غزو أجنبي بل حتى على تثبيت الأمن الداخلي بسبب سوء نظام الخدمة ، وجمود الجيش على أوضاعه القديمة في ميادين التدريب والتسليح ، وضعف الروح المعنوية ، وتأخر الرواتب[١] .

وقد قامت بعض محاولات الإصلاح والتنظيم في الجيش الإيراني ، إلا إنها لم تؤد إلى تغيرات مهمة في وضعه لارتباطها بالمصالح السياسية الأوربية [٢]. حتى إن ناصر الدين شاه وقف في عام ١٨٧١م في حفل عام مرتديا البزة العسكرية و أعلن وسط دهشة الحاضرين بدء عهد جديد وذلك بانخراطه في سلك الجيش وتوليه قيادته وتعيين سبهسالار* قائدا أعلى بالنيابة عنه ووزيرا للحربية للعمل على نهضة البلاد بعد اعترافه بتخلف إيران ودعوته إلى الأخذ بالمدنية الأوربية الحديثة [٣].

فالشاه كان يعتمد على رؤساء القبائل في حفظ مناطق نفوذهم ، وبالتالي حفظ الحدود الخارجية للبلاد وهذا ما اضعف دور الجيش الأساسي وهو حفظ أمن واستقلال البلاد [٤].

لقد اعجب الشاه بنظام الجيش القوزاقي في روسيا ، فكلف بعثة عسكرية روسية برئاسة الكولونيل دمنتوفيتش (Col.Dumontovich) لتنفيذ هذه المهمة ، ووصلت البعثة طهران في كانون الثاني عام ١٨٧٩م وشكلت في بادئ الأمر ثلاث كتائب تتألف كل واحدة منها من ستمائة ضابط وجندي واصبح لها فروع في مدن تبريز، واصفهان،ومشهد ورشت [٥] . وكانت هذه من أخطاء ناصر الدين شاه لإنشائه الفرقة

١- جميل قوزانلو ، تاريخ نظامي إيران ، جلد دوم ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣١٠هـ، ص١٦٠.
٢- المصدر نفسه ، ص٤٤١ .
* الحاج ميرزا حسين خان(سبهسالار) : من مواليد ١٢٩٨هـ / ١٨٢٦م ، تسلم مناصب عدة منها قنصلا وسفيرا ثم اصبح وزير للخارجية وعمل في البلاط وفي تمشية السياسة الخارجية لإيران ، اصبح صدرا اعظم (رئيس وزراء) في ١٨٧١ م ، توفي في عام ١٨٨١ م وكل خدمته كانت في زمن ناصر الدين شاه . للتفصيل عن حياته : المصدر نفسه ، ص٤٥٩ .
٣- محمود فرهاد معتمدي ، تاريخ سياسي دورة صدارت ميرزا حسينخان مشير الدولة سبهسالار اعظم ، جابخانه خورشيد، تهران ١٣٢٥ هـ ، ص٥٤ .
٤- كورش صالحي ، تمركز وعدم تمركز درحكومت قاجار ، (١٢٥٠ – ١٣٢٤هـ) ، دانشكدة ادبيات وعلوم إنساني ، دانشكاه اصفهان ، سال ١٣٨٠هـ، ص١١ .
٥- علي خضر عباس المشايخي ، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨م- ١٨٩٦م، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ١٩٨٧ ، ص٢٤٦.

العسكرية القوزاقية [١]. والتي قدر لها ان تلعب دورا ملموسا في حياة إيران السياسية وقد امتدت آثارها إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى [٢] . وتوصف هذه الفرقة القوزاقية بأنها الأداة العسكرية المنفذة للسياسة الروسية داخل إيران ، وهي في ظاهرها تحت إمرة الدولة الإيرانية وتتسلم حقوقها المالية من الخزينة الإيرانية ، لكن الحقيقة إنها بإمرة القيادة الروسية القفقاسية والسفارة الروسية بطهران [٣] .

ونتيجة للصراع الدولي بين روسيا وبريطانيا [٤] حول مناطق النفوذ ، قامت روسيا القيصرية بتوسيع مناطق نفوذها في آسيا الوسطى وعلى حساب الأراضي الإيرانية ، فاستولت جيوشها على أراضي ومدن جديدة ، فأبرمت إيران في عام ١٨٨١م اتفاقية اكال (Akhal) * ، التي اعترفت فيها بحق استيلاء روسيا على مدينة مرو التاريخية [٥] ، وهكذا فان الحروب التي خاضتها الدولة القاجارية في القرن التاسع عشر مع روسيا وبريطانيا أثبتت بما لا يقبل الشك إن الجيش الإيراني ضعيف ومتخلف من ناحية التدريب والتسليح وغير قادر على حسم الأمور لصالح الدولة ، فالإمبراطورية المترامية الأطراف التي قام بإنشائها- نادر ألا فشاري- * فجعل حدودها إلى الهند وكرجستان ولذلك أطلق عليه المؤرخون لقب نابليون الشرق كيف أضاعتها أسرة القاجار في ضعفها وملاذها[٦] .

أما بالنسبة لوضع المرأة الإيرانية ، فقد تغيرت مكانتها الاجتماعية تبعا لطبيعة الأنظمة السياسية التي حكمت إيران ، فقد ازداد انعزال المرأة عن المجتمع بحكم الاستبداد السياسي الذي حكم به القاجاريون ، واستمر طيلة فترة حكمهم ، فلهذا كانت المرأة

١- محمد وصفي بومغلي ، إيران دراسة عامة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، شعبة الدراسات الإيرانية (٢٤)، البصرة ١٩٨٥ ، ص٢٨٦.

٢- فوزي خلف شويل ، ايران في سنوات الحرب العالمية الأولى ، مركز دراسات الخليج العربي شعبة الدراسات الإيرانية (٨١) ، البصرة ١٩٨٥ ، ص٣٩ .

٣- جميل قوزانلو ، المصدر السابق ، ص٦١١ .

٤- سنعرض موضوع الصراع الروسي البريطاني على إيران بالتفصيل فيما بعد.

* اتفاقية اكال او معاهدة اخال وخراسان عقدت في ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١م بين إيران وروسيا لغرض تعيين الحدود الشرقية لبحر الخزر ((قزوين)) وهي من تسعة بنود وعقدت في طهران بين ميرزا سعيد خان وزير خارجية إيران وزينوف الوزير الروسي المفوض وبها انتهت سيطرة إيران على مدينة مرو ، وباعتقادهم انهم انهوا تسلط وتجاوزات التركمان على اقليم خراسان الايراني . انظر : علي رزم ارا ، المصدر السابق ، ص٢٨-٣٧ .

٥- دونالدولبر، المصدر السابق ،ص١٠١.

* نادر شاه (١٦٨٨م – ١٧٤٧م) مؤسس العهد الأفشاري تسلم العرش سنة ١٧٣٦. انظر : جميل قوزانلو ، المصدر السابق ، ص٤١٠.

٦-عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخرساني ،ط١،مطبعة النعمان، النجف١٩٧٢، ص١٢ .

الإيرانيـة محرومـة مـن المشـاركة السياسـية ومـن حـق التعليم وغيرهـا مـن الحقـوق [1] . واقتصـر دورهـا وبشـكل سـلبي فـي أعمـال السـخرة فـي الصـناعات الحرفيـة كصـناعة المنسوجات ، في حين كان دور المرأة اكبر في الريف، إذ إنها الأساس في اليد العاملة في المـزارع ،والحقـول، وتربيـة الحيوانـات ، فـالمرأة فـي القـرى تنـتج زهـاء ٤٠ % مـن الحاصلات الزراعية في البلاد [٢] .

لقـد كـان النظـام القاجـاري ينظـر إلـى المـرأة مـن زاويـة اسـتغلالية فهـو يمـارس الاضطهاد بحقوق المرأة المقرة شرعا وعرفا ، وينتهك هذه الحقوق بشكل واسع ، ووصل الهـوس المفـرط بملـوك القاجـار انهـم كـانوا يسـتحوذون علـى عـدد كبيـر مـن النسـاء ومـن مختلف الجنسيات بصيغة ((الحـريم)) فـي بلاطهـم حتـى ان عدد النسـاء وصـل إلـى ألـف امرأة ويقوم على خدمتهم عدد من الرجال والنساء والخدم والحرس وهذا ما يعني كلفة المصروفات الباهظة من خزينة الدولة [٣].

وكان الشاه يبرع في مجال الصرف للأموال علـى نسائه اللواتي يعدن من ضمن ممتلكاته الخاصـة ، فقد وردت إشارات كثيرة على ان ناصر الدين شاه عند مقتله كان علـى ذمتـه خمسـة وثمـانين امـرأة ، وكـان يصـرف لنسـاء الدرجـة الأولـى ٧٥٠ تومـان * ، ونساء الدرجة الثانية من ٢٠٠ إلـى ٥٠٠ تومـان ، أمـا نسـاء الدرجـة الثالثـة فيصـرف لهن سنويا ١٥٠ تومان [٤].

أما على صعيد الأوضـاع الاقتصـادية فقد كانت إيران مجبرة علـى الالتحـاق بطريق التطور الراسمالي، رغم انها كانت تعاني من وطأة النظام الإقطاعي والضعف والتخلف ، فقد رافق القرن التاسع عشر نموا بطيئا ولكنه منظم لقوى الإنتـاج فتضـاعف عدد السكان ونمى التحضر واتسعت الزراعة كما تزايدت الصناعات الحرفية وارتفعت الصـادرات ،

---

2 - Shireen Mahdavi, Wemen and Shiiulama in Iran , International Journal of Middle East Studies , Vol 5, No 2 , May 1969 , P.18.

٢- معصـومة ابتكـار ، العلاقـات العربيـة – الإيرانيـة الاتجاهـات الراهنـة و آفـاق المسـتقبل ، مركـز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٦ ، ص٣٧٥ .

3- Shireen Mahdavi , OP. Cit , P. 20.

* التومان : اصطلاح استحدثه المغول في القرن الثالث عشر وله معان نقدية متعددة ، لكنـه يشير إلـى قيمة عشرة آلاف دينار او عشرة قرانات في بداية القرن التاسع عشر ، ومائة قران عشية الإصلاح النقدي عام ١٩٢٠ – ١٩٢٢ وبعد هذا الإصلاح استبدل التومان بالبهلوي . انظر ز.ي هرشلاغ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، نقله إلى العربية مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٨٤.

٤- زنان شاه ، مجلة يغما ، تهران ، شمارة١٤، سال ١٣٤٥هـ ، ص١٢ .

إلا انه في النصف الثاني من نفس القرن قللت الواردات للبضائع المصنعة من البلدان الأوربية إنتاج الصناعيين المحليين (1).

ان تدفق البضائع الروسية والإنكليزية اثر في الإنتاج الصناعي الإيراني للحرير والمنسوجات ، ففي مدينة رشت مثلا كان يوجد بحدود ٧٦٦ معملا وورشة انخفض عددها إلى ٣٥ معملا (2). فالصناعة الإيرانية كانت صناعات يدوية بسيطة وفي مجالات محدودة مثل : الحدادة ، والسباكة ، و إنتاج الأدوات ، والآلات الزراعية ، وهي صناعات فردية مثل صناعة النسيج ، الدباغة ، النجارة ، الصياغة ، وبعض الصناعات الغذائية والدوائية ، أما الصناعات الأكثر توسعا فهي عائدة للدولة مثل صناعة الأسلحة والعتاد وسك النقود (3) . كانت روسيا وبريطانيا قد سبقتا غيرهما من الدول الاستعمارية في سبيل استغلال هذه الثروات ، وقد تحولت إيران إلى شبه مستعمرة تابعة لاكثر من دولة ففي غضون اقل من نصف قرن (من ١٨٥٥ – ١٩٠٠) ظفرت خمسة عشر دولة أجنبية على الأقل بامتيازات مختلفة من الحكومة الإيرانية (4)، وبالمقابل ثبت عدم قدرة الملكية القاجارية على تطوير اقتصاد حديث وجعلت ثروات إيران الاقتصادية تحت تصرف الطامعين من الغرب والشرق مقابل كميات تافهة من المال لأرضاء حاجاتهم المالية المباشرة وترفهم اليومي (5).

إن من اخطر الأمراض التي كانت سائدة في المجتمع الإيراني هي الرشوة التي كانت منتشرة إلى درجة إنها عملت على تهديم أركان المجتمع ، إذ كانت المناصب والألقاب تباع وتشترى لمن يدفع اكثر التي كان لها مردود سلبي على طبقات المجتمع الفقيرة والمغلوبة، إذ كانت تفرض عليها الغرامات والضرائب (6) .

2- Shireen Mahdavi,OP.Cit, P. 35 .

٢- احمد سيف ، اقتصاد نساجي در إيران ، مجلة روشنكري ، تهران ، شمارة ٣٩٢، سال ١٣٨٠هـ ، ص١١.

٣- كورش صالحي ، المصدر السابق ، ص٢٠.

٤- والمعاهدات التي وقعتها إيران مع البلدان الأوربية الكبرى خلال القرن التاسع عشر هي مع روسيا ١٨٢٨م ، إسبانيا ١٨٤٢م ، فرنسا ١٨٥٥ م ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٥٦م ،إنجلترا ١٨٥٧م، النمسا – المجر ١٨٥٧م ، بلجيكا ١٨٥٧م، الدنمارك ١٨٥٧م ، هولندا ١٨٥٧م ، السويد ١٨٥٧م، النروج ١٨٥٧م ، اليونان ١٨٦١م ، إيطاليا ١٨٦٢م ، ألمانيا ١٨٧٣م، و أخيرا مع سويسرا ١٨٧٣م. علي اكبر سياسي ، إيران في القرن التاسع عشر ، ترجمة نجيب العقيقي، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد الرابع عشر ،القاهرة ١٩٥٩ ،ص٢٧ .

٥- احمد سيف ، المصدر السابق ، ص١٦ .

٦- فتح الله نوري اسفندياري، رستا خيز إيران ، جاب أول ، انتشارات أمير كبير ، تهران ١٣٣٥، ص٧٤ .

ويصف الكونت كوبينو (Gobinau)* وهو مؤلف ومحقق فرنسي وعمل لمدة ثلاث سنوات (١٨٥٥م – ١٨٥٨م) وزيرا مفوضا لفرنسا في البلاط الإيراني حالة الرشوة في إيران بأنها من العيوب و الأبتلاءات الكبرى التي لا يمكن استئصال جذورها لأنها منتشرة بالشكل الذي تبدأ من شخص الشاه نفسه إلى اصغر مأمور في الدولة [١] . ونورد هنا هذه الحادثة التي تبين مقدار الفساد الإداري والرشوة حتى عند الصدر الأعظم للبلاط فقد عرض عليه الوزير المفوض البريطاني هدية وهي عبارة عن تقاوي البطاطا لكي تقوم الدولة بزراعتها وإكثارها لإنهاء أزمة المحاصيل الزراعية والتعويض عن مادة الخبز ، لوفرة إنتاجها وعدم تأثرها بالقحط ، فكان رد الصدر الأعظم : إذا قبلت زراعتها فكم هي رشوتي ؟ [٢].

كانت إيران من الناحية الجغرافية تعد جسرا تجاريا بين دول الغرب والشرق[٣]. وبحكم هذا الموقع الهام كان يمر طريق الحرير (The silkroad) عبر شمال إيران إن التطور الصناعي الذي حدث في أوربا تطلب الاهتمام بإيران كمعبر تجاري دولي مع وجود ثروات هائلة في إيران تحتاج لها الدول الصناعية الكبرى ، وقد شكلت روسيا الدولة الأولى بالتعامل التجاري مع إيران ثم تلتها بريطانيا والهند[٤].

كانت التجارة بين المدن الإيرانية أو بين إيران و أوربا تتكون بشكل رئيس من البضائع الكمالية ، وقد تأخرت التجارة الداخلية ، بسبب الطرق الرديئة والمسافات البعيدة وعدم وجود الأنهار الصالحة للملاحة [٥] .

وبحكم الارتباط بالسوق الرأسمالية العالمية ونمو الإنتاج الصناعي تطورت عملية تراكم راس المال لدى كبار التجار الإيرانيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، غير إن هؤلاء وجدوا أمامهم ظروفا صعبة لاستثمار رأسمالهم في المجال الصناعي نجمت عنه سيطرة البضاعة الأجنبية على السوق المحلية ، إذ حرموا مثلا من الامتيازات

---

*الكونت ارثر دي كوبينو ((١٨١٦م – ١٨٨٢ م)) دبلوماسي وكاتب فرنسي سليل عائلة أرستقراطية دعا إلى نظرية الأجناس العنصرية لاسيما في كتابة المسمى ((محاولة حول فقدان المساواة بين الأجناس البشرية)) وكان يؤمن إن أية حضارة بشرية هي من صنع وابتداع الرجل الأبيض ، وكان يعلن احتقاره للأعراق الأخرى . انظر : المصدر نفسه، ص٦٤.

١-علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤.

٢- المصدر نفسه ، ص.٣٧٧

5-Bernard Temple , The place of Persia in world polities “proceeding of the central Asian society” , May 4 , 1910 . P.10.

1- Bernard Temple , Op.Cit, P.12 .

٥- كورش صالحي ، المصدر السابق ، ص٤٣.

الكبيرة التي كان يتمتع بها التجار الأجانب [1]. ولكن طبقة التجار في إيران كانوا على درجة عالية من الأهمية في الحياة الاجتماعية والسياسية الإيرانية وان أي قرار وتصميم من قبل هؤلاء التجار كان من الممكن أن يشل الاقتصاد الإيراني [2] ، إلى حد أن الحكومة كانت تستعين بالتجار ماليا إذا أرادت استقبال أحد الضيوف الرسميين [3] . والتجار أصحاب السوق – البازار – هم بمثابة القلب من البلدة في كل المدن الإيرانية ، فإذا اغلق البازار أبوابه فان ذلك يعني مظهرا من مظاهر الحداد او الشغب [4]، كانت اوضاع البلاد الاقتصادية قد وضعت البازار الايراني في كل البلاد امام عدد مشترك هو المنافس الاجنبي وتدفع بالتالي الحرفيين الى مراحل الاستياء وليصبحوا من اكثر الفئات في المجتمع الايراني تحمساً للتغيير ، وليساندوا كل اجراء من شأنه هز اركان النظام القاجاري بأتجاه التغيير [5].

أما في مجال القطاع الزراعي والذي يعد أهم القطاعات الاقتصادية في إيران ، التي يوصف مجتمعها انه مجتمع زراعي ، إذ يشكل السكان الذي يعملون في الزراعة أو الرعي ٩٠% من مجموع السكان البالغ عددهم عشرة ملايين نسمة واكثر من النصف فلاحين يملكون أراض زراعية ، ومعظم المحاصيل الزراعية كانت تخصص للاستهلاك المحلي لكن هناك محاصيل قليلة مثل القطن يمكن ان تباع خارج إيران [6]. في حين يحدد سايكس طبقة المزارعين بـ ٧٠% من المجتمع الإيراني يعملون في مجال الزراعة، والتربية الحيوانية ، و إنتاج المحاصيل الزراعية والحيوانية ، وكان النظام الإقطاعي سائدا في الحياة الزراعية ، مع بدائية الزراعة من حيث الأساليب والإنتاج [7] ، غير إن إيران شهدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولات اجتماعية واقتصادية

١- كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، بغداد ١٩٨٥ ، ص١٠٤ .

٢- علي الوردي ، المشروطية الإيرانية و أثرها على العراق ، مجلة الموسم ، بيروت ، العدد الخامس، ١٤١٠هـ ، ص٣٩ .

٣ - محمد رضا بهلوي ، المصدر السابق ، ص١٧.

٤- ادوار سابلييه ، إيران مستودع البارود ، ترجمة العميد الركن المتقاعد عز الدين محمود السراج ، دائرة الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٣ ، ص٣٨.

٧- فوزية صابر محمد ، ايران بين الحربين العالميتين تطور السياسة الداخلية ١٩١٨-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٨٦،ص٢٨.

1-Malcolm E.Yapp , 1900-1921 : The last years of the Qajar Dynasty " Twentieth Century Iran ", London , 1977, p.6 .

2-Ahmed Seyf, Technical Changes in Iranian Agriculture , 1800 – 1906 , " Middle Eastern Studies" , Vol. 20 , Num 4 , 1984 , p. 149.

كبيرة بحكم اندماجها بالسوق الرأسمالية العالمية ، فبدأت جراء ذلك عملية انهيار العلاقات الإقطاعية التقليدية لتحل محلها علاقات جديدة وأساليب جديدة للاستغلال [1] .

وكان الفلاحون يكدون للحصول على ما يحفظ حياتهم بزراعة الأرض ، ويعيش الفلاحون في قرى حيث يوجد الماء من الأنهار والينابيع او بحفر القنوات ، إذ تشغل الجبال العالية والهضاب ثلثي مساحة إيران وهي في معظمها جهات لا تصلح للزراعة والأراضي الصالحة للزراعة لا تزيد على عشر المساحة الكلية (وهي اكثر من ٦٠٠ ألف ميل مربع)[2] ، واكبر مساوئ النظام الزراعي في إيران إن اكثر من نصف الأراضي الزراعية مزارع كبيرة يملكها كبار الزراعيين أو تملكها الحكومة والنظام المتبع أن تؤجر الأرض ويتعهد المالك بتوفير المياه للري والبذور ، ويحصل الفلاح على ١/٥ المحصول نظير عمله ويذهب الباقي إلى المالك ، أما إذا قام المستأجر بدفع جميع تكاليف الزراعة فأنه لا يدفع إلى المالك غير ٢/٥ من المحصول [3] . وقد وقع ثقل ذلك على كاهل الفلاح الإيراني الذي تحول إلى نموذج للبؤس والشقاء فان ٧٠% من الأراضي كانت ملكا للإقطاعيين ، مع فرض ضرائب باهظة ، و تأخر في الأساليب الزراعية وإهمال للري، والهجرة من الأرياف الى المدن بحثا عن فرص افضل للعيش ، وهكذا اشتد الاستغلال الإقطاعي وازدادت عملية تجريد الفلاح من الأرض[4] .

لقد عكست حالة التخلف والتدهور في مرافق الدولة بظلالها على الجهاز القضائي الإيراني ، الذي تعرض بدوره إلى حرف في القوانين والتشريعات واصبح القضاء في حالة من الفساد الواضح .

كانت الحكومة القاجارية حكومة مستبدة غير منظمة ساد البلاد في ظلها ظلم لموظفي الدولة فاختفت كل أشكال الضمان القضائي والحقوقي ولم يبق الناس في ضمان أمن حياتهم و أموالهم[5] . فالشاه كائنا من كان يمارس دكتاتورية مطلقة ، محتكرا السلطات

١- محمد كامل عبد الرحمن ، الفلاح الايراني في العهد البهلوي ١٩٢٥-١٩٧٩،اطروحة دكتوراه غيرمنشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١م ، ص١٦ .

٢- حسن محمد جوهر ، محمد مرسي أبو الليل ، إيران ، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦١ ، ص١٦ .

٣- المصدر نفسه ، ص١٨ .

٤- اسعد محمد زيدان الجواري، سياسة إيران الخارجية في عهد احمد شاه ١٩٠٩ – ١٩٢٥ ،مركز الدراسات الايرانية ،جامعة البصرة ، البصرة ١٩٨٩ ، ص ٢٤ .

٥- كمال مظهر احمد ،دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، المصدر السابق ، ص١١٠ .

الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية مغدقا فضله على من يشاء حارما غيره من أملاكهم وحرياتهم وحتى من حياتهم ، فينقل ابراهيمان ما كتبته إحدى الصحف الإيرانية الصادرة في الخارج بالقول: ((**إن الله قد بارك إيران ، ولكن لسوء الحظ ، بركاته أبطلت بشحة القوانين فلا أحد في إيران يشعر بالأمان لان لا أحد في إيران تحميه القوانين ، تعيين الحكام يتم بدون قوانين**))[١].

وكان القضاء مقسما بين المجتهدين ، وهم علماء الدين ، وبين حكام المدن ، فيقضي المجتهدون في القضايا المتصلة بالشرع لاسيما الأحوال الشخصية كالولادة، والزواج، والطلاق، والإرث، وبيع الأرض وشرائها فهذه القضايا ينظر فيها في المحاكم الشرعية المعروفة باسم ((محاضر شرع)) ويجري الحكم فيها طبقا للشريعة الإسلامية ، أما المحاكم المدنية فكانت تنظر فيها المحاكم المعروفة باسم ((ديوانخانه)) وكانت هذه المحاكم اكثر سوءا وفسادا ، إذ لم يكن يوجد قانون مدون ولا سجل تدون فيه الأحكام والقضايا ، وكانت السجون ضيقة ومعتمة وفيها عقوبات صارمة و أهمها الفلقة على الأرجل وكان أهم سجن هو سجن((انبار)) الذي أطلق عليه فيما بعد ((باستيل إيران)) وهو عبارة عن زنزانات منفردة ضيقة جدا [٢] ، وهي التي سجن فيها قاتل الشاه ناصر الدين الميرزا رضا كرماني * وتستخدم في هذا السجن أساليب رهيبة ووحشية ضد السجين ، قليلون الذي نجوا بأرواحهم في ذلك المكان المتعفن الرطب[٣] ، لقد حاول الشاه ناصر الدين شاه إصلاح القضاء وتنظيمه فوضع نظاما لتحديد علاقة الوزارات بديوان العدلية الذي حدد واجباته ومسؤولياته إزاء الحكام الذين الزمهم التمسك بالعدل ، كما نظم أصول المحاكمات [٤] . ولكن محاولات الشاه لاصلاح وتحسين نظم القضاء والإدارة

١- ابراهيميان ، إيران بين ثورتين ، ص٩٧ .
٢- علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص٤١٠ .
* الميرزا رضا الكرماني ، من مواليد مدينة كرمان ، كان طالبا للعلوم الدينية ثم زاول التجارة فيما بعد، سجن في عدة سجون إيرانية ولفترات متعاقبة لموقفه التحريضي ضد مفاسد النظام القاجاري بعد خروجه من السجن سافر إلى استانبول والتقى بالسيد الأفغاني ، دبر خطة اغتيال ناصر الدين شاه في مايو / ١٨٩٦م ، شنق في ليلة ٣١/تموز / ١٨٩٦م وسلمت جثته إلى جماعة من اليهود ليرموا بها خارج بوابة شميران لتأكلها الكلاب والهوام . للتفصيل عن حياته ومواقفه ينظر : إبراهيم صفائي ، إسناد يركزيدة ، ص٢٩-٣٢ ؛ خاطرات كلنل كاساكوفسكي ، ترجمت عباس قلي جالي ،انتشارات امير كبير، تهران ١٣٤٤ هـ ، ص٨١ .
٣- يوسف هادي ، المصدر السابق ، ص٢١ .
٤- فتح الله نوري اسفندياري ، المصدر السابق ، ص٨٠ .

العامة لم تكلل بنجاح تام [1] . فقد ظلت بلاد فارس تعيش بذهنية العصور الوسطى ، زيادة على كل المساوئ التي انطوى عليها سوء الحكم في الداخل ، و سوء التصرف الذي كان يمارسه البيت المالك المتهرئ والمنهمك في جمع المال ، وكانت طبقات الشعب تعيش في بحر الماسي والبؤس [2]. وكان التعليم مقتصرا على مبادئ اللغة الفارسية والقران الكريم والحساب وكانت به على الأغلب المدارس الدينية أما القلة الضئيلة من أبناء الطبقة الحاكمة فكانوا يكملون تعليمهم في استانبول وأوربا أو في دار الفنون بطهران ، وكان تعليم البنات منحصرا بفئة قليلة فقد كن يتلقين تعليمهن في داخل البيوت وتقوم بذلك سيدات مسنات كما كن يتلقين مبادئ اللغة والدين [3] . لقد كانت مدرسة دار الفنون والمدرسة الحكومية في تبريز المدرستين الوحيدتين في إيران التي تخرج منها معظم أبناء الذوات و أبناء كبار المسؤولين والأعيان ، وقد بلغ العدد الكلي للطلبة في نهاية السنة الدراسية ١٨٨٨ م – ١٨٨٩ م هو ٣٤٦ و ١٦٣ طالبا وطالبة [4].

١- دونالدولبر ، المصدر السابق ، ص١٠٢ .
٢-ستيفن همسلي لونكريك ، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٥٠ ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي جـ١ ، ط١ ، منشورات الفجر ، بغداد ١٩٨٨ ، ص٣٤ – ١٢٤ .
٣- سهيلا ترابي فارساني ، إسناد از مدارس دختزانة از مشروطة تابهلوي ، جاب أول ، سازمان اسناد ملي إيران ، تهران ١٣٧٨ هـ ، ص٢٠.
٤- المصدر نفسه ، ص٤٣ ؛ علي رزم ارا ، المصدر السابق ، ص١٣٨ .

الأوضاع الثقافية والفكرية

أولا : دار الفنون والبعثات للخارج

يرى الدارسون لتاريخ الثقافة والتعليم في إيران بأنه يبدا مع اللبنة الأولى لأول مؤسسة علمية وهي ((دار الفنون)) ، إذ تعد الركيزة الأولى للتطور العلمي والفكري ومنها استندت قاعدة التوسع المعرفي والعلمي.

قامت مدرسة دار الفنون بدور خطير في نهوض إيران فهي تعد منارة العلم والأدب ومركز الإشعاع الفكري في ظلام ذلك العهد الدامس ، فقد قام الألف والمائة من خريجيها خلال الأربعين عاما بنشر الثقافة والعلم ، كما وتسلموا ارفع المناصب الحكومية وساهموا مساهمة فاعلة في يقظة إيران الاجتماعية والفكرية [١].

ولأنها تبنت الأسس الحديثة في التعليم ورفضها لصيغ التعليم والتربية القديمة فإنها عملت على خلق فئة مثقفة مستنيرة ومنها ظهرت العناصر المحددة المطالبة بالإصلاح، وقد كان لهؤلاء بعد جيلين أثرهم الكبير في التحول الفكري [٢].

وكانت هذه البعثة تحت رئاسة حسن علي خان ((أمير نظام)) وهو أحد العلماء الإيرانيين المشهورين والذي وضع أسس البعثات العلمية إلى خارج إيران ، وهكذا كانت البعثات واغلبها ذا طابع عسكري و إداري تذهب إلى لندن وباريس لتعود إلى إيران وتمارس اختصاصاتها [٣] .

غير إن سياسة ناصر الدين شاه خلال حكمه الطويل ١٨٤٨م – ١٨٩٦م كانت مع ذلك تتوخى عدم تشجيع رعاياه على زيارة أوربا ولم يكن عادة يسمح بتلقي أبناء الأعيان دراستهم في الخارج ولذلك كانت النظم العصرية لا تدخل بلاد فارس إلا لماما وعن طريق غير مباشر أو غير مضمون الأثر مثل مدارس البعثات الدينية والمستشفيات والقنصليات والشركات البرقية والتجار [٤]. ويعتبر الميرزا رضا مهندس ((أحد خريجي بريطانيا)) المؤسس الأول لها وبإيعاز من الصدر الأعظم أمير كبير وباشرت نشاطها في

١- زكي الصراف ، المقالة الصحفية في الأدب الفارسي المعاصر ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٧٨ ، ص١٣٥ .
٢- فتح الله نوري اسفندياري ، المصدر السابق ، ص٩٤ .
٣- شاهين مكاريوس ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ .
٤- عيسى صديقي ، تاريخ فرهنك إيران ، انتشارات دانشكاه تهران ، جابخانه دانشكاه ، مهرماه ١٣٣٦ هـ ، ص٣٤١ .

عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م ، واستخدمت فيها خبرات أجنبية وأساتذة كبار في ذلك العهد مثل أستاذ الهندسة كابيتان زاتي (Capitain Zattie) والمهندس كارنوتا (Carnota) والجنرال البولوني بروسكي(Broski) الضابط السابق في الجيش وكان مدرسا للجغرافية واللغة الفرنسية ، وغيرها من الكفاءات الأجنبية [١].

وكانت المدرسة - دار الفنون- تضم سبعة أقسام دراسية هي: المشاة العسكرية ، المدفعية ، الهندسة ، الخيالة ، الطب والجراحة ، الصيدلة ، علم المعادن ، ويدرس فيها التاريخ والجغرافية والرياضيات كما وتمتلك المدرسة مطبعة خاصة بها ، وبهذا تكون هذه المدرسة بمثابة جامعة فيها كليات متخصصة في فروع المعرفة والعلوم [٢].

وكان لهذه المدرسة معارضون أقوياء في المجتمع منهم المتعصبون كالصدر الأعظم اقاخان نوري * ، المعروف برجعيته ومحاربته كل ما هو جديد ومؤثر على واقع المجتمع حتى انه حاول غلق المدرسة وترحيل الأساتذة والمشرفين عليها إلى خارج إيران ، وكذلك وقف بعض رجال الدين والإقطاع ضد نشوء ونمو المدرسة لأنها تهددهم ولما لها من أفكار جديدة منفتحة على الغرب [٣] .

تطلب استمرار النشاط العلمي والفكري لهذه المدرسة ان ترسل الحكومة بعثات إلى دول أوربا من اجل نيل الخبرات والمعارف السائدة هناك ، صحيح ان البعثات الدراسية الفارسية وخاصة لطلبة الطب بدأت منذ وقت مبكر يقدر تاريخه بين عامي ١٨١٠م / ١٨١٥م ، إلا إن أهم البعثات هي التي أرسلت منذ عام ١٨٥٥ م ، إذ أرسل اثنين و أربعين طالبا إلى فرنسا لدراسة مختلف الاختصاصات ، وقد انتخب هؤلاء لكونهم من الشبان من أولاد الأمراء والأعيان في المملكة ،إذ مكثوا سبع سنين ونالوا شهادة الديبلوما[٤].

١- عباس إقبال اشتياتي ، ميرزا تقي خان أمير كبير ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٤٠ هـ، ص١٦٦.
٢- المصدر نفسه ، ص١٦٩ ؛ سهيلا ترابي فارساني ، المصدر السابق ، ص٣٠ .
* الميرزا اقاخان نوري : تسلم رئاسة الوزارة ((الصدارة العظمى)) من الفترة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م حتى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨ م . وقد اشتهر برجعيته المستبدة وكان معارضا لكل الخطوات الإصلاحية التي قام بها سلفه ((أمير كبير)) وعمل على بقاء إيران في حالة التخلف والركود لحين عزله ، لكثرة تعارض مواقفه مع الشاه ومع الشعب والسلطة في الوقت نفسه. انظر : عباس إقبال اشتياني،المصدر السابق ، ص٣٥.
٣- سهيلا ترابي فارساني ، المصدر السابق ، ص٣٧.
٤- عيسى صديقي ، المصدر السابق ، ص٣٣٧؛ شاهين مكاريوس ، المصدر السابق ، ص٢٤٨.

ثانياً : تطور الحركة الأدبية في إيران

إن تطور الحركة الأدبية في إيران جاء نتيجة لعدة عوامل منها ازدياد البعثات إلى أوربا والتوسع في فتح المدارس الحديثة والمكتبات وازدياد المطابع وحركة الترجمة وعقد الندوات والجمعيات الأدبية وانتشار الصحف ، وظهور شخصيات مرموقة من رحم المجتمع الإيراني استطاعت ان تشخص الواقع الإيراني بكل سلبياته وإيجابياته وطرحت الأفكار والحلول لعملية التغيير والتطور .

وكان الكتاب والأدباء يمثلون اتجاهين متضادين من حيث الولاء فمجموعة يوالون الحكام في كتاباتهم ويمجدون النظام السياسي القائم ، ويكتبون وفق أهواء السلطة لا كما تفرضها الحقائق ، لهذا فان معظم كتابات المؤرخين والشعراء لا تصف في الحقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بشكل منصف مما يعني إن حقائق الأوضاع لا تفهم من خلال كتاباتهم بل بتحليلها بشكل علمي للوصول إلى الحقيقة الثابتة [(١)].

هذا إذا استثنينا من عارض النظام القاجاري في كتاباته ومثل اتجاه المعارضة للوضع القائم مثل الشاعر فروغي بسطامي المولود عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م ،إذ كان والده من المعارضين لسياسة القاجار وقد نفي إلى النجف الأشرف واشتهر بالشعر الوجداني والغزليات[(٢)].

كانت سياسة القاجار المحبطة للآمال بتضييعها أراضي وطنية وممتلكات تنازلت عنها إلى المحتلين الأجانب وخاصة الروس ، مع بروز أحداث عالمية وإقليمية مثل آراء ومفاهيم الثورة الفرنسية ، وانتشار الأفكار التقدمية، ونهوض القوميات وتشكل و ظهور الأفكار التحررية ، كل هذه التغيرات أثرت في تفكير المجتمع الإيراني ، وبلورت لديه توجهات فكرية جديدة خاصة عند طبقة الكتاب والشعراء وهم نخب المجتمع المثقفة المعول عليها بالتغيير ، ومثال على ذلك ، ملك المتكلمين * الذي كان متأثرا بآراء الشيخ

١-ادوارد براون ، تاريخ أدبيات ايران، ترجمت رشيد ياسمي، جاب دوم ، انتشارات امير كبير،،تهران ١٣٢٩ هـ ،ص٨٠.

٢- المصدر نفسه ، ص٨٩ .

* ملك المتكلمين : رمز من رموز الثورة الدستورية وقادتها ومن مفكري إيران الأوائل الذين لعبوا دورا فاعلا في الثورة نحو التغيير ، واسمه ميرزا نصر الله رشتي ولد في اصفهان في عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م ، وفي صباه درس العلوم وتاريخ الأديان واللغة الفارسية والعربية وآدابها ، سافر إلى الهند و ألف كتاب مهم هو ((من الخلق إلى الحق)) وعند عودته إلى إيران التقى مع الأفغاني وعمل على تنسيق مواقفهما في محاربة الاستبداد والدعوة إلى الثورة ، حاربته كل القوى الرجعية في إيران ، كان يؤكد على الجانب التربوي التعليمي في نشر الوعي، وتثقيف الأمة، ودعوتها للثورة ، اتهمه=

محمد عبده والأفغاني ومتحمسا للتجديد ، وبعد عودته من الهند في عام ١٣٠٣هـ /١٨٨٥م[١] . اخذ يهاجم في خطبه و مواعظه الكتاتيب ونظام التعليم الديني المتخلف في إيران وشن حملة شعواء أثارت حفيظة الرجعيين عليه فاتهموه بالكفر والعداء للإسلام ، حتى انه عندما اعد العدة لتأسيس مدرسة حديثة عام ١٣١٢هـ /١٨٩٤م هاجم الرجعيون المدرسة يوم افتتاحها ولم تسلم من أيديهم حتى شبابيك المدرسة وأبوابها ، إذ نهبت محتويات المدرسة بالكامل [٢]. وكذلك يحيى دولت ابادي * وهو من زعماء الحركة الوطنية وقد أسدى خدمة جليلة للتعليم والأدب ونشر المعارف وإدخال الأساليب التربوية الحديثة و أسس مدرسة تضم طلابا فقراء ترعاهم المدرسة بالمصاريف، وتلقنهم المفاهيم التربوية الجديدة [٣] . وكذلك حسن رشدية ، الذي سافر إلى بيروت واطلع بنفسه على تطور المدارس الحديثة وعند عودته إلى تبريز سنة ١٣٠٥/ ١٨٨٧م انشأ مدرسة على غرار ما شاهد هناك ، ورغم انه كان يتبع المناهج فقد ثار عليه الرجعيون وبعض المترفين فأغلقوا المدرسة واضطروه إلى ترك إيران[٤] .

=بعض رجال الدين المحسوبين على البلاط القاجاري بالكفر مما أعطى للسلطات الحكومية الذريعة في محاربته ومطاردته، تنقل في اصفهان إلى تبريز ثم طهران ،عمل في تشكيل الجمعيات السرية والداعية الى الثورة ، كان من قادة الثورة الدستورية ، حتى انه أول من ألقى كلمة المجلس نيابة عن الأمة الإيرانية ، وعند إحداث ضرب المجلس في حزيران ١٩٠٨ م اعتقل واعدم أمام أنظار الشاه محمد علي . راجع: علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص٣٠٩ – ٣١١ ؛ كمال مظهر ، المصدر السابق ، ص٢٠٤ .

١- زكي الصراف ، المصدر السابق ، ص١٣٦ .

٢- المصدر نفسه ، ص١٤٠ .

* الحاج ميرزا يحيى دولت ابادي ولد في اصفهان في عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م كان أبوه الميرزا هادي من اشهر علماء عصره ، كانت عائلة دولت ابادي على خلاف مع ظل السلطان حاكم اصفهان ولهم مواقف رافضة تجاه سياسة البلاط القاجاري ، مما دفع السلطة إلى تهجيرهم ومحاربتهم حتى انهم أقاموا في مدينة سامراء في العراق، ورغم إن انحداره ديني إلا انه كان يدعو إلى فصل الدين عن السياسة . وقد ساهم في صنع الثورة الدستورية و إقرار الدستور ، وعمل على تقوية موقع التربية في الحياة الاجتماعية من خلال دوره ومساهماته المالية في فتح المدارس العديدة في طهران والمدن الإيرانية ، من مؤلفاته ((كتاب علي)) إضافة إلى مذكراته اليومية حول الوقائع اليومية للحياة السياسية في إيران جمعت في كتاب ضم ٤ مجلدات تحت اسم ((حيات يحيى)) في عام ١٣٥٩هـ/١٩٤١م توفي عن عمر ناهز ٨٠عام . ينظر: عليرضا اوسطي ، المصدر السابق ، ص٣٥٨-٣٣٠ .

٣- زكي الصراف ، المصدر السابق ، ص١٣٧ .

٤- فتح الله نوري اسفنديارى ، المصدر السابق ، ص١٦٧ .

ومع توسع الأفكار التحررية في المجتمع الإيراني،فقد شمل هذا التوسع المرأة ، إذ حدثت تطورات مهمة في حياة المرأة الإيرانية نتيجة سفر البعثات العلمية والتجارية ورأوا كيف كان دور ومشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والإدارية وكذلك انتقلت حركة المطالبة بحقوق المرأة كالتي حصلت في مصر على يد المصلح الاجتماعي قاسم أمين* والتي أثرت في كل البلدان الآسيوية[1] . وقد ظهرت في تلك الفترة مجموعة من الشعراء والشاعرات الذين ينادون بحرية المرأة وحقوقها ومنهم الشاعر ايرج ميرزا المولود في تبريز عام ١٨٧٤م الذي كان يدعو لحرية المرأة الشرقية خاصة المرأة الإيرانية التي يدعوها للمشاركة في عملية البناء الاجتماعي وإحداث التغيير للمفاهيم القديمة السائدة ، مثل الحجاب إذ لا يعد أساسا لعفة المرأة وشرفها وكذلك الشاعر سيد محمد رضا ميرزادة عشقي (١٨٩٣م- ١٩٢٤م) ، إذ كتب الشعر في بواكير حياته ودعا إلى حرية المرأة وقد قتل بسبب أفكاره التحررية ، ولعل اشهر الشعراء هو محمد تقي بهار ملك الشعراء** ، حيث كان من قادة الثورة في خراسان[2].

أما المسرح فقد كان مقتصراً على المسرح التراجيدي الذي يجسد واقعة الطف التي استشهد فيها سيدنا الحسين (ع) او ما يسمى بـ ((التشبيه)) ولكن مع تأسيس دار الفنون وانتقال المطبوعات الأجنبية وبداية حركة الترجمة فقد ترجمة بعض الأعمال مثل مسرحية موليير الكوميدية وان كانت محدودة التداول جداً في أوساط الإيرانيين[3] .

* قاسم أمين : ولد قاسم أمين عام ١٨٦٣م في القاهرة ، يقال ان أباه من اصل تركي في شمال العراق، ترعرع في اسطنبول ، ثم نال شهادة الحقوق عام ١٨٨١م ، أكمل دراسته في جامعة مونبليه بفرنسا، اطلع على الأفكار الغربية وتأثر بالمفاهيم الاشتراكية ، أهتم بشؤون المرأة وكان يدعو إلى تعليم المرأة وسفور وجهها وعقلها ، من مؤلفاته (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) وله مقالات عديدة في التربية واللغة وكان يعد من المصلحين الاجتماعيين المرموقين في الوطن العربي، وهو من المؤسسين للجامعة المصرية ، وقد تعرض إلى كثير من المضايقات بسبب أفكاره التحررية الجديدة على المجتمع ومحاربة المحافظين له ، توفي قاسم أمين عام ١٩٠٨م . راجع : وداد سكاكيني، قاسم أمين ، نوابغ الفكر العربي (٣٥) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٥، ص١٥- ١٦ .

١- بايش جبار زيارة، زن در شعر محمد تقي بهار ((ملك الشعراء)) ، رسالة ماجستير غير منشورة دانشگاه بغداد، دنشكده زبانها، ٢٠٠٠م ، ص٢١ .

**ملك الشعراء بهار : الملقب ملك الشعراء ولد عام ١٨٨٢ في مدينة مشهد، ومن صباه تعلم آداب اللغة الفارسية والعربية وامتهن السياسة منذ شبابه وكان من دعاة المشروطية ، وقد كتب مقالات عدة أبان الأزمة الدستورية بين المجلس والشاه محمد علي ثم اصبح عضواً في المجلس ،له مؤلفات عديدة أهمها التاريخ المختصر للأحزاب السياسي في إيران كما كتب في الشعر والأدب والسياسة ، توفي عام ١٩٥١م . راجع: نوابغ الشعر الفارسي، مجلة ميهن، تهران، شمارة ٧٧، سال ١٣٨٣هـ ،ص٤ .

٢- بايش جبار زيارة، المصدر السابق ، ص٢٤ .

٣- زكي الصراف، المصدر السابق، ص١٤٠ .

وفي نهاية القرن التاسع عشر اتبع ناصر الدين شاه نهجاً اكثر قسوة وتقلباً فمنع فتح مدارس جديدة وحرم دخول الصحف الليبرالية ولم يكترث عندما احرق جمعاً من المتدينين إحدى المؤسسات التعليمية الحديثة وحاول تأجيج النزاعات و أوقف منح الدولة للدراسة في الخارج و أهمل دار الفنون[١] .

ثالثاً : دور الطباعة

على الرغم من أن الطباعة كانت معروفة في إيران منذ عهد التتآر ،غير إنها كانت بسيطة جداً ولأغراض محدودة جداً أيضا، ولا تتوفر تواريخ أو إحصائيات عن كمية المطبوع ونوعه ومواصفاته ، على ان اقدمكتابين معروفين طبعاً باللغة الفارسية هما: قصة السيد المسيح ، وقصة سن بيرو مع ترجمة لاتينية لهما سنة ١٠٤٩هـ / ١٦٣٩م في مدينة ليدن بهولندة ، وفي نحو هذا التاريخ دخلت الطباعة الحديثة إلى إيران وفي سنة ١٦٤٠م ابتاع عدد من التجار الأرمن الإيرانيين الذين كانوا يقيمون في امستردام ولهم روابط تجارية مع إيران، مطبعة وحروفاً أرمينية وجلبوها إلى قصبة جلفا الواقعة قرب اصفهان[٢] . ثم دخلت الطباعة إلى إيران وبأعداد متواضعة، وكانت مطابع حجرية بسيطة إلى أن دخلت المطابع الحديثة التي تستخدم الحروف المفردة الفارسية والعربية[٣].

وكان لميرزا صالح الشيرازي دور بارز في نشر المطابع في إيران وخاصة بعد عودته من لندن ،إذ كان مبعوثاً لتلقي العلم، وتعلم هناك فن الطباعة وجلب معه آلات الطباعة الحديثة[٤] . وهكذا دخلت المطابع الحديثة، فأنشئت أول مطبعة في تبريز عام ١٨١٢م وتلتها مطبعة طهران عام ١٨٢٣م[٥] .

وبهذا يتضح لنا كيف ساهمت هذه المطابع في ازدياد كمية المطبوعات والمنشورات وبالتالي نشر الوعي بين صفوف المثقفين اولاً ثم بين عامة الناس ثانيا.

١- ابراهيميان ، إيران بين ثورتين، ص١٦٠ .
٢- عيسى صديقي، المصدر السابق، ص٣٤٠ .
٣- بايش جبار زيارة ، المصدر السابق، ص٤٣ .
٤- زكي الصراف، المصدر السابق، ص١٤٤ .
٥- جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمة عمر الإسكندري ، مراجعة د. سليم حسن ، مركز كتب الشرق الأوسط ، دار الطباعة الحديثة، القاهرة ١٩٥٧، ص٩٨ .

أما الأمريكان وضمن سياسة مد النفوذ السياسي والتغلغل الثقافي في إيران ، فانه في عام ١٧٤٠م تم افتتاح أول مطبعة أمريكية في مدينة ارومية وفي عام ١٨٥١م بدأت بإصدار مجلة تحت اسم ((النور المبارك)) إلى جانب مطبوعاتها التي تصدرها في الولايات المتحدة وتأتي بها الى بلاد فارس فانتشرت المطبوعات بين الآشوريين[١] .

وهكذا أحرزت المطابع الإرانية في عهد ناصر الدين شاه تقدماً ملحوظاً وراجت المطبوعات اكثر، كما تأسست المطابع في مختلف المدن الإيرانية مثل بوشهر، مشهد، انزلي، رشت، اردبيل، همدان، خوي، يزد، قزوين، كرمنشاه، كرمان، و كاشان[٢] .

أي إن الطباعة انتشرت في كل أرجاء المملكة وهذا ما سهل نشر المعرفة والاطلاع عبر كل ما يصدر، حيث نورت الصحافة والمنشورات المطبوعة عقول الناس وعرفتهم بقيم و آراء جديدة بدأت تتعارض مع الواقع السياسي القاجاري فبانتعاش الحركة الأدبية وتطور الأدب زاد الوعي السياسي الجماهيري وتكشفت لهم مفاسد ومظالم النظام ومدى تخلف البلاد عن ركب التطورات السياسية التي كانت تشهدها المنطقة وممالك الجوار[٣] .

١- نوري عبد البخيت، من تاريخ النفوذ الأمريكي في إيران ، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، المجلد الخامس عشر ، العدد ١ ، ١٩٨٣، ص١٤٩ .
٢- زكي الصراف، المصدر السابق، ص١٤٥ .
٣- المقصود هنا بممالك الجوار : الدولة العثمانية حيث كانت بدأت بها حركة الإصلاحات الحديثة المعروفة باسم التنظيمات سنة ١٨٣٩ بصدور أول مرسوم سلطاني ((خط شريف كلخانه)) بشأن تنفيذ بعض الإصلاحات ، وكذلك ثورة الدوما ١٩٠٥ ومطالبة الحزب الاشتراكي العمالي بالإصلاحات الاقتصادية والدستورية حيث أثمرت عن قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية ١٩١٧، وفي أفغانستان كان حركة إصلاح للأوضاع السياسية وترتيب البيت الأفغاني . ينظر : عيسى صديقي ، المصدر السابق ، ص٣٤١ .

المبحث الثاني
النفوذ الأجنبي في إيران خلال القرن التاسع عشر

لقد كان عصر الأسرة القاجارية ، من العصور التي شهدت التدخل الاستعماري في إيران، من جانب دولتين عريقتين في الاستعمار وهما بريطانيا وروسيا القيصرية[١] ، ولقد اكتسبت إيران أهمية استراتيجية عندما دخلت الهند في معترك السياسات العالمية وخاصة من قبل الاستعمار البريطاني ، الذي نافسته فرنسا النابليونية عندما فكرت في الوصول إلى الهند عبر مصر وإيران[٢] . بعد هزيمة نابليون بقيت أهمية إيران الاستراتيجية من خلال صراع بريطانيا مع روسيا حول مناطق النفوذ السياسي ، وهكذا ضاعفت روسيا وبريطانيا من نفوذها وقدرتها في إيران باعتبارها من المناطق الاستراتيجية في مناطق الشرق وذلك باتخاذها أساليب عسكرية وسياسية واقتصادية ، مستغلة عدم وجود دولة قوية ونظام سياسي ثابت وضعف القدرات الاقتصادية والعسكرية لإيران ، وتضاعف هذا الصراع ليصل الى المواجهة العسكرية وتقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ[٣] .

كانت إيران خاصة بعد الاهتمام الكبير الذي أخذت بريطانيا توليه لها منذ بداية القرن التاسع عشر مسرحاً لتنافس سياسي شديد بينها وبين روسيا وكان كل من الدولتين تحاولان بسط نفوذهما على إيران لتأمين مصالحهما الاستراتيجية، فبريطانيا كانت تحد نفوذ أية دولة أوربية أخرى لحماية حدود الهند، وروسيا تعمل للوصول إلى الخليج العربي لتأمين تجارتها في تلك المناطق .

وهكذا بدأوا في بلاد فارس بما يسمى بصراع ((الدب والأسد))[٤] . وكانوا يلجأون إلى كل الوسائل الممكنة كالتهديد والرشوة وغيرها للوصول إلى هدفهم[٥] . ومن سوء حظ ناصر الدين شاه إن حكمه قد خلا تقريباً من الرجال المجربين في المجال السياسي والإداري وان معظمهم كان مرتبط وتابع لإحدى قوى النفوذ من خلال السفارة الروسية أو

١- صالح محمد صالح العلي، المصدر السابق، ص١٨ .
٢- وحيد مازندراني، قرار دار ١٩٠٧ بين روس وإنكليز درمورد إيران ، انتشارات مؤسسة فرانكلين، تهران ١٣٤٨ هـ، ص١٦٤ .
٣- المصدر نفسه ، ص١٦٧ .
٤- ادوار سابلييه، المصدر السابق، ص٤١ .
٥-إبراهيم تيموري، عصربي خبري يا تاريخ امتيازات درايران، جاب اقبال، تهران ١٣٣٢هـ، ص٥.

البريطانية ، وكان الشاه يتجنب طرح المسائل السياسية الهامة والسرية في مجلسه لأنه كان يدرك إن في المجلس إما عميل للروس أو عميل للإنكليز[1] .

بعد حرب القرم* ، ازداد التوجه الروسي نحو مناطق آسيا الوسطى وخاصة في عام ١٨٦٥م مما أدى إلى تزايد القلق البريطاني نحو هذا التطور الذي بدأ يهدد الوجود البريطلني في الهند وهذا ما دفع القادة السياسيين البريطانيين إلى التفكير جدياً نحو السياسة الروسية المندفعة بالمنطقة[2] .

أوعزت بريطانيا إلى سفيرها المقيم في سان بطرسبورغ أن تبلغ الحكومة الروسية إن بريطانيا عازمة على حفظ هذا الوضع السياسي السائد ومنع الاعتداء على الأراضي الإيرانية وإنها ستدعم النظام الإيراني وتعمل على تقويته كما طلبت من روسيا أن تعلن الموقف نفسه تجاه ايران، ولكن الروس كانوا يوسعون نفوذهم مما يثير قلق بريطانيا التي فكرت في إيجاد منطقة حياد بينهما[3] .

وبدأت المفاوضات بين لندن وبطرسبورغ وذلك في عام ١٨٦٩م واقترحت روسيا على بريطانيا مقترحاً قبل بريطانيا مبني على عدم تدخل روسيا في شؤون أفغانستان وان تبقى خارج مناطق نفوذها[4] .

في عام ١٨٧٣م حذرت بريطانيا روسيا من ان تمس استقلال وسيادة ايران، خاصة بعد أن قامت روسيا بضم مناطق خيوة ، وسواحل نهر اترك، ومناطق جات، وگيامب، وكما قال دنيس رايت (Denis Right) في كتابه الإنكليز وسط الفرس ((**إن المصلحة الأولى لبريطانيا في فارس هي الحفاظ على استقلال البلد وتكامله بوصفه عنصراً حيوياً في الدفاع عن الإمبراطورية الهندية**))[5] . فكان لابد للانكليز من التحرك السياسي

١- المصدر نفسه ، ص١٩ .

* حرب القرم: ١٨٥٤م – ١٨٥٦م وقعت في شبه جزيرة القرم بين روسيا من جهة والدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا من جهة أخرى مع موقف نمساوي محايد انتهت بمعاهدة باريس للصلح في ٣٠/ آذار/ ١٨٥٦م ببعض التنازلات الروسية لصالح العثمانيين مع تغيرات إقليمية في البلقان . للتفصيل انظر : هربرت فيشر ، تاريخ أوربا الحديث ١٧٨٩/ ١٩٥٠ ، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، ط٧، دار المعارف بمصر،القاهرة ١٩٨٤ ، ص٢٢٥- ٢٢٧.

٢- إبراهيم تيموري ، عصر بي خبري يا تاريخ امتيازات در ايران، ص١٨٩ .

٣- وحيد مازندراني ، المصدر السابق، ص١٨١ .

٤- إبراهيم تيموري، عصري خبري يا تاريخ امتيازات در إيران، ص٣٠١ .

٥- سنشياهلمز، زوجات السفراء في إيران، ترجمة سامي جابر ، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٦، ص٥٤ .

العسكري وان لا تكون بموقف المتفرج ازاء التوسعات الروسية ، لان ايران بنظر الانكليز تمثل موقعاً مهماً تحاذي الهند ((اثمن جوهرة في التاج البريطاني الجميل))[1].

في هذه الفترة كانت ذروة الاعتماد الإيراني على بريطانيا فقد أخذت المشاريع البريطانية طريقها إلى إيران عندما مُنح البارون رويتر امتيازاً لإنشاء عدد من المشاريع في إيران[2] .

وهكذا تم تطويق إيران بشكل تام فروسيا في الشمال وبريطانيا من الشرق والجنوب، وكانوا يسعون داخلها عن طريق نشاط ممثليهم الدبلوماسيين في طهران وقنصلياتهم التي انشأوها في حواضر الأقاليم[3] . فتمتع الروس بموجب اتفاقية أكال (Akhal) بحق التصدي لهجمات التركمان على حدودهم فأقاموا في مشهد قنصلية عام ١٨٨٦م ، وعلى أثرها قام الإنكليز بافتتاح قنصلية ،إذ قامت هاتان القنصليتان بنشاطهم و أصبحت مسرحاً للصراع بين القوتين[4] .

وفي عام ١٨٨٨م كانت روسيا قد عززت نفوذها في إيران من خلال المدربين العسكريين لقوات القوزاق في البلاط الإيراني، ومن خلال المصرف الأستقراضي وغير ذلك من الامتيازات الروسية في إيران ، زيادة على دور المبلغين الدينيين الروس الذين يقومون بواجباتهم التبشيرية في صفوف الشعب الأذربيجاني ، وفتح المدارس والقنصليات في المدن الإيرانية المهمة مثل رشت ، واستراباد ، وبابلسر ، إضافة إلى مدن تبريز ، واصفهان ، وبندرعباس والاهواز[5] . لقد فقدت إيران استقلالها بشكل لم تعد فيه حرة للإسهام في علاقات مستقلة دولياً وداخلياً، واصبح الحاكم الفعلي في إيران هو المفوض الروسي في طهران وليس الشاه القاجاري ، ويصف شاه إيران المخلوع محمد رضا بهلوي في مذكراته التدخل الروسي والبريطاني في بلاده بالقول ((**وكانت سياستنا إذا جاز لنا أن نقول ذلك، تنطلق من هاتين السفارتين وكانت الحكومتان البريطانية والروسية تتقاسمان أراضينا ، وبالكاد تنظران إلينا على إننا من طبقة الخدم، وكانت الاتصالات الدبلوماسية بينهما عبارة عن أوامر قاطعة علينا أن ننفذها**))[6] .

١- فوزية صابر محمد ، ايران بين الحربين العالميتين ، ص٢٤.

2-Ann Lambton, op. Cit, p. 128 .

٣- علي اكبر سياسي ، المصدر السابق ، ص٩٩ .

٤- المصدر نفسه، ص١٠٢ .

٥- وحيد مازندراني، المصدر السابق، ص٦٤ .

٦- محمد رضا بهلوي، المصدر السابق ،ص١٦ .

وهكذا أصبحت إيران ((مثل حبة قمح سقطت بين فكي الرحى))[١] وكانت سيادة الدولة الإيرانية تتهاوى تحت وطأة نفوذ الدولتين ، لكن تنافس الدولتين وصراعهما على إيران هو الذي أنقذها من براثن استعمار أحدهما، وحفظ لها استقلالاً مهزوزاً[٢] .

وقد تعاظم النفوذ الروسي في إيران منذ مطلع العام ١٨٩٠م، إذ أطلق ناصر الدين شاه يد روسيا في إيران وغض النظر عن صداقته لبريطانيا وقد نتج عن ذلك تدخل الدولتين في شؤون إيران وأثارتهما المشاكل لها وتقيدها بعدد من المعاهدات ، وقد ازدادت تجارة روسيا مع ايران، ووصلت صادرات روسيا إلى إيران بـ ٩٠٠,٠٠٠ روبل* ووارداتها بـ ٨٠٠,٠٠٠ روبل وهكذا أصبحت روسيا الشريك التجاري الأول مع إيران[٣]. وإزاء تزايد هذا النفوذ بدأت الصيحات والتهديدات تصدر من المسؤولين والساسة البريطانيين ، فجريدة وسترن برس western press الإنكليزية الصادرة في مدينة بريستول بتاريخ الخامس من ايلول عام ١٨٩٤م أشارت في مقال لها إلى تزايد النفوذ الروسي في إيران و أكدت على عدم قبولها استمرار هذا الوضع ، وان إيران يجب أن تقسم بين الروس والإنكليز كما قسمت بولونيا بين جيرانها [٤].

وفي السياق نفسه أشار سفير إيران المعتمد لدى بريطانيا إلى العلاقات الروسية الإيرانية بقوله : ((**يمكن تلخيص العلاقة الروسية الإيرانية بجملة واحدة وهي نفور وتعدي وسعي منظم لمحو إيران وهذه الأمة – روسيا – ليس فقط طامعة بالولايات الحدودية لها ولكن تقصد تبديل نسل الإيرانيين بنسل آخر والوصول إلى خليج فارس ** وعمان وبحر الهند وبهذا تنهي إيران من الوجود**))[٥] .

وكتب اللورد كرزن وهو صاحب النفوذ القوي في السياسة البريطانية والمرسخ للنفوذ البريطاني على مناطق المشرق قائلا في تقرير له إلى وزارة الخارجية البريطانية حول الأوضاع العامة في الشرق وذلك في عام ١٨٩٩م ، إذ يطرح لاول مرة فكرة تقسيم

١- جميل قوزانلو ، المصدر السابق ، ص٩٥ .
٢- سميرة عبد الرزاق العاني، العلاقات الإيرانية الألمانية منذ أواخر القرن التاسع عشر- ١٩٣٣، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص١٧ .
* الروبل : عملة روسية = ١٠٠ كبيك وكان سعر الروبل آنذاك ٩.٤٧ روبل = ١ باوند استرليني. راجع : كلنل كاساكوفسكي ، المصدر السابق ، ص١١٠ .
٣- صالح محمد صالح العلي ، المصدر السابق ، ص٢٢ .
٤- إبراهيم تيموري ، عصر بي خبري ياتاريخ امتيازات إيران ، ص٣٣٠ .
** يرد مصطلح خليج فارس ، على لسان القادة والساسة الإيرانيين ونحن إذ ننقل النص اضطرارا لكي لا يحرف النص ، مع تحفظنا على تسمية الخليج العربي بخليج فارس .
٥- روابط روس وإيران ،مجلة كفتكو ، تهران ، شماره ١٨ ، سال ١٣٧٦ هـ ، ص٣.

إيران لمناطق نفوذ بين روسيا وبريطانيا وبسط النفوذ البريطاني على إيران ، وحول روسيا كتب يقول: ((**إن روسيا ليست ساعية إلى تحقيق الإصلاحات في إيران و إنما إلى انحطاطها**))[1].

أما عن النفوذ الألماني في إيران فقد ولد في ألمانيا شعار الاندفاع نحو الشرق ((Drang Nach Osten)) والذي كان يقصد به التوغل نحو شرق البحر المتوسط ، ومنطقة الخليج العربي ، بما في ذلك إيران ، التي رفع فيها شعار ((الاعتماد على القوة الثالثة)) باعتباره وسيلة مثلى للحفاظ على استقلال البلاد السياسي ، ومن اجل الموازنة ودفع الضغوط البريطانية والروسية عنها منذ منتصف القرن التاسع عشر[2] .

وتأتي ألمانيا على راس القوى النامية الجديدة التي بدأت ترنو بدورها إلى إيران والمناطق المجاورة لها ، ولم يكن عبثا اقتراح رئيس الوزراء اتابك اعظم عام ١٨٨٩م على برلين بتقديم قروض لإيران مقابل منح مؤسساتها امتياز لمد سكة حديد بين طهران والحدود العراقية [3] .

فقد ظهرت في إيران مدرسة ألمانية ، وفرع للمصرف الألماني وزودت شركة كروبا الألمانية الجيش الإيراني بمعدات ضرورية ، وساهمت الدبلوماسية الألمانية في تخفيف حدة التناقضات القائمة بين اسطنبول وطهران حول قضايا الحدود [4].

إن الملاحظ على سير وتطوير العلاقات الألمانية الإيرانية هو إنها بقيت محصورة في المجال الاقتصادي التجاري ،إذ لم تستطع ألمانيا أن تجد لها نفوذا مؤثرا في السياسة الإيرانية كما هو شأن بريطانيا وروسيا اللتان تحركان الأوضاع الداخلية وفق مصالحهما، ورغم حجم وتشعب العلاقة الألمانية الإيرانية بقي الدور الألماني محدودا وان كان لها دور في فترة أحداث الثورة الدستورية ،إذ سنلقي الضوء على هذا الدور فيما بعد .

أما عن النفوذ الأمريكي في إيران في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فقد كانت أولى العلاقات مع الولايات المتحدة هي عقد معاهدة تعاون اقتصادي وذلك في عام ١٨٥٠م وفي عام ١٨٨٣ تم التمثيل الدبلوماسي بين الدولتين ، إذ بدأ عمل القناصل في

١- وحيد مازندراني ، المصدر السابق ، ص١٨٦.
٢- انظر : سميرة عبد الرزاق عبدالله العاني ، المصدر السابق ، ص١٠-١٦؛ غلام رضا عزيزي ، تأثير نازيسم بر أحزاب إيراني ١٣٢٥ – ١٣٣٣ هـ.ش ، سازمان إسناد ملي كشور ، تهران ١٣٨٠هـ، ص١١ .
٣- فوزي خلف شويل ،إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ص٤٠ .
٤- المصدر نفسه ، ص٤٤ .

المدن الرئيسة طهران ، وتبريز، وموانئ إيران الجنوبية ، وقد حصلت الولايات المتحدة على حقوق مد سكك حديد وامتيازات استخراج المعادن وغيرها من المشاريع الإنمائية[1]. وقد بذل س.ج. بنيامين * (S.G.Benjamin) وهو رئيس البعثة الدبلوماسية إلى إيران جهودا في تحقيق وتوسيع العلاقة مع الولايات المتحدة ، ويرتبط التغلغل الأمريكي في إيران بنشاط المبشرين الذين بدأوا يقطعون المحيطات متجهين نحو إيران[2].

وقد استطاعت المدارس الأمريكية التي تشرف عليها البعثة الأمريكية ((American Presbyterian Mission)) افتتاح أول مدرسة لها في رضائية ((ارومية)) يؤمها الآشوريون والأرمن بكثرة ثم أسس الأمريكيون مدارس للتلاميذ الأكبر سنا من البنين والبنات ، وقد شيدت مدرسة للبنين في همدان عام ١٨٧٠م وأخرى للبنات في عام ١٨٨٢م ، وافتتحت مدرسة للبنين في طهران عام ١٨٧٣م وأخرى للبنات في عام ١٨٧٤م وافتتحت مدارس في تبريز ورشت [3] .

وكان الهدف من وراء هذه الجمعيات التبشيرية هو استغلالها للسيطرة على أقطار الشرق ، إذ تم في عام ١٨٤٠ افتتاح أول مطبعة أمريكية في اورمية وفي عام ١٨٥١ م بدأت هذه الجمعيات بإصدار مجلة شهرية تحت اسم (النور المبارك) إلى جانب مطبوعاتها التي تصدرها في الولايات المتحدة وتأتي بها إلى بلاد فارس ، وقد وصل عدد الإرساليات إلى ٢٤ إرسالية في عام ١٨٨٤ م وكان لها ٢٤ كنيسة كاثوليكية وفي مدارسها ٢٥٠٠ طفل من أبناء المنطقة [4].

وهكذا بقي النفوذ الأمريكي في القرن التاسع عشر محصورا ضمن النشاط التبشيري والحصول على الامتيازات والدخول في لعبة الصراع الدولي على مناطق النفوذ[5].

١- دخالت امريكا در إيران ،مجلة إسلام مستقل ، دانشكاه هرمز كان ، شماره هفدة ، سال ١٣٨٣ هـ، ص٦ .

* س.ج. بنيامين((١٨٣٧ – ١٩١٤)) : وهو ابن مبشر أمريكي ، تخرج من كلية وليمز الأمريكية التي انطلقت منها البعثات التبشيرية إلى الدولة العثمانية وإيران ، تعلم الفرنسية والإغريقية والتركية عين بتاريخ ١٨٨٣\١\٢٩ بوظيفة الوزير المفوض للولايات المتحدة في إيران . ينظر : فوزي خلف شويل، تغلغل النفوذ الأمريكي في إيران ١٨٨٣-١٩٢٥ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٤٦.

٢- فوزي خلف شويل ، ايران في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ص٤٢ .

٣- دونالدولبر ، المصدر السابق ، ص١٩٧ .

٤- نوري عبد البخيت ، المصدر السابق ، ص١٤٩ .

٥- وحيد مازندراني ، المصدر السابق ، ص١٩٦.

إضافة إلى الدول التي ذكرت آنفا كانت لبلجيكا والسويد حصة في بعض الامتيازات الاقتصادية في إيران مع نفوذ محدود جدا في الوضع السياسي ، أما اليابان فإنها البلد الذي كان على عداء مع روسيا وكانت توجهاته نحو بلدان شرق آسيا ولم يستطع ان يصل بنفوذه القوي إلى إيران ما عدا بعض العلاقات البسيطة ، حيث التقى ناصر الدين شاه في سفرته الثانية إلى أوربا ، في بطرسبورغ في بلاط القيصر بالوزير المفوض الياباني المقيم في العاصمة الروسية وجرت محادثات حول تطوير العلاقات السياسية الاقتصادية وعلى أثرها زار طهران وفد ياباني متألف من وزير الخارجية ودبلوماسي كبير مع ضابط في الجيش الياباني و بصحبة خمسة من كبار التجار ، وذلك في عام ١٨٨٠م ، اذ اجروا مفاوضات مع الجانب الإيراني [١].

١- حسين زريني، روابط زاين وإيران در عصر قاجار، انتشارات كوير ، تهران ١٣٧٠هـ ، ص٢٠.

الامتيازات الأجنبية في إيران خلال القرن التاسع عشر

إن الدارس لتاريخ إيران يمكنه أن يلمس طبيعة التأثير الأجنبي في سياسة إيران الداخلية من خلال متابعة الصراع للفوز بأحد الامتيازات في البلاد ، فقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر اتساعا متسارعا وغير مدروس من الجانب الإيراني في منح الامتيازات الأجنبية وخاصة إلى بريطانيا وروسيا .[١]

ولقد جاءت سلسلة الامتيازات التي حصل عليها الأجانب في إيران نتيجة لازدياد النفوذ السياسي الأجنبي باتجاه إيران ، إذ سعت كل من روسيا وبريطانيا في القرن التاسع عشر إلى بسط نفوذها إلى إيران واستثمار ثرواته وإمكاناته ، إذ كانت السياسات الاستعمارية تعتمد مبدأ التدخل العسكري والاحتلال في سيطرتها على الدول ولكن في منتصف القرن التاسع عشر بدأت الدول الاستعمارية أسلوب السيطرة الاقتصادية على مقدرات البلد وبالتالي فرض إرادتها السياسية عليه لتحقيق أهدافها الاستراتيجية الاستعمارية [٢].

كانت نتائج معاهدة تركمانجاي * بعيدة الأثر في مستقبل إيران فإنها قبل كل شيء أضافت أعباء جديدة على نظام الامتيازات الذي غل يد الحكومة الإيرانية في تصريف شؤونها ، إذ إن البلاد بدأت تفقد سيادتها فعلا ، وتحولت إلى اكبر ضحايا المصالح المتعارضة بين روسيا وبريطانيا [٣]. وكانت هذه المعاهدة في واقعها فاتحة عهد جديد من الذلة والهوان لإيران وهو عهد الامتيازات الأجنبية وصارت بلاد إيران مهباً للأطماع

١-طاهر البكاء ، من تاريخ الحياة البرلمانية في إيران من الثورة الدستورية حتى سقوط رضا شاه ، مجلة كلية المعلمين ، العدد السادس والعشرون ، بغداد ٢٠٠١ ، ص٧٨ .

٢-أمير هاشم محدث ، عصر قاجار جندامتيازنامه، انتشارات كتابخانه موزه ومركز إسناد مجلس شواري اسلامي ، تهران ١٣٨٠هـ ،ص١١ .

* معاهدة تركمانجاي : عقدت بين روسيا وإيران في ٢٢/ شباط / ١٨٢٨م تتألف من ١٦ مادة خسرت إيران بموجبها العديد من المناطق الشمالية المحاذية لبحر قزوين مع دفع غرامة حربية مقدارها ثلاثة ملايين باون إسترليني وتشمل امتيازات تجارية واسعة لروسيا . للتفصيل انظر: إبراهيم تيموري ، عصربي خبري يا تاريخ امتيازات در إيران ، المصدر السابق ، ص٢٣٩ ؛ علي بينا ، تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران از كلنباد تا تركمانجاي ١٣٣٤ – ١٢٤٣ هـ ، جلد أول ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٣٣ هـ ، ص٢٥٦ –٢٦١ .

٣- فوزي خلف شويل ، تغلغل النفوذ الأمريكي في إيران ، المصدر السابق ، ص٣٤ .

الغربية[١].إذ بدأت بعد عودة ناصرالدين شاه من سفرته إلى أوربا في العشرين من تشرين الاول عام ١٨٨٩م ، إذ يصف اللورد كرزن (Loard Curzon) إن المستثمرين الأجانب بدأوا بالتوافد على إيران للحصول على امتيازات السكر والتلفونات وتعبيد الطرق وحق الحصول على المحاصيل الزراعية ، ويقول الدكتور فوريه (Foriy) طبيب الشاه الفرنسي : ((**يبدوا إن إعطاء هذه الامتيازات المتتالية سوف يدفع بإيران في أيدي الأجانب**)) ، وقد كانت هذه القوى الاستعمارية تدفع الرشاوي لغرض حصولها على الامتيازات الاقتصادية ، التي بلغت واحدا وعشرين امتيازا عشرون منها في زمن ناصر الدين شاه وواحد في زمن مظفر الدين شاه [٢] .

ولكن ناصر الدين شاه وصدره الأعظم أمين السلطان يريان انهم بإعطاء هذه الامتيازات وبلا خوف وتردد سوف يخدم الحركة العمرانية للبلد وسيؤدي إلى استثمار رؤوس الأموال الأجنبية [٣]. في حين إن الشعب الإيراني رغم ضعف قدراته الإنتاجية وسوء أحواله المعاشية كان مطالبا بتسديد فواتير الإصلاحات دون ان يشعر بعائد مباشر لإشباع احتياجاته اليومية الملحة ، وكان تجار البازار وكبار ملاكي الأراضي ورجال الدين أول من رفضوا الامتثال لمطالب الحكومة المستمرة من المال ، مما اضطر القاجار للاستدانة الخارجية وتقديم المزيد من الامتيازات للأجانب داخل إيران [٤].

إن سوء السياسات المالية المتبعة من قبل الحكومة القاجارية وكثرة الإنفاق باتجاه رغبات وميول البلاط وحالة الإسراف المفتوحة هي التي دفعت الحكومة نحو الاستدانة وسياسة الامتيازات .

في سنة ١٨٩١م كان من المعروف ان الدخل العام لإيران يزيد عن المصروفات العامة بمقدار ١٠٠.٠٠٠ مائة ألف جنيه إسترليني سنويا ولم تكن على الدولة ديون وان المبالغ المدخرة كانت تبلغ أربعة ملايين جنيه ولكن قبل انتهاء حكم ناصر الدين شاه كان هذا الرصيد قد استهلك أكثره ، وفي الوقت نفسه بدأت تتراكم الارتباطات والديون [٥].

١- محمد وصفي بومغلي ، الحروب الإيرانية في القرن التاسع عشر ونتائجها ،"مجلة دراسات إيرانية"، المجلد الأول – العدد الأول ، مركز دراسات الإيرانية ، جامعة البصرة ١٩٨٧ ،ص١٤٣ .
٢- عن هذه الامتيازات تفصيلا انظر : مير هاشم محدث ، المصدر السابق ، ص١٤ – ٢١ .
٣- إبراهيم تيموري ،عصر بى خبري، ص٢٣٧ .
٤- آمال السبكي ، المصدر السابق ، ص١٤ .
٥- ج . ج. لوريمر ، المصدر السابق ، ص٣٠٣٤ .

وهكذا وبعد سبع سنوات أي في عام ١٨٩٨ كان مجموع الدين العام على إيران يبلغ مليون جنيه وفي الوقت نفسه كانت رواتب الجيش والموظفين المدنيين لم تدفع (١).

إن أولى الامتيازات والاستثمارات الأجنبية بدأت في إيران منذ منتصف القرن التاسع عشر وبالتحديد في عام ١٨٥٠م عندما طرح المهندس الإنكليزي روبرت ستيفن سون (R.StephenSon) * فكرة ربط آسيا وأوربا بسكك الحديد لتأمين السيطرة العسكرية على مناطق النفوذ باستخدام طرق مواصلات رخيصة وعمّلية، وكانت هذه الامتيازات تخضع لاعتبارات سياسية خارجية يمليها عليها النفوذ السياسي والاقتصادي لروسيا وبريطانيا(٢) .

فعندما حصل البارون رويتر (Baron Reuter) في عام ١٨٧٢م وهو صاحب مصرف بريطاني على امتياز من ناصر الدين شاه تقع تفصيلاته في اكثر من عشرين مادة أعطت بريطانيا الحق في إنشاء السكك الحديد وطرق الموصلات واستغلال الثروة المعدنية والبترول لمدة سبعين عاماً والإشراف على الأعمال الجمركية لمدة أربعة وعشرين عاماً فضغطت روسيا آنذاك على الشاه ناصر الدين خلال زيارته لها فقام بإلغاء الامتياز لكنه قام بإرضاء رويتر بإنشاء البنك الشاهنشاهي الإيراني(٣).الذي تم تأسيسه برأس مال مليون باوند ومنحه حق إصدار النقود وقداصدر البنك المذكور نقوداً تختلف من مدينة إلى أخرى ، وكان على المسافرين بين المدن دفع عمولة(Commission) لتبديل نقودهم، مما كان يوحي بأنهم غرباء في وطنهم(٤) .

إن معظم الامتيازات كانت حكراً على الروس والبريطانيين ما عدا البعض القليل الذي منح إلى دول أخرى مثل الفرنسيين حصلوا على امتياز التنقيب عن الآثار سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م باسم أحد المواطنين الفرنسيين المدعو مارسيل اوغست ديولافوا

١- لوريمر ،المصدر السابق ، ص٣٠٣٥ .

* روبرت ستيفن سون : من مواليد بريطانيا عام ١٨٠٣م وهو ابن مهندس بريطاني شهير مشهور ببناء القاطرات وتوسيع سكك الحديد داخل بريطانيا وخارجها ، ويعد روبرت صاحب المشاريع المشهورة لمد خطوط سكك الحديد وله مشاريع في مصر والهند ، وقد اثبت إن سكك الحديد يمكن أن تكون وسائط نقل سريعة للمسافرين كما إنها اقتصادية لنقل الفحم من المناجم، توفي عام ١٨٥٩م . راجع: آلان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩- ١٩٤٥ ، الجزء الثاني، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ١٩٩٢، ص٢٩٨- ٢٩٩ .

2-Malcom . E. Yapp, op. Cit, p. 44 .

٣- دونالد ولبر ، المصدر السابق، ص١٠٠.

٤- فوزي خلف شويل، تغلغل النفوذ الأمريكي في إيران ، ص٣٧ .

(Marcel August Dieulafoi) وكان الامتياز محصوراً بمنطقة الشوش حتى عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م عندما جعله مظفر الدين شاه شاملاً لكل الأراضي الإيرانية[١] .

إن معظم الامتيازات التي منحت إلى الدول الأجنبية لم تحقق الفائدة المرجوة لاصلاح النظام الاقتصادي الإيراني المنهار ، ولم تخدم السلطة القاجارية وان حققت لها فوائد آنية كتوفير الأموال اللازمة لفك الأختناقات المالية ، لكن أهم هذه الامتيازات هو امتياز التبغ الذي منح إلى شركة الريجي وصاحبها الميجر تالبوت (Migar Talbot) الذي وقعه مع الصدر الأعظم أمين السلطان وذلك في عام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م وتضمن هذا الامتياز أحد عشر بنداً[٢]، أهمها إن مدة الامتياز خمسون عاماً مع رأسمال قدره ٦٥٠.٠٠٠ليرة [٣] .

هذا الامتياز فجر من الناحية العلمية صراعاً حاداً بين السلطة والشعب لذلك واجه الامتياز رفضاً شعبياً تمثل في ثورة اجتماعية نابعة ومستندة إلى التعاليم الإسلامية التي ترفض كل ما هو حرام وتؤدي إلى ضرر الأمة[٤] . عُدّ الامتياز من الناحية الاقتصادية ذا ضرر كبير من الناحية الاجتماعية فهو ذا منحى تدميري للمجتمع وتركيبته فقد كان منقصة للاستقلال السياسي الوطني ، وان إلغاء الامتياز هو ضربة موجعة للنفوذ البريطاني في إيران وللاستبداد الداخلي المتمثل بالسلطة القاجارية[٥] .

لقد استطاعت ثورة التبغ الشعبية الدينية أن تحطم قدسية الاستبداد القاجاري وان تعطي زخماً للاندفاع الثوري نحو التغيير ، وهنا يكمن الدور الفاعل لرجال الدين المتمثل بفتوى السيد الشيرازي* ، إذ دفع الحكومة الإيرانية إلى التفكير في السياسات المستقبلية

١- محمد وصفي بومغلي، إيران دراسة عامة ، المصدر السابق، ص٢٨٤ .

٢- للتفصيل راجع: وحيد مازندراني، المصدر السابق، ص٢٠ .

٣- انظر: احمد مهابة، إيران بين التاج والعمامة، ط١، دار الحرية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٩، ص٢٠١ ؛ فوزي خلف شويل ،تغلغل النفوذ الأمريكي في إيران ، المصدر السابق، ص٣٧ .

٤- سنعرض في الفصل الثاني حيثيات هذه الأحداث بالتفصيل .

٥- مير هاشم محدث، المصدر السابق، ص٤١ .

* محمد حسن الشيرازي ولد في شيراز عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م، درس الفقه والعلوم الإسلامية في شيراز ، هاجر في عام ١٨٤٣م إلى النجف بالعراق لغرض الدراسة ، نال درجة الاجتهاد وتسلم المرجعية وكان له عدد كبير من الطلاب والمريدين منهم الاخوند الخراساني والسيد كاظم اليزدي وشيخ فضل الله نوري وكان عدد طلابه ٧٣طالباً ثم انتقل إلى سامراء و أسس المدرسة الدينية العلمية، له حوالي تسعة كتب أساسية مهمة ما عدا محاضراته ودروسه وتقاريره ، كانت وفاته في عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م بعد مرض شديد . للتفصيل يراجع : مهدي بامداد، شرح حال رجال إيران ، جلد دوّم ، زوار ، تهران ١٣٥٢هـ، ص٢٨ .

الداخلية لإيران واخذ التحرك الجماهيري بنظر الاعتبار[١] . بقيت إيران في سياسة التجاذب الدولي بين روسيا وبريطانيا، فتارة تعطي امتيازاً هنا وتارة هناك في سبيل التوفيق بين جشع القوتين المتنافستين، فحصلت روسيا على امتيازات في المناطق الإيرانية الشمالية في حين كانت بريطانيا تحصل على امتيازات أخرى ، وكان أهم هذه الامتيازات هو الامتياز البريطاني الخاص بالنفط الإيراني ، ففي عام ١٩٠١ حقق البريطانيون نجاحاً كبيراً في هذا الميدان وذلك عندما استطاع وليم نوكس دارسي (Willaim Konex Darcy)* الحصول على هذا الامتياز بواسطة تقديم رشوة للشاه ورئيس وزراءه أتابك اعظم و أصحاب المناصب العليا في الدولة وبواسطة المفوض البريطاني في طهران وبعد مفاوضات معقدة مع روسيا[٢] .

وعلى ذكر الامتيازات الأجنبية لا بد من التطرق إلى الامتيازات السياسية الممنوحة للأجانب و أهمها قانون الحماية الأجنبية الكابيتولاسيون(Capitalasion)** ،الذي كان سببا في ضعف استقلال وسلطة إيران ، ويضع المتجاوز في وضع الحماية من القوى الأجنبية التي ينتمي إليها الأجنبي ، وان لا يخضع لقوانين وسلطة وقضاء البلد الذي يعمل فيه ، أي الوضع القانوني للأفراد الأجانب المقيمين في بلد ما [٣]. وبعد معاهدة تركمانجاي المعقودة بين إيران وروسيا فرض هذا القانون على إيران بحكم القوي المنتصر ، زيادة على ذلك فرضته بريطانيا بعد خسارة إيران في حرب هرات بأفغانستان ، إذ اصبح لزاما محاكمة الأجانب وفق هذا النظام أي بحضور القنصل أو من ينوب عنه وبقوانين بلده

١- محمود محمود، تاريخ روابط سياسي إيران وانكليس در قرن نوزدهم، جلد هشتم، انتشارات شركت نسبي إقبال وشركاء، تهران ١٣٥١هـ، ص٥٤ .

* وليم نوكس دارسي: بريطاني من اصل كندي ولد في مدينة نيوتن ابوت عام ١٨٤٩م ثم هاجر مع عائلته إلى استراليا وكان عمره ١٧ عاماً أي في عام ١٨٨٦م، كان والده يعمل في مجال الاستكشافات النفطية، عمل محامياً ومهندساً للمناجم ، وحصل على ثروة كبيرة من منجم للذهب عثر عليه هناك ، ثم عاد إلى بريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر ووجه نشاطه للبحث عن النفط في بلاد فارس ، إذ حصل بحكم علاقات صداقة أقامها مع السفير البريطاني في إيران السير درو مونولوف على امتيازات للتنقيب عن النفط الإيراني . ينظر: نوري عبد الحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط العراقي ١٩٢٥-١٩٥٢،الطبعة الاولى ، بغداد ١٩٨٠ ، ص٢٠.

٢- أما بخصوص روسيا فقد تم إرضائها بحيث إن الامتياز لا يشمل المقاطعات الشمالية الخمس وهي أذربيجان وكيلان ومازندران واستراباد وخراسان ، وهي مقاطعات تعتبر محط أنظار واطماع الروس. راجع : فوزي خلف شويل ، ايران في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ص٣٧ .

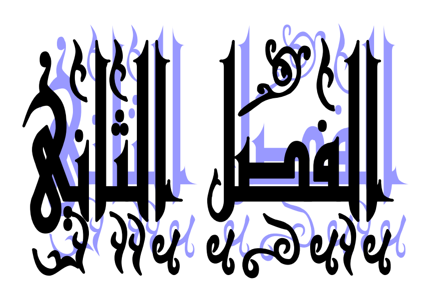
** تم إلغاء هذا القانون في إيران عام ١٩٢٧ . راجع : محمد علي جلونكر ، كابيتولاسيون در تاريخ إيران ، مركز انتشارات انقلاب إسلامي ، تهران ١٣٨٢هـ ، ص٦٧ .

٣- المصدر نفسه ، ص١١٤.

الأصلي بغض النظر عن التهمة الموجهة إليه [1]، واصبح هذا القانون ضربة قاسية إلى سيادة إيران التي لم تستطع أن تقاوم هذا القانون المجحف ، كما في حادثة مقتل صنيع الله* وزير المالية الذي قتل على يد أحد الاتباع الروس حيث لم تقم المحكمة بإجراءاتها الصحيحة وحتى إن السفارة الروسية استطاعت أن تهربه خارج إيران وتعيده إلى موطنه روسيا [2].

وهكذا اصبح المخالفون والخارجون على القانون يلجأ ون إلى سفارة روسيا او بريطانيا من اجل الاستفادة من هذا القانون للتخلص من الأحكام القضائية بحقهم .

١- علي اكبر بينا ، المصدر السابق ، ص١٥٥ .
* وقعت هذه الحادثة في ٤ صفر ١٣٢٩ / ١٩١١م ،إذ القي القبض على المتهمين بالقتل ولكن حسب قانون الكابتولاسيون تم تحويلهم إلى السفارة الروسية ، إذ تعهدت بمحاكمتهم ولكن قامت بطمس القضية دون إجراءات بحقهم . للتفصيل انظر : محمد علي جلونكر ، المصدر السابق ، ص٧٤ .
٢- المصدر نفسه ، ص٨٠ .



عوامل قيام الثورة الدستورية

المبحث الاول
العوامل الداخلية

عدت الثورة الدستورية في ايران مرحلة حاسمة ومهمة في تاريخ ايران الحديث وخضعت الى كثير من التحليلات والتفسيرات ، اذ عدها بعض المؤرخون الى انها نتاجا للتناقضات البنيوية في المجتمع الايراني والتي تكاملت على اساس الافكار التقدمية ، فهي رفعت التناقضات بين القوى التقليدية والتجديدية الى مواجهة المسرح الاجتماعي ، فالثورة في ايران كان لها عوامل داخلية نابعة من صميم مشاكل المجتمع مع تاثير فاعل لاسباب خارجية ، كلها تتفاعل وتعطي ردة فعل جديدة مغايرة للواقع الاجتماعي ومحاولة نسف القديم واحلال الجديد لتتلاءم مع المرحلة الجديدة من متطلبات الثورة .

وتعد هذه الفترة ١٨٩٦م – ١٩٠٥م وهي فترة حكم مظفر الدين شاه*، الفترة التي تبلورت بها الاتجاهات الوطنية ، وخلالها برزت فئة المثقفين والمجددين وترسخ دور التجار بشكل واضح مع بروز الخط الثوري لرجال الدين ، ولتلعب هذه الاتجاهات دورا فاعلا في عملية الصراع السياسي الذي توج بالثورة الدستورية .

وقد اعتبرت ثورة التنباكو من اهم المقدمات والاساس القوي لقيام الثورة فلا يؤرخ للثورة الدستورية ١٩٠٥ دون البدء باحداث إنتفاضة التبغ ،لانها تمثل البداية الحقيقية للثورة الدستورية بما ترتب عليها من تفعيل الوعي الجماهيري للتغيير (١).

---

* مظفر الدين شاه :ابن الشاه ناصر الدين ، ويعد خامس ملوك القاجاريين ، ولد في ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١م ، تولى الحكم وعمره ٤٦ عاما ، وصف بالضعف وقلة الارادة وسيطرة الاخرين عليه خلال فترة ولايته للعهد في اقليم اذربيجان ، اتبع سياسة الاعتماد على روسيا وبريطانيا ، محبا للسفر الى اوربا بحجة العلاج ، في عهده منح الدستور بعد ثورة شعبيه ، توفي في الرابع من كانون الثاني عام ١٩٠٧م ، خلفه في الحكم ابنه محمد علي . انظر : عليرضا اوسطي ، المصدر السابق ، ص٢٠٦ .

١ ـ ماشاء الله شمس الواعظين ، العلاقات العربية الايرانية الاتجاهات الراهنة وافاق المستقبل ، بحوث ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٦ ، ص١٧٢ .

اولا : إنتفاضة التبغ

عد إمتياز التبغ [1] ، مرحلة هامة في تاريخ ايران الحديث ، ترتب عليها قيام اهم حركة اجتماعية ، وسياسية ، وشعبية ، فهي من الناحية الفكرية والعقائدية ذات جذور اصيلة نابعة من فكر المجتمع الاسلامي الايراني المضاد لكل ماهو حرام ومفضي الى الضرر الاجتماعي الواسع [2]، وقد اختلف المؤرخون المختصون بتاريخ ايران حول تسميتها ، فالبعض سماها ثورة والاخر بحركة او نهضة والبعض وصفها انتفاضة ضد سياسة الامتيازات التي كانت تمنحها الحكومة للاجانب ، ومهما اختلفت التسميات فانها كانت ردة فعل شعبية قوية ضد سلطة الشاه كما كانت ميدانا حقيقيا لاختبار القدرات الاجتماعية للمؤسسة الدينية والفكرية والمهنية تجاه سلطة وحكومة الشاه [3]. فالامتياز الممنوح من قبل الشاه في زيارته الثالثة الى بريطانيا [4] ، تم بالاتفاق مع السياسي البريطاني مازورث تالبوت ، مستشار رئيس الوزراء سالسزبوري ، وكان تالبوت يملك شركة ((ريجي)) وقد نص هذا الامتياز المعقود في ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م على ان تقوم الشركة بشراء ، وبيع ، وحصر كل الاعمال الخاصة بالتبغ [5]. في داخل وخارج ايران ولمدة خمسين عاما وبراسمال قدره ستمائة وخمسون الف ليرة، لقد اثار وضع شركة الريجي الشكوك لدى عامة الشعب الايراني اذ اقامت الشركة مقرا لها في طهران والمحافظات وزودته بمختلف الاحتياجات ،اذ وضعت في مقراتها حماية قوية ومسلحة واعتدة فوق الحاجة [6] .

١- للتفصيل عن بنود الاتفاق ينظر الى : حسين اباديان ، انديشة ديني وجنبش ضد رزي درايران ، انتشارات مركز اسناد اسلامي ، تهران ١٣٨٠ هـ ، ص١٦٩ .

٢- جلال فرهمند ، ايدئولوزي ظل السلطاني ، مجلة بهارستان ، تهران ، شمارة ٣١ ،سال ١٣٨٠هـ،ص٢١

٣- قام الشاه بعدة زيارات الى اوربا كانت الاولى عام ١٨٧٣م ، والثانية ١٨٧٨م ، والثالثة عام ١٨٨٩م . انظر : لوريمر ، المصدر السابق ، ص٢٨٨٩ .

٤- حسين ابادیان ، المصدر السابق ، ص١٣٥ .

٥- يقدر ناتج ايران من التبغ بحدود ثمانية عشر مليون منّ أي ما يعادل اثنا وخمسين الف ومائتين وثلاثين طن ، ومن هذا الناتج ينقل ما مقداره مليون وخمسمئة الف طن أي اربعة الاف وستمئة وخمسين طن الى بغداد وبيروت والقاهرة والهند وافغانستان والباقي للاستهلاك المحلي . انظر : جورج كرزن ، المصدر السابق ، ص٤٤٩ .

٦-ابراهيم تيموري ، تحريم تنباكو ، اولين مقاومت منفي درايران ، شركت سهامي كتابها جيبي ، تهران ١٣٦١ هـ، ص١٩٥ .

كما تدفق إلى إيران ما يقارب المائة ألف رجل وامراة من الانكليز بدعوى ادارة مرافق الشركة واعمالها ، وبدأوا باعمال التبشير المسيحي وبالوقت نفسه قامت النساء الانكليزيات بنشر المفاسد والاخلاق الغربية الغريبة عن تقاليد المجتمع الايراني وخاصة في صفوف الرجال [١].

وهكذا نمت حركة شعبية واسعة النطاق ضد الامتياز الذي يمثل من جهة الاعتداء على احدى خصوصيات المواطن -التدخين - والسيطرة البريطانية في الشركة من جهة اخرى، ولم تكن الشعوب الايرانية سلبية ازاء هذه الاتفاقيات المجحفة بل قاومتها بشدة وعنف [٢].

وكان على الحركة الشعبية هذه ان تستند وترتكز الى قيادة قوية وموجهة لها في التعامل مع هذه الازمة التي اخذت شكل المواجهة السياسية مع البلاط القاجاري لاول مرة وبهذا الشكل الواسع من التحدي والمواجهة ، فقد تصدى رجال الدين لسياسة الشاه لانهم عدوا الامتياز ضربة لاقتصاد المجتمع واهانة لثقافته وافكاره فبرزت القيادات الدينية من طهران بزعامة الميرزا حسن الاشتياني والميرزا جواد اغا مجتهد تبريز واغا نجفي * في اصفهان واكبر فال اسيري في شيراز [٣].

لقد ايقنت فئات الشعب بضرر هذه السياسات الاقتصادية التي اثرت بالمواطن واثقلت كاهله بالضرائب ، و أساءت الى الحرف اليدوية والزراعة ، وجعلت المواطن يبحث عن وسيلة للخلاص من هذا الواقع المرير، في بلد لم تكن فيه احزاب سياسية قادرة على توجيه العملية السياسية بشكل مقاومة ورفض ، ولم يكن غير رجال الدين الذين هم اصبحوا في الوقت نفسه في موقف الند والمعارض لسياسة الحكومة بحكم تضارب المصالح الاقتصادية والشرعية ، فمن الناحية الاقتصادية والاجتماعية تمتعت سلطة رجال

١- ابراهيم تيموري ، تحريم تنباكو ، ص١٩٩ .

٢- حربي محمد ، تطور الحركة الوطنية في ايران ، الطبعة الاولى ، دار الثورة ، بغداد ١٩٧٢ ، ص٨ .

* اقانجفي : ابن الحاج محمد باقر النجفي ، ولد في ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م ، درس العلوم الدينية كافة واصبح مجتهدا ومسؤولا عن الحوزة الدينية في اصفهان عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م ، حارب النفوذ الاجنبي وفتنه البابية ، في عام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م اشترك في ثورة التنباك ، وعند اعلان الثورة الدستورية كان قائدا للثورة هناك وتمكن من طرد حاكم اصفهان ، توفي عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م.انظر: عليرضا اوسطي ، المصدر السابق ، ص٣١٧ .

٣- ماشاء الله شمس الواعظين ، المصدر السابق ، ص٣ .

الدين بتمويل مالي خاص وهذا ما مكنها من ان تؤدي دورا خطيرا ومهما على مستويات الصراع السياسي [١].

وقد كان لرجال الدين القدرة في ان يبرزوا كزعماء في الازمات لقيادة العامة ضد الاوضاع والقرارات التي لا ترضيهم [٢]. فوقفوا ضد حالة الجمود التي يعاني منها النظام القاجاري وكانوا يطالبون دوما باحداث تغييرات في البنية السياسية والاقتصادية ليتمكن المجتمع في مواصلة حياته ومواكبة عصره وتجاوز ازماته [٣]. ومن هنا يتضح لنا ان معظم رجال الدين ان لم يكن كلهم قد اصبحوا في حكم المجددين المطالبين بالتغيير والاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي [٤].

فرجال الدين المجددون كان لهم مركز محترم بين الناس من خلال دورهم في شرح التعاليم الدينية ، وحل المعضلات بين السلطة والشعب ، كونهم يسيطرين على قطاع التعليم - الكتاتيب - ، مع قدرتهم على تحريك العواطف الدينية عند الافراد وتحويلها الى طاقة سياسية تدفع بهم الى الثورة والانتفاضة خاصة في المناسبات الدينية مثل ماساة استشهاد سيدنا الحسين * في شهر محرم الحرام [٥]. وبالمقابل فان النزعة التسلطية لدى الحاكم والتقبل السياسي من قبل المحكوم ادى الى النفرة وعدم الولاء للسلطة الحاكمة ، اذ ان الخوف من السلطة هو المسيطر على الفرد الايراني وكل ما يمت اليها بصلة ، وهذا ما يدفع بالمواطن الى الارتكاز الى قيادة رجال الدين الروحية وخاصة المجددين منهم ، الذين يطالبون بالتغيير لصالحهم والدعوة الى تحسين اوضاعهم العامة [٦].

تحرك رجال الدين المجددون نحو اثارة الراي العام الايراني من خلال بيان مفاسد واضرار هذا الامتياز على اقتصاد وثقافة البلد ، وضمن تحركهم هذا اتجهوا نحو العراق

١- فيصل عبد الجبار عبد علي ، المصدر السابق ، ص٢٠ .
٢- المصدر نفسه، ص١٢٤ .
٣- داريوش قمري ، المصدر السابق ، ص٨٥ .
٤- كورش صالحي ، المصدر السابق ، ص٤٣ .
* وهي واقعة الطف التي وقعت بكربلاء سنة ٦١ هـ عندما جرت المعركة بين الامام الحسين بن علي وانصاره وبين جيش الامويين الذي تزعمه زياد بن ابيه وبعد معركة دامية استشهد بها الامام الحسين مع صحبه ، اذ قتل على يد شمر بن ذي الجوشن ، وقد خلد المسلمون هذه الواقعة واعتبرت رمزا للصراع بين الحق والباطل ودخلت في وجدان الامة الاسلامية بشكل تراجيدي ، وتقام لها المراسيم سنويا في شهر محرم الحرام .
٥- فيصل عبد الجبار عبد علي ، المصدر السابق ، ص١٢٨.
٦- حسين ابادیان ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .

مرة اخرى ، من خلال قوة ونفوذ السيد الشيرازي المقيم في سامراء لما له من قوة تاثير على كافة المسلمين [١].

فتحرك الشيرازي من خلال بعثه رسائل وبرقيات الى كافة رجال الدين في ايران ممن يمكن الاعتماد عليهم ومن غير المرتبطين بمصالح مع الشاه والحكومة ، و قد سبقها برسالة بعث بها الى شخص ناصر الدين شاه يوضح له فيها عن مساوئ هذا الامتياز ،اذ يذكر ((**ان الامتياز يسمح ويجيز للاجانب بالتدخل في الشؤون الداخلية لاقتصاد وحياة الناس ، وهذا يعني هدم للاقتصاد الوطني واشاعة للمفاسد بين صفوف المجتمع ، واضعاف لا ستقلال وهيبة البلاد**))[٢].

وفي الاتجاه نفسه تحرك السيد جمال الدين الافغاني نحو رجال الدين المجددين فاتصل بالسيد الطباطبائي في ايران والسيد الشيرازي بسامراء ، اذ بعث برسالة جاء فيها ((**من لندن الى سامراء – العالم الخبير الفاضل البصير والمحقق التحرير – ان الامة قد احدقت بصرها الى نفوس عظيمة تقوم بناصرها وتنقذها من ورطة مهلكة ، ومن يكون افضل لهذه الوظيفة منك وانت عزيز العقل ذكي الفطرة عالي الهمة والنسب ، اخبرك ان ثبات العلماء في البلاد الايرانية قد اعلى كلمة الاسلام وعزز شأنه وانار برهانه وقد هاب الافرنج هذه القوة ، وايقنوا ان للدين مناصرين لايخشون في سبيله شوكة المتجبرين**))[٣]. اما السيد الشيرازي فقد ساند فتواه معظم رجال الدين في ايران ، لانهم ايقنوا بمخاطر الهيمنة الاجنبية من خلال تسلط الشركات على مقاليد الاقتصاد في البلد ، وكذلك ان انتشار المفاهيم الغربية – الكافرة - هو تهديد لنفوذ وسطوة رجال الدين واضعاف لمركزهم في قيادة المجتمع روحيا ، وعدم السماح للاجانب من تسلطهم على مقدرات البلاد [٤]. ضمنت فتوى التحريم مع بيان اصدره رجال الدين تحت اسم ((المقالة الوطنية)) علق على الجدران والبوابات ، ووزعت نسخ منه في المدارس والمساجد والشوارع ، يؤكد على الموقف الحازم اتجاه رفض الامتياز ووجوب الغائه لما له من

١- جلال فرهمند ، المصدر السابق ، ص٧ .
٢- ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيان ، جلد اول ،بنياد فرهنك ايران، تهران ١٣٤٩هـ، ص٣٧.
٣- المصدر نفسه ،ص٥٠ .
٤- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ،جلد اول،انتشارات سقراط، تهران١٣٢٨هـ، ص١٧.

مساوئ و اخطار على الامة [١]. ومن هنا بدا الافتراق في المواقف بين رجال الدين المجددين والشاه [٢].

فتحت هذه الازمة باب المواجهة بين رجال الدين والشعب من جهة والملك القاجاري ناصر الدين شاه من جهة اخرى ، وطرحت مسألة الشرعية للملكية المستبدة ، بل وصل الامر الى ان الشعب المنتفض هاجم قصر الشاه ورجمه بالحجارة [٣].

لقد قاد رجال الدين الانتفاضة ضد تبني الشاه لامتياز الشيخ من واقع ان الامتياز يكرس الهيمنة الاقتصادية على ايران وبدورها فهي تكريس لهيمنة سياسية عسكرية فالسيد الشيرازي الذي اصدر فتواه من سامراء وحرم بموجبه استعمال التنباك على أي نحو ، كان يدرك مدى خطورة الموقف وابعاده السياسية [٤].

ولولا موقف السيد الشيرازي لشهدت ايران ظروفا تشبه ظروف شبه القارة الهندية التي تحولت الى مستعمرة كاملة من مستعمرات بريطانيا ، فقد دخلت بريطانيا الى شبه القارة الهندية في البداية عن طريق شركة الهند الشرقية * ، وقد كانت في القارة الهندية ممالك اسلامية قوية ، لكن هذه الممالك وقفت عاجزة امام الهيمنة الاقتصادية لتتحول تلك الهيمنة فيما بعد الى هيمنة عسكرية كاملة وكانت ايران المرشحة لذلك ، ولكن بموقف

١- ناظم الاسلام كرماني ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

٢- يتضح من خلال المراحل التاريخية السابقة ان علاقة الشاه مع رجال الدين كانت علاقة روحية شرعية حسب التقليد الصفوي المتبع الذي يوجب حصول الشاه على اجازة من نائب الامام الحجة المنتظر لقيادة الامة حتى يصبح نظامه شرعيا ، ولكن هنا بدات العلاقة تفترق وتتباعد اذ وقف رجال الدين بالضد من السلطة وقيادة الشعب في المواجهة الشعبية . راجع : فؤاد ابراهيم ، كذري بر انديشه سياسي شيعة ولايت فقيه در عصري قاجار، ترجمت محمد باغستاني ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي، تهران ١٣٨٠هـ ، ص٥ .

٣- ابراهيم تيموري ، عصر بي خبري ، المصدر السابق ، ص٢٠١.

٤- نص الفتوى (بسم الله الرحمن الرحيم : اليوم استعمال التنباكو والتتن باي نحو كان يعتبر محاربة للامام صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه). ينظر : فؤاد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

* شركة الهند الشرقية : شركة بريطانية تاسست في الحادي والثلاثين من كانون الاول عام ١٩٠٠م في عهد الملكة اليزابيث الاولى بدأت نشاطها عام ١٦١٢م بانشائها اول محطة لها في مدينة سورات على الساحل الشرقي للهند ، دخلت في صراع مع القوى الاستعمارية الهولندية والفرنسية ، اصبح لها قوات عسكرية نظامية . تطور نشاطها منذ ١٦٩٨م بالاعانة الحكومية البالغة ٢ مليون جنيه . في عام ١٨٥٨م صدر مرسوم ملكي باحالة شؤون الشركة الى الحكومة . للتفصيل انظر: محمود عبد الواحد محمود ، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند (١٦٠٠-١٦٦٨) ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب ، جامعة بغداد، ١٩٩٣م ، ص١٨ –٣٢ .

الشيرازي واحباط محاولة تمرير الامتياز نجت ايران من الهيمنة العسكرية والغزو المباشر [١].

لقد ادرك الشاه ناصر الدين مدى خطورة رجال الدين ، وحاول ان يشق صفوفهم من خلال ارساله وزير الخارجية ((قوام الدولة)) لغرض اقناع اية الله الاشتياني وهو مجتهد طهران الاكبر بان يصدر فتوى مضادة لفتوى الشيرازي ، ولكنه رفض طلبه بشدة فصدر امر بحقه وهو ان يترك العاصمة طهران ، مما زاد من غضب فئات الشعب ضد الحكومة وهاجوا لهذا الامر [٢].

وهكذا يكمن الدور الفاعل لرجال الدين في التصدي للامتياز ورفض السياسات الحكومية تجاه الشعب ، اذ جعل الحكومة الايرانية تفكر بالسياسات المستقبلية الداخلية آخذة التحرك الجماهيري بنظر الاعتبار [٣]. ان نهضة التنباكو الشعبية استطاعت ان تحطم قدسية الاستبداد القاجاري وان تعطي زخما للاندفاع نحو التغيير في مجتمع فرضت عليه قيود وقوالب ثقيلة من تقاليد النظام [٤]. اما عن المؤثرات الاجنبية في السياسة الداخلية فيتضح من خلال المواقف المعلنة ، فبريطانيا مثلا اعلن وزيرها المفوض في رسالة بعث بها الى الصدر الاعظم في الثاني عشر من تموز عام ١٨٩١م مخاوفه من نفوذ الشيخ محمد اغا تقي مجتهد مدينة اصفهان ، اذ قام الشيخ بخلق قاعدة شعبية قوية له واستغل نفوذه التجاري في فتح محلات تجارية تسهم في خلق قاعدة اقتصادية للثورة ، واعتبره عنصرا مفسدا وخطيرا ومضرا بالمصالح البريطانية السياسية والاقتصادية ، وعلى الشاه ابعاده خارج مدينته [٥].

فبريطانيا كانت تدعم الامتياز وتريد تمريره لكون صاحب الامتياز بريطاني ، ويحقق مصالحها داخل ايران ، على عكس الموقف الروسي المناهض للامتياز ، لكونه يهدد نفوذها ومصالحها ، ويعطي مساحة اوسع للنفوذ البريطاني وعلى حساب نفوذها في ايران .

١- داريوش قمري ، المصدر السابق ، ص٨٣ .
٢- زهرا شجيعي ، نما يندكان شوراي ملي در بيست ويك دوره قانونكزاري ، مؤسسه مطالعات وتحقيقات اجتماعي ، تهران ١٣٤٤هـ ، ص١٩ .
٣- محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليز در قرن نوزدهم ، جلد ششم ، جاب جهارم ، شركت نسبي اقبال وشركاء ، تهران ١٣٥١هـ ، ص٧٦ .
٤- ابراهيم تيموري ، تحريم تنباكو اولين مقاومت منفي درايران ، ص٢١٣ .
٥- ابراهيم صفائي ، اسناد بركزيده سياسي قاجارية ، ص١٤٨ .

فالروس نبهوا الى مخاطر امتياز التبغ ، فاثاروا خواطر رجال الدين على الخصوص ونبهوهم الى ان التبغ الذي يدخنه اكثر رجال الامة الايرانية لا يصل الى مدخنيه الا بعد ان يمر بايدي النصارى ، فهبت الامة الفارسية بهذا المحرك الديني[١].

وفي طهران اعلن السفير الروسي اعجابه بما شاهد من هياج عام ضد الاتفاقية واصفا ذلك دليلا على غيرة الايرانيين واخلاصهم لدينهم ، وهتف على ملأ من الناس قائلا ((**زنده باد اتفاق مسلمانها**)) وتعني ((**ليحيا اتفاق المسلمين**))[٢].

وفي العراق قيل ان القنصل الروسي سافر من بغداد الى سامراء بغية مقابلة السيد الشيرازي وعرض عليه اتخاذ جميع الوسائل الممكنة للقضاء على الاتفاقية حتى لو ادى ذلك الى خلع الشاه [٣]. اضطر الشاه في النهاية الى الغاء الامتياز تحت الضغط الشعبي الواسع والذي امتد الى ولايات ايران زيادة على طهران ، فقد تحولت المؤسسة الدينية (رجال الدين)[٤]، الى محركة اساسية لها ولم تبقى بعيدا عن الاحداث السياسية خدمة لمصالحهم الاقتصادية والاجتماعية زيادة على واجبهم الشرعي في التصدي لما هو مضر بالاسلام والشرع [٥].

وهكذا بينت نهضة او حركة التنباك مدى الفجوة الراسخة بين السلطة القاجارية والشعب الذي عبر من خلالها عن امتعاضه من مجمل السياسات الحكومية ومحاولة اجراء تغير حقيقي يفضي الى حالة صحيحة في مجمل العلاقة مع النظام[٦]. لهذا كانت حركة التنباك بداية لتحركات اوسع في الحركة الوطنية الايرانية ، اذ لم تمض الا اربع سنوات حتى اغتيل الشاه بعدها ، ثم تلتها حركات سياسية وشعبية انتهت الى قيام الشعب بثورة المطالبة بالدستور وتصحيح الاوضاع وذلك في عام ١٩٠٥ ، وهكذا وقفت القوى الوطنية الدينية والعلمانية ساعية نحو هدف مشترك الا وهو القوى الرجعية وسلطة القاجار المستبدة [٧].

١- مملكة ايران بين انكلترة وروسيا ، مجلة الهلال ، المصدر السابق ، ص٢٦٣ .
٢- حربي محمد ، المصدر السابق ، ص٨ .
٣- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الثالث ، مطبعة الشعب ، بغداد ١٩٧٢، ص٩٤ .
٤- ترد علينا مصطلحات مرادفة لرجال الدين فاحيانا ترد المؤسسة الدينية ، الملالي ، العلماء ، المراجع ، المجتهدين .
٥- احمد مهابة ، المصدر السابق ، ص٢١٥ .
٦- فؤاد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص١٧ .
٧- للمزيد ينظر : فيليب حتى ، موجز تاريخ الشرق الادنى ، ترجمة انيس فريحة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ ، ص٢٨٤ .

ثانيا: دور الصحافة

ادت الصحافة وحركة التأليف والكتابة والترجمة دورا فاعلا في الحياة الفكرية والسياسية للمجتمع الايراني ، اذ كانت تنبع من اتجاهين مختلفين و متضادين هما اولا الاتجاه الحكومي - البلاط - الذي اضطرالى مسايرة الاوضاع العامة باصدار مجموعة من الصحف لتكون لسان حال الحكومة ووسيلة من وسائل السيطرة على المجتمع والى حد ما .

اما الاتجاه الثاني فهو الشعبي المعارض ، وهي صحف المعارضة في المهجر والتي كانت تدخل الى ايران سرا لتقرأ هناك وتاخذ دورها في تنوير المجتمع ضد السلطة القاجارية ، و كانت تقرأ في نطاق النخب المثقفة وفي المجالس الادبية والفكرية .

وقد دأب مثقفو وشخصيات ايران العلمية على التزاور والالتقاء في بيوت علم وثقافة اشبه ما تكون بصالونات اوربا الثقافية [١]. وبسبب تفشي الامية في صفوف الايرانيين ، وانعدام الاحزاب التي تطرح برامج عمل واضحة ، وانعدام وسائل الاتصال المرئية والمسموعة ، لجأ المفكرون والمثقفون الى وسائل الصحافة - الصحف والبيانات والمنشورات - لامكانية ايصالها للمواطن العادي [٢].

ورغم ان الصحافة الايرانية تعود الى نهايات القرن الثامن عشر * ، الا ان البداية الرسمية كانت بصدور جريدة ((وقائع اتفاقية)) الصادرة في السابع من شباط عام ١٨٥١م التي تغير اسمها فيما بعد الى ((روزنامة دولت عليه ايران)) [٣]. وقد بدأت الصحف الرسمية بالزيادة ولكن بشكل بطيء جدا ، لتصبح سبع جرائد تمثل الخط السياسي للبلاط القاجاري [٤]. لم تستطع الصحف الايرانية الصادرة في الداخل من تأدية دورها الحقيقي في ايقاظ الشعب الايراني ، وشرح افكار المصلحين ، لانها كانت خاضعة للرقابة الحكومية ، ولم تهتم الا بالاخبار الرسمية ، وبعض طرائف واخبار العالم ، ولا

١- كورش صالحي ، المصدر السابق ، ص٩٠ .
٢- فريدون كلستاني ، راه هاي ارتباطات ، مجلة همشهري ، تهران ، شمارة ٦٤١، سال ١٣٨٠هـ،ص٧ .
* اول صحيفة صدرت باللغة الفارسية اصدرها المفكر الهندي رام مهان دور (١٧٧٢م – ١٨٣٣) باسم اخبار فارسي ،اما الصحف التي صدرت في ايران فهي ملتي – الامة – ١٨٦٦م ، اطلاع ١٨٧٨ المعارف ١٨٧٩م . انظر : احمد عبد الكريم ، الصحافة الايرانية ، منشورات وزارة الاعلام، مديرية الاعلام العامة ، بغداد ١٩٧٢ ، ص١٤ ؛ زكي الصراف ، المصدر السابق ، ص٢١٣.
٣- المصدر نفسه ، ص٢٢٤.
٤- عيسى صديقي ، المصدر السابق ، ص٣٦٥ .

تتطرق الى المواضيع السياسية والفكرية ولاتمس بسيادة وقرارات الدولة ولاتدعوا الى التغيير والثورة او انتقاد الاخطاء والسلبيات في البلد [(١)].

اما الصحافة المهمة التي هي ضمن نطاق بحثنا فهي صحافة المعارضة او صحافة المهجر ، لانها ركزت على دعوات التغيير والوقوف بالضد من سياسة النظام القاجاري ، وكانت تحرض المواطنيين على الثورة من خلال بيان المفاسد وتشخيص اخطاء النظام .

وجاءت صحافة المهجر نتيجة لجهود الوطنيين والمعارضين في الخارج الذين فروا من ظلم النظام ، او فضلوا العيش خارج ايران والعمل من هناك في بث افكارهم والدعوة الى الثورة من خلال صحفهم وبياناتهم مثل عبد الرحيم طالبوف [*] ، الذي كان مقيما في اسطنبول ، واصدر في عام ١٨٨٨م جريدة شاهسون ، اذ كانت ترسل الى ايران لتوزع بين طبقة المثقفين لقراءتها ومتابعة اخبار العالم [(٢)]. كذلك صدرت جريدة قانون في ١٨٩٠م من قبل ميرزا مالكم خان الذي كان مقيما في لندن وتحت شعار (الوحدة والعدالة والتقدم) ثم توالت الصحف بالاصدار [**] ، مما اجبر الصدر الاعظم (امين السلطان) باصدار قرار منع بموجبه دخول الصحف الصادرة في الخارج الى ايران ، لان هذه الصحف تصدر باللغة الفارسية وفيها انتقادات للوضع القائم وقد اصبحت لها قاعدة من القراء والمهتمين[(٣)].

كانت صحيفة (قانون) الصادرة في لندن من اهم الصحف التي تنتقد الوضع الداخلي وتبين مساوئ النظام فقد جاء في العدد الاول : ((**ان كثير من الايرانيين هاجروا تاركين الوطن ، وتفرقوا في البلاد الاجنبية ، وبعضهم احس وادرك مدى تطور هذه البلدان ، وايقنوا ان خير وسيلة للتطور وزيادة الوعي هي الصحافة الناقدة**)) ، فقام جمع من

١- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٧١ .

* عبد الرحيم طالبوف : ولد عام ١٢٥٠هـ / ١٨٤٣م في مدينة سرخاب من اعمال تبريز وترك مسقط راسه مع والده وسافر الى القفقاس ليعمل بالتجارة مع والده ، درس اللغة الروسية وادابها ودرس ثقافات العالم السائدة ، تعلم التركية والعربية ، ساهمت مؤلفاته في نشر الوعي الثقافي والسياسي بين صفوف القراء الايرانيين ، من مؤلفاته سفينة الطالبين ، مسالك المحسنين ، مسائل الحياة ، اتهم بالالحاد وكفره العلماء المسلمون مثل شيخ فضل الله ، استقر اخر عمره في قريته وكان يتردد عليه المثقفون والرواد . للتفصيل عنه ينظر : علي رضا اوسطي ، المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

٢- زكي الصراف ، المصدر السابق ، ص٢٦٣ .

** مثل صحيفة اختر – النجمة – في اسطنبول عام ١٨٧٥م وحبل المتين عام ١٨٩٣م في كلكتا وصحيفة ثريا في مصر عام ١٨٨٩م ، صحيفة برورش – التربية – ١٩٠٠ وجهر نما في القاهرة وغيرها من الصحف . للتفصيل ينظر : سيد فريد قاسمي ، مجلة نكاري درايران ازاغار تاصدورفرمان مشروطيت ، نشرية كتابخانة مركزي دانشكاه تهران ، تهران ١٣٧٢هـ ، ص٣.

٣- احمد عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

طلاب الحرية وعشاق التطور واصحاب الكرم بجمع معونات مالية لدعم هذه المطبوعات والصحافة [١].

كما جاء فيها : ((**ان ايران الغنية بالخيرات ولكن معظم الشعب محروم منها ، فالحاكم يعين ويعزل دون قانون وتقوم السلطات بحبس وسجن المواطن دون أي ذنب او قانون قضائي عادل ، فكل شيء في البلاد بلا قانون))** [٢].

لقد ركزت الصحافة الايرانية في وقتها على مساوئ النظام ، وبشكل خجول ، لان قوة المعارضة لم تصل الى حد الجهر والاعلان صراحة بمواقفها من سلطة الشاه والحكومة، ولكن رويدا رويدا بدأت تسمي الاشياء بمسمياتها لكي تكون الكلمة هادفة واضحة .

كما ظهرت الصحافة الساخرة لاول مرة في تبريز ضمن مجلة اسمها شبنامة وكانت توزع ليلا وبشكل سري وتطالب الحكام باصلاح الوضع العام وباسلوب ساخر ، ومن الصحف والمجلات المهمة الصادرة في تبريز هي مجلة ((كنجنيه فنون)) وتعني بالعربية كنز المعرفة وكانت بداية صدورها في عام ١٩٠٢م وقد قام باصدارها المفكر والسياسي الايراني سيد حسن تقي زادة * ، اذ كان ينشر على صفحاتها ترجمة كتاب المفكر الفرنسي غوستاف لوبون (G.Le'Bon) والمعنون باسم ((المدنيات القديمة Les preme'res Civilistions)) ، وقد كانت هذه من المجلات الراسخة والمتينة في صفحاتها ويديرها عدد من الكتاب والمثقفين الذين لهم تاثير قوي على القراء الايرانيين رغم قلتهم قياسا الى عامة الشعب ، لكن التاثير كان يصل الى كل فئات الشعب ، لانها تستخدم الاسلوب الواقعي في طروحاتها وباسلوب غير متكلف ليصل الى القارئ – المواطن- بكل سلاسة [٣].

١- روزنامة قانون ، نمره اول ، سال اول ، لندن ، رجب ١٣٠٧هـ .
٢- روزنامة قانون ، نمره جهار ، سال اول ، لندن ، شعبان ١٣٠٧هـ .
* سيد حسن تقي زادة : مفخرة من مفاخر الثورة الدستورية ، ومؤسس المعرفة في ايران ، ولد عام ١٨٧٨م في تبريز ، وكان والده عالما من علمائها المشهورين ، درس الادب الفارسي والعربي وكذلك المنطق والصرف والنحو والفلك وحصل على علوم الكيمياء والفيزياء والطب ، اجاد اللغة الفرنسية ودخل المدرسة الامريكية بتبريز وتعلم الانكليزية وعمل في ترجمة المعارف الاجنبية ، اصدر مع زملائه العديد من المجلات والصحف ، اهتم بالسياسة واشترك في الثورة الدستورية ، تنقل في معظم الدول الاوربية وامريكا وشغل المناصب العديدة في ايران وخارجها منها وزارة الطرق ثم المالية في عام ١٩٣٠ ثم سفيرا لايران بباريس له عدة مؤلفات باللغة الفارسية والانكليزية والفرنسية توفي بطهران عام ١٩٦٩م . راجع : ايرج افشار ، زندكي طوفاني ، كتابخانه برويز ، جاب دوم ، تهران ١٣٧١هـ . ش ، ص١٨.
٣- سيد فريد قاسمي ، المصدر السابق ، ص١٣ .

وكانت مجمل هذه الصحف والمنشورات توزع سرا في المساء حتى ان احدى هذه الصحف وصلت الى الشاه مظفر الدين شخصيا عندما قامت امراة بتقديم عريضة بحجة رفع شكوى وضمنتها نشرية جاء فيها : ((**ايها الشخص الذي تضع التاج فوق راسك والعصا في يدك ، الان اخش من انتزاعها منك**)) مما جعل الشاه يحسب الف حساب لهذه المنشورات الداعية لمحاربته [١].

لقد شهدت الفترة التي بدأت مع حكم مظفر الدين شاه ١٨٩٦م – ١٩٠٦م توسعا في الاصدارات والمجلات والجرائد انسجاما مع سياسة الانفتاح التي اتبعها الشاه فصدرت مجلات ونشرات ذات طابع ادبي فني ، ففي الفترة من عام١٩٠٠م حتى عام ١٩٠٢م صدر ما يقرب من ٣٨ صحيفة ومجلة ادبية وفنية هدفها توسيع الوعي الثقافي والفني لدى العامة من الجماهير ، ولكن الهدف الاساسي هو خلق حالة من الوعي لفهم وادراك طبيعة الاوضاع وتخلفها نتيجة لاستمرار الاستبداد القاجاري [٢]. مجمل هذه الصحف كانت تدعو الى وحدة صفوف الايرانيين ، ومحاربة التدخل الاجنبي والثورة ضد النظام القاجاري الذي بدأت عوامل اضمحلاله تبدو للعيان بشكل جلي ، فمثلا صحيفة حبل المتين كانت تدعوا لمحاربة الروس اينما كانوا حتى انها شجعت الانكليز على مهاجمة الروس ودحرهم ومجدت الانتصارات اليابانية في شرق اسيا وقد نشرت حلقات عن الملحمة اليابانية ((ميكادونامه))[٣]. فهي تثير الحماس في صفوف الايرانيين وتعطيهم المعنويات الراسخة والتي تبين كيف ان القوة الاسيوية الصغيرة انتصرت على القوة الاوربية الغاشمة بفضل بطولات ابناء الشعب الياباني وتفصل احداث هذا الانتصار [٤].

١- للتفصيل عن الحادثة انظر : كورش صالحي ، المصدر السابق ، ص٩٧ .
٢- اسمعيل شاهرودي ، نظري به سير تاريخي روزنامة ها ومجلات هنري در ايران ، ((مجلة علوم اسلامية)) ، جلد ٣ ، نمبر٢ ، دسيمبر ١٩٦٢ ، ادارة علوم اسلامية ، مسلم يونيورستي علي كره ، ص١٠٩ – ١١٠.
٣- ميكادونامة : تعني الباب العالي او الحضره المباركة ، ملحمة شعرية يابانية مؤلفة من الفي واثنا عشر بيت شعر ، تحكي بطولات اليابانيين ضد الروس في حربهم عام ١٩٠٤ – ١٩٠٥ للتفصيل ينظر : شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع
www.persian-culture.com/articles/mikadu
٤- المصدر نفسه ، ص٥ .

ثالثا : حكم مظفر الدين شاه

تولى مظفر الدين شاه الحكم بعد مقتل ابيه ، وبحكمه دخلت البلاد دوامة الضعف الاقتصادي والاعتماد على سياسة القروض *، والاضطراب السياسي ، وتزايد النفوذ الاجنبي (١). فكانت ولايته فاتحة عهد لبداية حكم استبدادي اكثر تطرفا من ذي قبل عندما قام بتعيين ((امين السلطان)) صدرا اعظما لايران (٢). وفي عهده بدأت الانتفاضات والحركات المناهضة للحكومة القاجارية ، واهمها انتفاضة تبريز ضد فرض الرسوم الجمركية (٣). وفي عهده ارتبطت البلاد بعجلة الاقتصاد الغربي من خلال الامتيازات واهمها الامتياز الذي كبل ايران وقيدها لسنين طويلة وذلك عندما كشف البترول وتم منح امتيازه للانكليزي وليم نوكس دارسي (William Konox D'arcy) عام ١٣١٩هـ /١٩٠١م (٤). ساءت الاوضاع في المدن الايرانية مثل اصفهان ، ويزد ، ومشهد اذ بدأ التذمر من وجود ونفوذ الاجانب في ايران وخاصة المسؤولين البلجيك الذين جاءوا كخبراء ماليين ، وكان الكره واضحا ضد السواح وضد كل ماهو اجنبي ، لكثرة ما اشاعوه من مفاسد اخلاقية وتشجيع على انتشار الخمر (٥). وهكذا اصبحت الفجوة تتسع بين السلطة الحاكمة وطبقات الشعب من خلال حالات التذمر من مجمل السياسات

---

* اهم القروض كان بقيمة ٢.٤٠٠.٠٠٠ جنيه استرليني بضمان عائدات جمارك ايران وهو من بنك الدولة الروسي ومن شروطه انه لا يجوز لايران الاقتراض من أي مصرف حتى عام ١٩١٠م وهذا يعني الاشراف الكامل لروسيا على شؤون ايران المالية . للتفصيل راجع لوريمر ، المصدر السابق ، ص٣٠٣٦ .

١- مظفر الدين شاه ، الهلال (مجلة) ،القاهرة، الجزء الخامس ، السنة الخامسة عشر ، ١ شباط ١٩٠٧، ص٢٨٧.

٢- امين السلطان : ولد في طهران عام ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨م درس في طهران اداب اللغة الفارسية والعربية وتعلم اللغة الفرنسية ، عمل في البلاط مسؤولا عن الاصطبلات الملكية . ثم تقلد المناصب الحكومية واصبح مقربا من الشاه انتخب صدرا اعظما في ١٨٨٩م ، كان ميالا للنفوذ البريطاني ثم للنفوذ الروسي ، بتاريخ ١٣٠٥ / ١٩٠٧م اغتيل رميا بالرصاص عند خروجه من بوابة المجلس. راجع: ايرج افشار ، خاطرات ظهير الدولة ، جاب اول ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٥١ ، ص١١٨.

٣- محمد كامل محمد عبد الرحمن ، سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١ – ١٩٤١،مركز الدراسات الايرانية ، جامعة البصرة ، البصرة ١٩٨٨ ، ص١٨ .

٤- عبد السلام عبد العزيز فهمي ، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين ، مطبعة الجيزة ،القاهرة ١٩٧٣، ص١٤ .

5- Nikki R. Kiddie , Iranian Politics 1900-1905 , Backround of Revolution II, Journal of Middle Eastern Studies , vol 5 May 1969 , No2 , P.154 .

الحكومية ، التي ارهقت البلاد بالمشاكل الاقتصادية والامنية وانعكاسها السلبي على الشعب [١].

وبدأت الاصوات تتعالى وتندد بالحكم القاجاري المستبد فكان لسان حال المثقفين يقول: ((**يجب ان يكون الملك على اتفاق تام مع الامة ، ويجب ان يعد نفسه ممثل الامة ويصدر القوانين بالتعاون مع الشعب وهكذا يكون الناس وطنيين ويدافعون عن بلادهم بملء قلوبهم**)) [٢]. ويعبر مفكر اخر بقوله ((**اذا استطعتم ادراك منافع الحرية وحقوق الانسان ، واذا درستم العلوم وشكلتم الجمعيات ووحدتم قواكم ، وقررتم انقاذ انفسكم من طغيان الحاكم المستبد ، فانكم لن تتسامحوا ابدا ازاء العبودية والإذلال**))[٣]. عمل مظفر الدين شاه وبفعل سياسته الادارية على التعجيل بقيام الثورة من خلال تنصيب الامير القاجاري ((عين الدولة)) * بمنصب الصدارة العظمى ، والذي اعتبر من اقوى المستبدين والقساة في تاريخ الشخصيات الايرانية الحديثة ، وعد سببا من اسباب الثورة ضد النظام القاجاري [٤].

ايقنت الطبقة المثقفة ورجال الدين والتجار ان الحكومة القاجارية مفلسة ماديا ، وضعيفة اداريا ، ومهزومة عسكريا ، وهي غير قادرة على توفير الامن والحماية ، ومن ثم اضحى الانقلاب عليها امرا ممكنا وحتميا [٥].

1- Nikki R. Kiddie,Op.Cit, P. 160 .

٢- فوزي خلف شويل ، تغلغل النفوذ الامريكي في ايران ، ص٤٦ .

٣- هاشم محيط بافي ، مقدمات مشروطيت ، تحقيق مجيد تفرشي ، انتشارات مركز انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠هـ ، ص١١ .

* عين الدولة : هو الامير عبد المجيد ميرزا المولود في طهران عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٤م ، درس في دار الفنون ، ثم عمل في البلاط الايراني ، واصبح مرافقا لولي العهد مظفر الدين وذلك في عام ١٨٩٢م تقلد بعدها عدة مناصب لغاية ١٩٠٤م عندما عين صدرا اعظم (رئيس الوزراء) كان مؤمنا بقمع كل مظاهر الاحتجاج ضد سياسة الدولة ، بقي معاصرا لاحداث الثورة الدستورية بكل تفاصيلها ، توفي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م عن عمر ٨٣ عاما . انظر : مهدي بامداد ، شرح حال رجال ايران ، جلد بنجم ، زوار ، تهران ١٣٤٧ ، ص٥٦ .

٤- طاهر البكاء ، بعض من ملامح ((الثورة الدستورية)) ووقائعها من منظور المصادر العربية ، مجلة كلية المعلمين ، العدد الخامس ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٩٦ ، ص١٥٦ .

٥- امال السبكي ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

رابعا : مالكوم خان والجمعيات

تعد الجمعيات التي ظهرت في اواخر حكم ناصر الدين شاه وبداية حكم مظفر الدين شاه فاتحة عهد جديد في التحرك الجماهيري الوطني ضد الحكم الاستبدادي الذي تسبب في تدمير المجتمع الايراني ، اذ توسعت الضغوط الخارجية ، مع تصاعد في الاستبداد و الهيمنة الاستعمارية الاقتصادية والسياسية ، وشيوع التخلف والفقر المادي والتدهور الصحي وانتشار الامراض والاوبئة مع سياسة القهر الاجتماعي ، وتفشي الرشوة وغيرها من مشاكل البلاد .

كل هذه العوامل دفعت المثقفين والمجددين والمنادين بسياسة الاصلاح الى التشاور فيما بينهم حول الاوضاع العامة وخاصة بعد مقتل ناصر الدين شاه ، وكان المثقفون والمجددون امام خيارين هما اما اللجوء الى العمل السري ، وتاسيس الجمعيات السرية لمقاومة الحكم القائم او ترك البلاد والهجرة والعمل من هناك كما فعل البعض منهم [١]. وكانت سرية الجمعيات يحتمها الخوف من بطش السلطات انذاك ، لا سيما انها تضم نخب المجتمع الايراني المتمثلة بالكتاب ، والمفكرين ، ورجال الدين ، وطلاب المدارس الدينية، والتجار، وبعض الامراء الرافضين لسياسة الشاه والحكومة [٢]. وصف بعض المؤرخين هذه الجمعيات بانها لم تكن تمتلك ايدلوجيات واضحة ، وانما هي في مجموعها حالات رفض للوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي [٣].

وحددت هذه الجمعيات مطاليبها بالدستور وضمان الحريات وتجريد الشاه وكبار الاقطاعيين من ممتلكاتهم لتوزيعها على الفلاحين والعمال ، واصبح لهذه الجمعيات وزن سياسي من خلال دورها في الاحداث الداخلية[٤] .

ولكن حقيقة الامر ان هذا الرفض هو افكار ونظريات سواء كانت اسلامية او علمانية اذ ان هدف هذه الجمعيات الاساس هو المطالبة بالتغيير سواء التدريجي او الانقلاب على الواقع ككل واحداث الثورة [٥].

١- سيد فريد قاسمي ، المصدر السابق ، ص١٧ .

٢- موسى حقاني ، انجمها در دوران مشروطيت ، فصلنامة مركز مطالعات تاريخ ايران معاصر ، شمارة دوم ، سال ١٣٧٦ هـ ، ص١٦ .

3- M.chehregani. Iran Revolution,Centerof International Studies ,Washington, August 2002 , P.3 .

٤- فوزية صابر محمد ، ايران بين الحربين العالميتين ، ص٣٩.

٥- كورش صالحي ، المصدر السابق ، ص٩٠ .

ويعتبر الميرزا مالكوم خان * من اوائل المؤسسين لفكرة الجمعيات ، لانه من المالوف في ظل الحكومات المستبدة ، لجوء الحركات الوطنية للعمل السري حتى تتمكن من نشر افكارها ، وضمان سلامة عناصرها من الوقوع في ايدي اعوان النظام المستبد الرافض لكل تغير او تحرك جماهيري ذا طابع سياسي(١). ويعود تشكيل اول جمعية سياسية في ايران الى منتصف القرن التاسع عشر اذ شكلها ميرزا مالكم خان باسم جمعية السلوان او دار النسيان ((الفراموشخانه)) وهدف الجمعية هو انهاء الخلاف الدائر بين السياسيين ورجال البلاط ، والرقي بالوضع الاخلاقي العام في السياسة الايرانية ، وتعريف الامة ورجالها بالافكار السياسية المعاصرة ، وكانت الفكرة تتلخص في ان اصلاح اوضاع ايران يتطلب التوجه نحو اوربا (٢). فهي القادرة الوحيدة على تحقيق العدالة الاجتماعية وضمان الحريات الفردية التي تسمح لطبقات المفكرين والمثقفين والمطالبين بالاصلاح بالتعبير عن ارائهم في اصلاح الامور التي تخدم بالنهاية طبقات الشعب المسحوقة (٣). وقد ربطت هذه الجمعيات مصيرها و توجهاتها من الفكر الغربي الذي عد انذاك بانه الخيار الوحيد لازمة البلاد السياسية والفكرية (٤).

---

* ميرزا مالكم خان : ابن يعقوب خان ، ولد في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م في مدينة جلفا باصفهان من عائلة ارمينية ادعت الاسلام فيما بعد ، عمل في المجال الحكومي كمترجم في ١٨٥٦م ، تزوج من هافريت توبجي باش وهي ارمينية من رعايا الدولة العثمانية ، ثم اصبح سفيرا لبلاده لدى بريطانيا ، ونتيجة لخلافاته مع الصدر الاعظم (امين السلطان) ، طرد من منصبه في ٥/ ديسمبر / ١٨٨٩م ، بسبب فضيحة امتياز اللاتاري (اليانصيب) مع اتجاه مالكم الى العمل السياسي والارتباط بالجمعيات والمحافل الماسونية وتاسيس الجمعيات السرية وذلك في مطلع السبعينات من القرن التاسع عشر ، وفي زمن مظفر الدين شاه وبعد وساطة بعض رجال البلاط اعاده الى العمل الحكومي كسفير لايران لدى روما ، وافته المنية في سني الثورة الدستورية وبالتحديد عام ١٩٠٨م . للتفصيل عن حياته انظر: فرشته منكنه نورائي ، تحقيق در افكار ميرزا مالكوم خان ، جاب اول ، توسعه انتشارات فرانكلين ،تهران ، ١٣٥٢هـ ، ص٤٧ .

1- Nikki R. Kiddie , Op . Cit, P.173 .

٢- مهدي بامداد ، شرح حال رجال ايران ، جلد جهارم ، كتابفروشي زوار ، تهران ١٣٥٠ هـ ، ص١٤٣.

٣- رامين جاها نبيلغو ، مازق الفرد في الشرق الاوسط ، ترجمة حازم صاغية ، الطبعة الاولى ، دار الساقي ، لندن ٢٠٠١ ، ص٨ .

٤- اعتمدت الحكومات الاوربية عامة والحكومة البريطانية خاصة وسيلة توظيف الجمعيات والمنظمات السرية لتقوية وجودها في ايران ، اذ بدأت بتكوين جمعيات تبدو ذات مضامين انسانية تقدمية ، ولكن اتضح فيما بعد انها منظمات تقوم على خدمة الاستعمار الجديد واحتلال الدول ، وانها تعمل على خدمة الماسونية التي انطلقت من بريطانيا عام ١٧٣٧م وانتشرت في المستعمرات البريطانية على شكل شعب تابعة للمحافل البريطانية والفرنسية . ينظر : موسى حقاني ، المصدر السابق ، ص١٩ .

قام مالكوم خان باستحصال موافقة الشاه لعمل جمعية (دار النسيان) لغرض ايجاد قاعدة للتحرك السياسي ، وبالفعل فقد وصل عدد اعضائها خلال سنتين وبضعة اشهر الى خمسمائة عضو ، هدفهم تحقيق الاصلاحات ، وارتبط بها بعض من افراد العائلة القاجارية المالكة [١] .

لقد اقنع مالكم خان ناصر الدين شاه ان يكون هو الاستاذ الاعظم * للحفل الماسوني في ((دار النسيان)) ، الذي سيضم النخبة القادرة على القيادة وبهذا سيكون الشاه المشرف الاول والمسيطر على العناصر المؤثرة في المجتمع زيادة على انه سيضمن الولاء المطلق من خلال القسم الماسوني الذي يؤديه المنتسب والذي لا يمكن نقضه[٢]. لقد اثارت (دار النسيان) منذ البداية شكوك الكثير من الايرانيين وخاصة رجال الدين حول اهدافها واسلوب عملها الملئ بالالغاز والرموز والدعوة الى ربط المجتمع بمفاهيم الغرب الاوربي[٣]. فقد وصف رجال الدين هذه الجمعيات بانها هدم للدين ويجب محاربتها ، على الرغم من ان سوء الظن الذي يساور الشاه هو الذي دفعه الى اصدار قرار بحل هذا التنظيم خوفا من التبعات التي قد يخلقها في المجتمع [٤]. واعتبرها تهديدا لسلطته اذ قال:((**ان الاشخاص الذين يتركون احرارا فانهم يزيلون بذرة القاجارية الراسخة في الارض**)) [٥].

اما الجمعية الثانية التي شكلها مالكوم خان فهي الرابطة الانسانية ((مجمع ادميت)) وقد اعتمد في تشكيلها الدقة والحذر والاستفادة من تجربة ((دار النسيان)) ، وقد انضم لها شخصيات فكرية وسياسية من امثال الصدر الاعظم المقال من منصبه ((محمد حسين سبهسالار))[٦].

١- مريم جواهري ، نقش علما درانجمنها واحزاب دوران مشروطيت ، جاب اول ، مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠هـ ، ص٨٦.

* الاستاذ الاعظم : درجة من درجات الماسونية وهي الدرجة ٣٣ في الترتيب الوظيفي الذي يبدأ من الدرجة الاولى وتسمى الاخ وتنتهي بالاستاذ الاعظم . راجع : احمد عطية الله ، القاموس السياسي ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص١١٠١.

٢- محمود طلوعي ، راه يزرك فراما سون ها وسلطنت بهلوي ، جلد دوم ، مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٧٩ هـ ، ص٥٦٦ .

٣- المصدر نفسه ، ص٦٠١ .

٤- مريم جواهري ، المصدر السابق ، ص٨٨.

٥- كورش صالحي ، المصدر السابق ، ص٩٣ .

٦- محمود فرهاد معتمدي ، المصدر السابق، ص٢٣٠ .

وضمت كذلك رجال دين، وامراء ، وقادة جيش ، وتجار وحتى شخصيات نسوية ، وتهدف الى نقل التجربة الفرنسية التي دعا لها مفكروا دين الانسانية الجديدة ((Humanitarianism))* المتأثرة بافكار الانسانية الليبرالية [1]، ولكن مالكم خان اراد لها ان تكون فلسفة للافكار الغربية المقبولة في ايران من خلال الباسها تعابير القران والحديث النبوي وسيرة الائمة المسلمين ، وهو القائل : ((**ان الافكار التي تاتي عن طريق عملائكم في اوربا تكون مرفوضة ولكن تصبح مقبولة حالا وبحبور عظيم عندما كان يؤتى بالبرهان على انها تكمن في روح الاسلام وانه هو منبعها الاصلي**))[2]. كانت اهداف هذه الجمعية باختصار هي نفس اهداف الثورة الفرنسية ((الحرية – المساواة – الاخاء)) ولكن الذي يدعو الى الاستغراب في هذه الجمعيات التي اسسها مالكم خان انظمام الامراء القاجاريون اليها في وقت كانوا يعدون فيه من الدّ اعداء هذه المبادئ ويعزى سبب ذلك الى حماية سلطتهم المطلقة ، في حين ان الجمعية تهدف الى ابعاد الحكم القاجاري عن النفوذ الروسي ، والحد من ظلم واستبداد البلاط ، فضلا عن نشر الافكار الماسونية التي كانت تعد انذاك افكار انسانية مقبولة [3]. رغم ان مالكم خان كان احدى ادوات الحكومة الفاعلة في رسم ودعم سياسة الحكومة ، الا انه كان يتبنى خطا اصلاحيا واضحا ، فكان يؤمن ان الاستبداد السياسي هو سبب تخلف ايران ، ولا يمكن قهره الا باستخدام القوانيين التي تحمي الحياة، والملكية والحرية [4]. وكان من دعاة ((الفردية الديمقراطية)) ، وهو اول ايراني اهتم وانخرط في الحركة الماسونية ، وكان يرى انها محطة اساسية لنشر وتطبيق الديمقراطية ، وتبنى خطا لا هوادة فيه لمصلحة تبني الصيغ

---

* حركة انتشرت في عصر الاستنارة تتضمن افكار وقيم انسانية في تحسين احوال البشر وكانت تدعو الى اصلاح المجتمع و انظمة الحكم والاجهزة السياسية والدعوة الى التخلي عن المستعمرات والغاء تجارة العبيد ودراسة الانسان والمطالبة بايقاف الحروب واحلال السلام في ضوء كتابات مفكري اوربا ، امثال لوك ، مونتسيكو ، روسو ، ادم سميث ، كيناي ، اوغست كنت وغيرهم الذي اثروا في المجتمعات الاوربية . راجع : فريدون ادميت ، فكر ازادي ومقدمة نهضت مشروطيت ، انتشارات سخن ، تهران ١٣٤٠ هـ ، ص١٧٥.

١- المصدر نفسه ، ص٢٠٠ .

٢- رامين جاهانبيلغو ، المصدر السابق ، ص٢١ .

٣- اسماعيل رائيين ، الماسونية في ايران ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ١٩٨٢ ، ص٢٧٢ .

٤- (ايران ١٩٠٠ – ١٩٨٠) مجموعة مقالات مترجمة ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص٤١ .

الاوربية ، ناقدا بشدة النمط الاسيوي للانتاج الكسول والمتخلف برايه عن الخط الاوربي الحيوي والمفعم بالنشاط[١].

وقد كتب مالكوم خان ثلاث رسائل حول اسلوب الاصلاحات في ايران ، اولها واكثرها تفصيلا كتاب ((الغيب)) الذي قدمه للشاه ، اذ قارن بين الضعف والتدهور في المجتمع الايراني قياسا بالتطور والتمدن الاوربي ، مركزا على التطور الصناعي وتحديد القوى الحكومية الثلاثة (القضائية ، التنفيذية ، التشريعية) وتحديث عمل الوزارات ومؤسسات الدولة ، هو الذي جعل الاوربيين اكثر تطورا [٢]. ومن مؤلفاته الاخرى كتاب الاستنارة بالفارسية روشنائي(Enlightenment) ووضع وشرح فيه مبادئه السياسية والفكرية في التطوير والتحديث الاجتماعي [٣]. رغم المساعي والجهود التي بذلها ملكم خان في تقدم ورقي ايران من خلال مبادراته الاصلاحية ، حتى انه قبل قيام الثورة الدستورية بـ ٤٥ عاما كان ينادي بالاصلاح ويضع الاسس والمفاهيم للاصلاحات السياسية ، حتى اطلقت عليه صفات مثالية والقاب مثل فولتير ايران [٤].

كان مالكم خان ضحية الصراعات السياسية بين مراكز القوى في ايران ومدى ارتباطها مع القوى العظمى انذاك (روسيا وبريطانيا) ، فعلاقته مع (امين السلطان) كانت سيئة لانه يمثل رجل روسيا في السياسة الايرانية ، في مقابل محمد حسين سبهسالار الذي يدعو الى توثيق العلاقات بكل جوانبها مع بريطانيا ، وكان مالكم يحسب على رجال النفوذ البريطاني [٥].

بدأ مالكوم خان بنشر ارائه الليبرالية بصورة علنية وواسعة ، فتحول من ليبرالي معتدل يسعى لحماية الشاه ضد رجال الدين الى راديكالي صريح يتحالف معهم ضد الشاه ويدعو الى الثورة ، ومن اداري ملكي يقدم الاقتراحات لحكومته الى صحفي يمثل افكار اوربا الحديثة ويقدمها لايران المحافظة من خلال جريدة قانون المشهورة [٦]. فكانت جريدة قانون اهم اداه فعالة لنشر الافكار الاصلاحية ، وكانت مستقلة وتكتب باسلوب

١- رامين جاها نبيلغو ، المصدر السابق ، ص١٩.
٢- سامح سعيد عبود ، العلم والاسطورة منهجان للتغيير الاجتماعي ،شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع: www.google.com/commnism/libretarian
٣- فرشتة منكنة نورائي ، المصدر السابق ، ص٣٦ .
3- M.chehregani , Op.Cit , P.17 .
٥- خان ملك ساساني ، سياستكران دوره قاجار ، جلد اول ، انتشارات هدايت ، تهران ، ١٣٧٠هـ ، ص٣١.
٦- علي خضر المشايخي ، المصدر السابق ، ص٣٢٦ .

سلس مفهوم ، وتعنى بمشاكل ايران الحقيقية ، وكانت بصمات مالكوم واضحة في صفحاتها [١]. مهد مالكوم خان الطريق الى باقي المثقفين ورجال الدين المجددين والاصلاحيين لاقامة جمعياتهم واحزابهم فتاسست بعد ذلك جمعية الاخوة ((انجمن اخوت))* وضمت في صفوفها نخبة من الشخصيات المهمة ، وسعت الجمعية الى توحيد اعضائها حول اصلاح امور الدولة وجعل المنهج الحكومي منهجا انسانيا ، وركزت على الدين بوصفه الطريق الاول للاصلاح في المجتمع [٢]. بدأت الجمعية باصدار نشرية بأسم ((المجموعة الاخلاقية)) ، واسست لها فروع في المدن الايرانية [٣].

ولان هذه الجمعية كانت تدعو الى تحقيق المساواة بين الشعب والسلطة (البلاط) فانها اصبحت موضع شك وانتقام من السلطة ، التي قامت بضرب مقر الجمعية ونهب محتوياتها وممتلكاتها [٤] . ثم توالت نشاة الجمعيات مثل : جمعية الترقي الاسلامية، وجمعية الرجال الاحرار، لكن المهم هنا الجمعية السرية -انجمن مخفي- التي تاسست عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٣ لتعمل ضد سياسة البلاط وتطالب بالاصلاح كمنهج ، وقد ضمت في بدايتها اربعة وخمسين عضوا من كبار المثقفين ورجال الدين [٥].

كان خطاب الافتتاح للاجتماع الاول في الثاني من تموز عام ١٩٠٣م يمثل اهداف هذه الجمعية ، فقد جاء فيه : ((**ياسادة ياعلماء يا محبي الوطن ومريدي الاسلام وطالبي الاصلاح ، يا اصحاب الغيرة هل انتم صاحين ام غافلين ؟ هل فيكم الغيرة الوطنية والشرف والحس الوطني والديني وفيكم حب المعرفة وحب الامة ، فهذه اليابان اختكم الاسيوية الشرقية كيف وصلت الى مرحلة المجد والترقي!! وكيف حيرت العقول ، وهذه الامة الروسية كيف تحملت وضحت من اجل حريتها وستنالها عن قريب وهذه الامارة الافغانية التي كانت جزءا من ايران كيف وصلت الى هذه الحالة ، ونحن اهل ايران ما**

١- رامين جاها نبيلغو ، المصدر السابق ، ص٢٤.
* كانت الجمعية قد تاسست عام ١٨٩٩م وضمت بالبداية ١٢٠ عضوا ثم بلغ عدد الاعضاء المنتمين حتى عام ١٩٢٥ بحدود الف عضوا . ينظر : ايرج افشار ، خاطرات ظهير الدولة ، ص٥٥.
٢- طلال مجذوب ، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦- ١٩٧٩ ، دارابن رشد، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٨٠ ، ص١١٥.
٣- ايرج افشار ، خاطرات ظهير الدولة ، ص٦٢ .
٤- المصدر نفسه ، ص٧٥ .
٥- رضوان السيد ، الدين والسياسة في ايران ، جريدة الحياة ، بيروت ٢٠٠٣، دار الحياة .

ذنبنا لكي نكون بهذه الذلة والانحطاط والابتلاء بالامراض والتخلف وسلطة الاستبداد ، الذي يجب محاربته لنيل الحرية والخلاص)) [١].

ثم جاء تاسيس الجمعية الوطنية - انجمن ملي- وحملت نفس الاهداف في المطالبة بالاصلاح السياسي ، وامتازت هذه الجمعية بضمها اغلب الكتاب ورؤساء تحرير الصحف وكانت توزع منشوراتها سرا[٢]. ايقنت كل هذه الجمعيات والمنظمات انه لابد من توحيد الصف واقامة جمعية تكون ذات دور فاعل وقادر على اسقاط نظام الحكم من خلال القيام بثورة ، فقامت جمعية لجنة الثورة - كمية انقلاب - وكانت شديدة التكتم وتضم حلقات لا تزيد عن الثلاثين عضوا حفاظا على سرية التنظيم[٣] ، وعملت على تشكيل فرق صغيرة تضم عناصر مسلحة ثورية ساهمت في الجهد العسكري [٤]. عملت هذه اللجنة على انشاء فروع لها في الولايات الايرانية المهمة ، فقد اسس سيد جمال الدين الاصفهاني* جمعية اصفهان ، وجمعية كرمان التي اسسها رجال دين ومثقفون من كرمان وجمعية تبريز التي سيكون لها دور خاص ومهم في الاحداث ، ((**لان اهل تبريز كانوا دائما في مقدمة الاحرار الايرانيين ورأس الحربة في كل الثورات**))[٥]. كما كان هناك حزبان يعملان في الساحة الايرانية ، ويختصان بالطائفة الارمنية وهما حزب هنجاكيان وداشناكسيون أي ((الاتحاد الثوري))، وفي عام ١٨٩٠م كان الحزب قد انشأ له فروع في مناطق ايران الارمنية مثل تبريز، ورشت ، وانزلي وطهران ، وقد اصبح له دور فاعل في المجلس الوطني فيما بعد [٦].

١- مريم جواهري ، المصدر السابق ، ص٢٠٢ .
٢- طلال مجذوب ، المصدر السابق، ص١١٨.
٣- اسماعيل رائين ، الماسونية في ايران ، ص.١٧٧

2- M.Chehregani , Op.Cit , P.6 .

* جمال الدين ابن السيد عيسى محمد علي العاملي اللبناني ، ولد في همدان ١٨٦٢م ثم انتقل الى اصفهان لغرض الدراسة ، ولما بلغ عمره ٢٢ عاما غادر الى طهران ليعيش فيها خطيبا وواعظا مشهورا واطلق عليه لقب صدر الواعظين وفي بداية الثورة الدستورية كان من قادتها وعند قصف المجلس في ١٩٠٨ نجا من القصف وهرب باتجاه العراق والقي القبض عليه في همدان وقتل بامر الشاه عن عمر يناهز ٤٧ عاما ودفن هناك . انظر : مهدي بامداد ، شرح حال رجال ايران ، جلد اول، زوار ، ص٢٥٥-٢٥٧ .

٥- مملكة ايران بين انكلترة وروسيا ، مجلة الهلال ، المصدر السابق ، ص٢٦٣ .
٦- محمد وصفي بو مغلي ، الاحزاب والتجمعات السياسية في ايران ١٩٠٥-١٩٨١ ، الطبعة الثانية منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨٣ ، ص١٨.

المبحث الثاني
العوامل الخارجية

اولا : جمال الدين الافغاني

ان كل من يقرأ تاريخ ايران الحديث او يكتب عن جانب من جوانب هذه الفترة لابد ان تمر عليه شخصية جمال الدين الافغاني ، لما لها من اثر فاعل في رسم الاحداث وتفاعلاتها و للدور البارز الذي لعبه ليس في ايران وحدها بل في كل ارجاء العالم الاسلامي واوربا (١).

وجمال الدين الافغاني المولود في اواخرعام ١٨٣٨م والمتوفي عام ١٨٩٧م في مدينة سعداباد من اعمال همدان الايرانية وبرواية اخرى في مدينة سعداباد الافغانية، ومهما اختلف المؤرخون في اصله ومكان ولادته ، الا انهم يتفقون على انه من نسب طيب ومن عائلة علم ودين (٢).

وفي وقت كان العالم الاسلامي قد بلغ اعظم مبلغ من التدني والانحطاط اعمق دركه فأربد جوه وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعه ، وانتشر فيه فساد الاخلاق والاداب وتلاسن ما كان باقيا من اثار التهذيب واستغرقت الامم الاسلامية في اتباع الاهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس وساد الجهل وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فالجهل و الاجنبي ، والحاكم المستبد ، كل اولئك تسلطوا قرونا حتى بلغوا حالة تحسبهم فيها من الاحياء بين الامم وهم في الحقيقة في حكم الرمم(٣).

وفي ظل هذه الظروف والاوضاع دبت الروح الاسلامية في كل بقعة من بقاع العالم الاسلامي ، فظهرت الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية في مطلع القرن التاسع عشر ،

١-للتفصيل عن حياته ينظر : الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، دراسة وتحقيق محمد عمارة ، بيروت ١٩٧٣ ، ص٦٢ ؛ جعفر عبد الرزاق ، جمال الدين الافغاني دراسة في مرتكزاته الاصلاحية،شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.google.com/search

٢- سيد هادي خسرو شاهي ، ترجمة كزيدة ازاسناد وزرات خارجة انكليس در بازه سيد جمال الدين اسد آبادي ، جاب اول ، كتابخانه ملي ايران ، تهران ١٣٧٩ هـ ، ص١٥.

٣- محمود ابو ريّه ، جمال الدين الافغاني ١٨٣٨م – ١٨٩٧م ، سلسلة نوابغ الفكر العربي (٢٩) ، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦١ ، ص٩ .

وقام السنوسي بدعوته الصوفية في الجزائر وليبيا ، ونشبت ثورة المهدي في السودان ، ونمت دعوة الاصلاح في الهند بزعامة السيد احمد خان (١).

في هذا الوقت عرف الافغاني في المشرق العربي وفي المغرب الاقصى وغيرها بوصفه مصلحا اسلاميا طغت شخصيته على حركة الاصلاح الاسلامي برمتها، حتى انه عرف في مدينتي النجف الاشرف وكربلاء بشكل خاص ، في حين كان نفوذه على العلمانيين في المشرق اكثر بكثير واوسع فعالية فان نفوذه كان في النجف الاشرف في اوساط رجال الدين (٢).

جعلت رحلات وزيارات الافغاني المتكررة للبلدان الاسلامية وخاصة استانبول والقاهرة وبغداد وطهران وزيارته الى دول اوربا ، جعلت منه زعيما اسلاميا فكريا ، له قاعدة جماهيرية في البلدان الاسلامية .

لقد اراد الافغاني ان يحقق قسطا من العدالة للناس مقللا من حجم الاستبداد الذي كان يتسم به السلاطين والملوك ولعله اراد بالنظام البرلماني - النيابي - ان يبني الاسس الاولى للاصلاح الشامل ، فهو يرى امكانية التعايش مع هذه الانظمة الاستبدادية او على الاقل تحييدها في الصراع بين الامة والاستعمار الخارجي (٣).

لقد كان يريد لحركته الاصلاحية ان تقوم من خلال المفاصل الحيوية في النظام ، فاعتمد صيغة نصيحة الملوك والسلاطين علهم يرعوون ، وكان يحاول ايصال افكاره الثورية لعلماء المسلمين باعتبارهم القاعدة الجيدة لمكافحة الاستعمار (٤). وكان يرى في الاحزاب وسيلة مفضلة لتقدم الامم الاسلامية وهي الدواء لكل الالام ، فحركة الافغاني في مظهرها حركة سياسية ، وفي جوهرها حركة اسلامية ، وان لاسبيل للاصلاح الا عن طريق السياسة ، أي ان اصلاح الامة لابد ان يتم عن طريق الدولة (٥).

اطلق على حركة الافغاني حركة الجامعة الاسلامية ((Pan-Islamism)) والتي تعني اتحاد جميع الامم الاسلامية تحت راية خليفة واحد بقصد التخلص والتحرر من

١- محمود ابو ريّة ،المصدر السابق ، ص١٥.

٢- محمد جمال باروت ، الكواكبي والنائيني ، جوانب غير مكتشفة ، مجلة اخبار الشرق ، العدد الرابع، دار الشرق ، دمشق ٢٠٠٢/٥/٢٥ ، ص٢ .

٣- جعفر عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص١٩ .

٤- مرتضى مدرسي جهار دهي ، السيد جمال الدين وافكاره ،انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٧٩هـ، ص٣١٤ .

٥- معد صابر رجب ، جمال الدين الافغاني واثره في الفكر السياسي العراقي ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص٣١ .

السيطرة الاجنبية الخارجية وقيام الدولة الاسلامية المباركة [١]. ولم يكن يعني بالجامعة الاسلامية احلال قومية الدين محل قومية القطر ، وانما كان يرغب في ان تتحد جميع الاقطار الاسلامية مع استقلال كل منها عن الاخر ، لتحقيق هدف الحرية السياسية [٢] وعد الافغاني ((الشورى)) من شروط الاصلاح السياسية ويراها عكس الاستبداد ويلوم الافغاني الذين يساندون الحاكم المستبد بقولهم ((**مشيئة الملك قانون المملكة**)) وقد راى ان فكرة الدستور المقابل الاوربي لفكرة الشورى الاسلامية ، اذ كان يدعو الى (ملكية شورية)[٣]. بدأ نشاط جمال الدين الافغاني في ايران من خلال دعواته لاقامة الجامعة الاسلامية ، وحثه على رفض ومقاومة الاستبداد القاجاري في ايران ، ويتضح ان الافغاني قد استخدم عمدا في كتاباته ، كما كان يستخدم ايضا في احاديثه النداءات الدينية التقليدية من اجل التاثير على الجماهير والفئات الدينية للانضمام الى التحالف الراديكالي – الديني الذي كان يطمع الى اقامته في ايران وقد نجح الافغاني الى حد كبير في اقامة مثل هذا التحالف من خلال الاستخدام التكتيكي للهجمات الدينية على الحكومة وسياستها في منح الامتيازات ، وكان الموقف في ايران مناسبا تماما لطرق الافغاني في وقتها ، اذ كان الامتعاض الديني من سياسة الحكومة على اشده [٤].

ويحدد الافغاني العلاقة بين الشاه والسلطات الدستورية ، وذلك بعد ذكر الشاه بانه كيف اكون ملكا واتساوى مع العامل ! فاجابه السيد : ((**ايها الملك ، لتعلم ان تاجك وعرشك واوامرك واركان سلطانك ، ستكون اقوى بمعية الدستور ، ان العالم والعامل والفنان اكثر فائدة للبلاد من مقامك وعظمتك ، اسمع مني قبل فوات الاوان ، ولا تفرط بهذه الفرصة الثمينة بان تكون في ايران حكومة دستورية ، لتهدم حكومة الاستبداد**))[٥].

اما عن علاقته مع رجال الدين في ايران فكانت قوية الى الحد الذي كان ينسق معهم في الدعوة الى الاصلاح ومناهضة الحكم القاجاري بكل مساوئه ، فالافغاني نفسه كان دارسا في النجف الاشرف واقام اربع سنوات فيها وربطته علاقة مع السيد الشيرازي

١- علي اصغر حلبي ، تاثير سيد جمال الدين بر نهضتهاي ازاديخواهانه ، مجلة بيام شرق ، شماره ٤٥ ، سال ١٣٨٠هـ ، ص٢٠.
٢- معد صابر رجب ، المصدر السابق ، ص٣٧ .
٣- المصدر نفسه ، ص٤٨.
٤- علي خضر المشايخي ، المصدر السابق ، ص٣٢٥.
٥- جعفر عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص١٣.

والخراساني وكذلك اقام اقوى الصلات مع كبار المراجع في ايران والذين كان لهم الدور الاساسي في توجيه الامة[١] وكان في مواقفه قريباً جداً من سيد جمال الدين واعظ في مهاجمة السياسات القاجارية وظلم الحكومة، ويعد الافغاني حلقة الوصل والقاسم المشترك مع جميع علماء المسلمين في ايران او الدولة العثمانية او علماء القفقاس والمناطق الروسية[٢].

ولم يكتف الافغاني بالذين كانوا يستمعون اليه وبلقاءاته مع علماء المسلمين، بل راح يكتب الى زعماء المناطق الايرانية وشيوخها، يدعوهم جميعاً الى توحيد جهودهم للنهوض ببلادهم وتحريرها من الاستبداد[٣] . وهو لذي كان يؤكد دوماً (**ان ايران تحتاج الى ثورة، واذا لم تحدث ثورة فأن اسم ايران والايرانيين سيضمحل**)[٤] .

كان الانكليز يرتابون لتحركات جمال الدين الافغاني في كل البلاد الاسلامية لانه اصبح المناهض الرئيس للسياسات البريطانية في المنطقة .

فبعد وصوله الى طهران في الحادي والعشرين من ايلول عام ١٨٨٩م كتب ولف (Walf) سفير بريطانيا في طهران برقية الى وزارة الخارجية جاء فيها : ((**ان الشيخ جمال الدين الافغاني موجود هنا في طهران وان الشاه قد تغير كثيراً**))[٥] .

وبعدها غدت علاقة جمال الافغاني بالشاه سيئة نتيجة لمواقفه المناهضة للاستبداد القاجاري ودور الوشاه وازلام السلطة من الموالين للسياسة البريطانية ودور السفارة البريطانية نفسها، دفعت الشاه الى تغيير مواقفه من الافغاني ، والامر بطرده من البلاد مما اضطر السيد الافغاني الى الاعتصام واللجوء الى مرقد السيد عبد العظيم[٦] . ثم أرسل الشاه خمسمئة من فرسانه المدججين بالسلاح فاقتحموا المكان وهو مريض وقاده خمسون منهم الى ما وراء الحدود[٧] .

١- سيد هادي خسرو شاهي، المصدر السابق، ص٦٩ .
٢- يحيى فوزي تويسركاني ، مذهب ومدرنيزاسيون در ايران ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي، تهران ١٣٨٠هـ ، ص١٧ .
٣- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص٦٣ .
٤- كريم طاهر زادة بهزاد ، قيام اذربيجان در انقلاب مشروطيت ، شركت اقبال وشركاء، تهران١٣٧٦ هـ ، ص١٦.
٥- سيد هادي خسرو شاهي، المصدر السابق، ص٢٩ .
٦- مرقد السيد عبد العظيم ، يقع جنوب غرب طهران ويبعد عنها مسافة ١٢ كم ،وهوقبر لاحد ابناء الامام موسى الكاظم (ع) ، يعّد من المراكز الدينية والسياحية المهمة في ايران ،شهد احداث تاريخية كثيرة . انظر : عليرضا اوسطي ، المصدر السابق ، ص٢١٤.
٧- محمود ابو ريّة، المصدر السابق، ص١٩ .

اما عن علاقة الافغاني بالماسونية، فانها بحاجة الى وقفة كبيرة وواعية من اجل اثبات حقيقة علاقته وانتمائه، صحيح ان الاشارات التي جاءت من بعض المؤرخين قليلة وضعيفة ،غير انها تعطي قدراً من صحة انه كان يتبنى الخط الماسوني في الانتماء فقط لا بالفعل الحقيقي لاهداف الماسونية .

فيورد المؤرخ محمود محمود نصاً يقول فيه لو سلمنا ان جمال الدين الافغاني مؤسس المحفل الماسوني الذي كلن يضم ثلاثمائة عضواً فانه كان يبغي من نشاطه هو إقامة الجامعة الاسلامية وتوحيد الامة ، ففي لقائه مع كاتكوف رئيس تحرير جريدة موسكو كان الافغاني يحرص ويدعو الى اتحاد وتعاون بين الروس والمسلمين من اجل مواجهة بريطانيا وكان يدعو روسيا الى مهاجمة الهند نكاية بالانكليز[1] .

وكانت الماسونية حينها ذات سمعة حسنة، اذ كانت ترفع شعارات الثورة الفرنسية في الحرية والاخاء والمساواة، وذلك قبل ان تكتشف نواياها الحقيقية، اذ يقول الافغاني عن سبب عمله في هذه التنظيمات : ((**اول ما شوقني للعمل في بداية الامر هو عنوان كبير وخطير (حرية – مساواة – اخاء) وغرضها منفعة الانسان والسعي وراء دك صروح الظلم وتشيد معالم العدل المطلق**))[2]، فأسس محفلاً بلغ عدد اعضائه ثلاثمائة عضو وكان متأثراً فقط بالعنوان ، وباعتبار ان الماسونية جمعية انسانية اجتماعية تدعو الى الاخاء والسلام وتدعو الى القيم والمثل الفاضلة، وتقدم الخدمات الاجتماعية لليتامى و الارامل والفقراء والمساكين[3] .

كما ان معظم الكتاب والمؤرخين الذين تناولوا موضوع الماسونية او حياة جمال الدين الافغاني لا يملكون الادلة والوثائق على فعالية جمال الدين الافغاني في المحافل الماسونية وانما اشارات بسيطة عن انتمائه فيبدو ان الافغاني استغل اسم الماسونية لتمرير نشاطاته المعادية للانكليز وكون الماسونية واجهة انسانية كما كانت تدعي في حينها قبل ان تنكشف نواياها ، وان من يشير الى نشاطه الواسع وبشكل صريح هو المؤرخ اسماعيل

١- محمود محمود، روابط سياسي ايران وانكليس درقرن نوزدهم ميلادي، جلد ينجم، جاب جهارم، شركت اقبال نسبي وشركاه، تهران ١٣٥١هـ ، ص١٣ .

٢- ينظر: عثمان امين، عبقرية جمال الدين الافغاني، مجلة العربي، الكويت، العدد ٧٩، حزيران ١٩٦٥، ص٥٥ .

٣- محسن عبد الحميد، علاقة الافغاني بالماسونية، ((مجلة)) الرسالة الاسلامية، العدد ٦٢- ٦٣، السنة السادسة حزيران تموز، ١٩٧٣، مقتبس من معد صابر رجب، المصدر السابق، ص٢٦ .

رائيين ، اذ يذكرأن الافغاني كان منتمياً الى تسعة محافل ماسونية ، مع انتحاله واحدا وعشرين اسما في تحركه وعمله السياسي التبليغي [1].

كل ما أردنا تاكيده هنا هو على مكانه السيد جمال الدين الافغاني في نفوس الايرانيين ودوره في تثوير الغضب الشعبي ضد القاجاريين سوءا في نقد الوضع السياسي او في نهضة التنباك او في ثورة المطالبة بالدستور .

ثانيا : التطورات والثورات في دول الجوار

اثرت الاحداث والتطورات الداخلية التي قامت في دول الجوار في تطور السياسة الداخلية الايرانية ، فقد قامت في هذه الدول اصلاحات دستورية قوية ، تاثر بها الشعب الايراني بدافع اقتباس التجارب من الغير وشيوع الافكار الاصلاحية والتقدمية والتي تشكل قاسما مشتركا بين كل الشعوب والمجتمعات ، او بدافع الغيرة الجماعية التي تحفز الاخرين نحو التغيير .

فالدولة العثمانية وهي الدولة الواسعة والتي لها مع ايران مصالح متعددة الجوانب ، متضاربة ومشتركة في ان واحد ، فقد كانت بداية الاصلاحات هي مع صدور ((خط كلخانة)) ، اذ ان الوعد بتطبيق العدالة والمساواة ، وكذلك صدور ((خط همايون)) عام ١٨٥٦م المانح للمساواة لكل طبقات الدولة العثمانية دون اعتبار للقومية والمذهب والدين[2]. وتوجت حركة المطالبة بالاصلاح عندما قام الالاف من رجال الدين وافراد الشعب بمهاجمة الباب العالي والتظاهر ضد السلطان وحكومته وذلك في الثاني والعشرين من مايس عام ١٨٧٦م، مما اضطر السلطان الى الاستجابة للمطاليب الشعبية ، الى ان جاء السلطان عبد الحميد الثاني *، وعين مدحت باشا صدرا اعظما واصدر اول

١- اسماعيل رائبين ، الماسونية في ايران ، ص٢٦١-٢٦٢ .

٢- للتفصيل راجع : صالح حسين الجبوري ، اثرا افكار عصر الاستنارة الاوربية في حركة الاصلاح والثورة الدستورية في الدولة العثمانية، بحث غير منشور ، كلية التربية ، جامعة تكريت ،٢٠٠٠م، ص٥.

* عبد الحميد الثاني : من سلاطين الدولة العثمانية المهمين ، ولد عام ١٨٤٢م هو ابن السلطان عبد الحميد بدأ حكمه عام ١٨٧٦م عندما خلع مراد الخامس ، كان عهد عبد الحميد مليئا بالتدخلات الاجنبية وتفاقم الديون الخارجية واتساع النشاط الماسوني ، اعتمد فكرة الجامعة الاسلامية اساسا لسياسته الخارجية له مواقف واضحة من قضية فلسطين ومن الصهيونية ، في عهده فرض الدستور وافتتح البرلمان في ١٨٧٧م واغلق لحين العودة بالعمل به عام ١٩٠٨م ، اطيح بحكمه يوم الحادي والثلاثين من مايس عام ١٩٠٩م من قبل جمعية الاتحاد والترقي وعين بدلا عنه اخيه محمد رشاد=

دستور عثماني في الثالث والعشرين من ايلول عام ١٨٧٦م ، وعقد اول جلسة له في التاسع عشر من اذار عام ١٨٧٧م ولكن بعد عام وبالتحديد في الرابع والعشرين من شباط عام ١٨٧٨م قام السلطان بحل البرلمان لحين عودته في السابع عشر من ايلول عام ١٩٠٨م [١].

كان دستور الدولة العثمانية حافزا قويا لمثقفي ومجددي ايران لنقل التجربة الى بلدانهم ، وهذا ما دفع الوطنيين والمثقفين في باريس الى تنظيم لجانا لشرح مطاليبهم الوطنية [٢]. وكانت صحف المعارضة الايرانية امثال صحيفة اختر تحث وتحرض على الثورة ضد الحكم القاجاري في صفوف تجمع المثقفين والوطنيين الايرانيين والمهاجرين ، والسبب الرئيس هو ان اذربيجان ومنها العدد الاعظم من الشخصيات المثقفة كانت ترتبط بصلات تاريخية ولغوية فضلا عن روابط الجوار والتجارة مع وجود شخصية جمال الدين الافغاني الذي وثق وقرب العلاقات بينهم [٣]. رغم ان التوجهات السياسية العثمانية العامة تهدف الى ابقاء الانظمة الاستبدادية حاكمة في بلدان المنطقة خوفا من تعرضها الى هزات ثورية تهدد انظمتها السياسية من خلال تبني المفاهيم الدستورية الحديثة ، لكن حجم الخلافات بين ايران والدولة العثمانية وهي خلافات مذهبية ، وحدودية ، وسياسية ، دفع الدولة العثمانية مكرهة الى دعم المعارضين الايرانيين ضد حكومتهم ، كوسيلة من وسائل تصفية الحسابات مع عدوتها التاريخية ايران [٤]. كما ان المثقفين العثمانيين سبقوا الايرانيين في العمل الحزبي والجمعيات ، اذ شكلوا اول الاحزاب السياسية مثل الشبان الاتراك ((Young Turk)) وفي حزيران ١٨٦٥م تشكلت جمعية العثمانيين الجدد ، وهذا ما اثر في المثقفين الايرانيين لنقل هذه التجربة [٥].

تدخلت المانيا لترسيخ نفوذها بالمنطقة من خلال الدولة العثمانية ولكن اهدافها كانت تصطدم دوما مع بريطانيا وروسيا التي افشلت كل محاولات المانيا [٦]. اما في روسيا ،

= باسم محمد الخامس . راجع :محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلّية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٧ ، ص٣١٩ .

١- دستورها درجهان شرق ،همشهري ((مجلة)) ، تهران ، شماره ٣٤٦٨ ، يكشنبة ١٤ مرداد ١٣٨٠هـ ، ص١٧ .

٢- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

٣- كريم طاهر زادة بهزاد ، المصدر السابق ،ص١٤٩ .

٤- يحيى فوزي تويسركاني ، المصدر السابق ، ص٩٩ .

٥- ز . ي . هرشلاغ ، المصدر السابق ، ص٢٠٠.

٦- المصدر نفسه ، ص١٩٧ .

فكانت الهزيمة التي مني بها الجيش الروسي على يد القوات اليابانية في حرب ١٩٠٤ – ١٩٠٥ اثر هام وصدى واسع في جميع انحاء العالم ، اذ كانت المره الاولى التي تنتصر فيها دولة شرقية اسيوية صغيرة على امبراطورية استعمارية اوربية [١] ، اذ عد هذا الانتصار اثبات ولاول مرة في التاريخ الحديث ان بامكان غير الاوربي الحاق الهزيمة الموجعة بالاوربي الابيض ، وفوق ذلك فان القوة المهزومة - روسيا - كانت هي التي تستعمر بلدهم [٢]. فضلا عن ذلك اعطى هذا النصر الياباني لدعاة الاصلاح الايرانيين دعما قويا باعتبار ان الانتصار تم لانها دولة دستورية (فقد نالت دستورها عام ١٨٩٩م)* وان هزيمتها جاءت لانها دولة استبدادية لايسودها القانون[٣].

اما عن تاثير روسيا ، فان مناطق القفقاس بقدر ما كانت مناطق اتصال فكري واجتماعي بين ايران وروسيا ، فقد كانت مجالا خصبا لقيام الحركات الثورية ضد القيصر الروسي، فقد نشأت فيها الجمعية الفدائية وحركة الديمقراطيين الدستوريين [٤]. ومن هذه المناطق دخلت ايران المفاهيم الثورية الاشتراكية وظهرت المجموعات اليسارية في طهران وشمال ايران تحت اسماء مختلفة منها الاجتماعيون العاميون والاشتراكيون الديمقراطيون [٥]. وعندما بدأت صحيفة الاسكرا - الشرارة - بالصدور من روسيا وهي لسان حال الحزب الاشتراكي الديمقراطي ** اخذ الثوريون الايرانيون المقيمون في مناطق القفقاس بجلب نسخ منها الى ايران عبر باكو*** ، حيث كانوا يعملون في حقول

١- عبد السلام عبد العزيزفهمي ، المصدر السابق ، ص٢٠.

٢- عبد المنعم حسن ، جذور الحركة الاسلامية في الاتحاد السوفياتي المنحل ، بحث منشور على شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع : www.darislam.com/home/alfekr/data

* الدستور الياباني اقر بامر من الامبراطور متسو هيتو (Mutsu Hito) (١٨٦٧م – ١٩١٢م) وذلك بعد ان تغلب على العناصر الرجعية والاقطاعية وامر بانشاء البرلمان تاثرا بالغرب ، فلم تكن هناك ثورة وانما حركة اصلاحية عامة . ينظر : ميكادونامه ، المصدر السابق ، ص٧ .

٣-سمير عبد الوهاب عبد الكريم ، اثر العوامل الخارجية في الاتجاهات السياسية والعسكرية في ايران، مجلة كلية المعلمين ، العدد الثالث والعشرين ،السنة ٢٠٠١ ، ص٩٣ .

٤- عبد المنعم حسن ، المصدر السابق ، ص١٧ .

٥- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

** الحزب الاشتراكي الديمقراطي : اعلن عن تاسيس الحزب في المؤتمر الاول الذي عقد في اذار ١٨٩٨م وظهر للوجود فعليا في اب ١٩٠٣ ، ويضم عمالا وفلاحين وكسبة وطلاب ، وشكل فيما بعد الحزب الشيوعي السوفياتي . انظر : ب . ن. بوناماريوف ، القاموس السياسي ، ترجمة عبد الرزاق الصافي ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٧٤ ، ص١٠٩.

*** باكو : عاصمة جمهورية اذربيجان تقع على الساحل الغربي لبحر قزوين ، وتعد من المراكز النفطية المهمة في العالم ، اذ تتركز حقول النفط في شبه جزيرة ابيثرون ،يبلغ سكانها اكثر من مليون نسمة ، وفيها ثلاثة ارباع المراكز الصناعية في القفقاس ، وبها جامعة مشهورة ، اشتهرت =

النفط هناك، وكان لهم عدد وثقل ،فقد قدر عددهم بحوالي ٣٠٠,٠٠٠ عامل ويشكلون نسبة ٥٠% من اجمالي عدد العمال في تلك الحقول [١]. وجلهم من مناطق شمال ايران (اذربيجان و كيلان) ولقد تاثروا كثيرا بالافكار الماركسية الاشتراكية [٢]. وكانوا يؤمنون ان انتصار الثورة الايرانية اسهل مما في روسيا لعجز الحكم القاجاري ، ولعدم وجود جيش قوي ليقمع الثورة باعتبار ان الجيش الروسي كان قويا ومدربا ونظاميا قياسا الى الجيش الايراني الضعيف ، وايضا وجود قاسم مشترك بين المسلمين الروس والايرانيين الذين يعتبرون اسرة آل رومانوف* واسرة القاجار عدوا مشتركا لهم[٣].

ولكن تداعيات الاحداث في روسيا القيصرية كانت اسرع مما هي في ايران فقد سبقت روسيا بالثورة ضد القيصر ، مما اضطره الى اعلان الدستور في الثلاثين من تشرين الاول عام ١٩٠٥م وتشكيل البرلمان ((الدوما)) ، وهذا ما جعل الايرانيون يتاثرون بشكل اكبر بمجريات الاحداث هناك وان يسرعوا في تطبيق تجربة البرلمان في بلدهم [٤]. فازداد نشاط المجاميع الايرانية التي اخذت طابع التكتلات السياسية والمؤمنة بالمفاهيم الاشتراكية ، مثل مجموعة همت ((الطموح)) وعدالت ((العدالة)) وبدأت نشاطها السياسي بتشكيل النقابات التي بدأت بتنظيم الاضرابات والتظاهرات واصدار البيانات ونشرها عبر صحيفة اتفاق كاركران ((اتحاد الشغيلة))[٥]. كان هَمّ الاشتراكيون الروس هو تثوير الوضع الايراني وتصعيده نحو اسقاط النظام القاجاري، ونفس لينين اعطى

= بزراعة الكروم ، وتحوي مدنها على اثار اسلامية عديدة تعود الى العصر العباسي فصاعدا . للتفصيل ينظر : ستروييف ، جغرافية الاتحاد السوفياتي ، دار التقدم ، موسكو ، د.ت ، ص٢٥٣.

١- لينين ، الاعمال الكاملة ، المجلد ٣٤ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٦٩م ، ص٧٢ .

٢- عبد الصمد كامبخش ، الحركة العمالية والشيوعية في ايران ،شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع: www.marxist.com/iran-chap3

* آل رومانوف : اسرة روسية مالكة تولت الحكم ثلاثة قرون ، زعيم الاسرة ميخائيل رومانوف حكم امارة موسكو عام ١٦١٣م وهو من ام المانية ، خلفه ابنه الكسيس عام ١٨٣٣م وابنه بطرس الاكبر مؤسس الامبراطورية الروسية ، خلفته كاترين الاولى١٧٦٢م – ١٧٩٦م ، وكان هدف اسرة رومانوف السيطرة على اسيا الوسطى والقوقاز ومنطقة المضايق وفرض وصايتها على المسيحيين الارثودكس حتى الذين داخل الدولة العثمانية ، انتهى حكم هذه الاسرة بقيام الثورة الروسية البلشفية عام ١٩١٧م . انظر : احمد عطية الله ، المصدر السابق ، ص٥٧٧ .

٣ - عبد المنعم حسن ، المصدر السابق ، ص١٩.

4- يوسف عزيزي ، اليسار الايراني المنشأ والافاق ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع: www.Ahwazstudies.net/persian

٥- محمد علي طه الجبوري ، تاريخ الحزب الشيوعي الايراني ((تودة)) ١٩٤١ – ١٩٦٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٨ ، ص١٨.

اهتمـام بـالثورة الدسـتورية لـيس لاعتبارهـا الاسـلامي اولانهـا تمثـل النمـوذج للتحـرك الاسلامي وانما كان اهتمامه بها باعتبارها منبعا لفهم دروس الثورة[١].

١- عبد المنعم حسن ، المصدر السابق ، ص٢١.

المبحث الثالث
الاسباب المباشرة

تميزت المراحل الاولى للثورة بالتطورات السريعة ، وباتجاه تعميق المشاعر القومية وصبها في قالب وطني [١]. تالفت بها طروحات المثقفين الداعية الى التغير في البيئة السياسية للسلطة مع النفوذ الروحي القيادي الذي مارسه رجال الدين في توجيه غضب الشعب وتحويله الى قوة ضغط على الحكومة ، التي لا تملك خيارا غير الرضوخ للمطاليب الوطنية بعد ان مارست سياسة القمع والقوة التي لم تجد نفعا معها [٢].

كما ايقن الشاه والحكومة ان البلاد قد اثرت بها متغيرات داخلية وخارجية ، احدثت تغييرا في البنية السياسية الاجتماعية والثقافية بشكل تصادم بالنهاية مع البنية السياسية التي بقيت في حالة الجمود والتخلف ، وهذا ما جعل حدة التناقض تزداد وتصل الى حافة الانفجار [٣].

حاول كثير من الكتاب والمؤرخين وضع تاريخ محدد لقيام الثورة الدستورية في ايران من خلال اعتمادهم على حادثة ما تكون بداية الشرارة الاولى للثورة ولكن الملاحظ ان الثورة الدستورية كانت موجهة بشكل اساس ضد النفوذ الاستعماري في ايران واستبداد الشاه وكبار الاقطاعيين ، وكانت تحمل طابعا ديمقراطيا ، وبعض التوجهات البرجوازية خصوصا في مراحلها الاولى المبكرة ، وطغى العامل الجماهيري على احداثها [٤]. اذن يتضح لها ان الخلفية التاريخية لجذور الثورة تعود الى تشكيل ، وقيام النظام القاجاري وحروبه مع روسيا والخسائر التي مني بها ، وهذا ما ذهب اليه بعض المؤرخين عندما قسموا مراحل الثورة الى خمسة مراحل اولها مرحلة البدء المذكورة اعلاه واخرها قيام الثورة واوسطها مراحل التغيير والاصلاح البطيء التي مرت بها ايران [٥].

١- فريدون ادميت ، فكري آزادي ومقدمة مشروطيت ، انتشارات سخن ،تهران ١٣٤٠هـ ، ص١١٣.
٢- هاشم محيط بافي، المصدر السابق ، ص٧٦ .
٣- جلال نوحي ، بررسي تئوريها جامعة شناسي انقلاب وميزان انطباق انها با انقلاب مشروطيت ايران ، دانشكدة ادبيات وعلوم انساني ، دانشكاه اصفهان ، ١٣٨٠هـ ، ص١٤ .
٤- طاهر البكاء ، من تاريخ الحياة البرلمانية في ايران ، ص٧٩ .
5-Hafez Farman Farmayan , The Forces of Modernization in ninteen Century, Iran , London, 1972 , p.45 .

ولكن من باب ترتيب سياق الاحداث وتحديدها بزمن فان معظم المؤرخين يحددون حادثتين كسبب مباشر واولي لقيام الثورة واول هاتين الحادثتين قضية المسيونوز (Nous)* والثانية قضية غلاء اسعار السكر، ومعاقبة التجار على ضوء هذا الغلاء [١].

في طهران ايقن كبار رجال الدين ذوو الافكار التجديدية والتحررية ان الحكومة ستصل في بطشها الى كافة فئات الشعب ومنهم العلماء [٢]. وكان في طهران اثنان من رجال الدين يحسب لهم حساب خاص فهم من كبار المجتهدين ولهم شعبية في اوساط الشعب مع تمتعهم بعلاقات وطيدة مع مختلف الشخصيات الوطنية والمثقفة وهما السيد محمد طباطبائي ** والسيد عبد الله البهبهاني ***، اللذان اقاما تحالفا قويا فيما بينهما من اجل محاربة الاستبداد وعد احمد كسروي هذا التحالف بداية الثورة ضد السلطة القاجارية تزامنا مع توجهات المثقفين والتجار الذين يملكون نفس الرغبة [٣].

كان الموقف من الخبير نوز (Nous) البلجيكي والمسؤول عن جمارك ايران هو سياسته ضد التجار الذين اتهموه بفرض الرسوم العالية وتشجيع البضائع الاجنبية ، مع تحيزه لغير المسلمين وخاصة الارمن الذين اعطاهم المناصب العليا في الجمارك كما ان تطاوله وصل حدا انه كان يستهين بالمعتقدات الدينية للايرانيين ، اذ قلد الزي الديني الايراني – العمامة والعباءة – وذلك في حفلة تنكرية اقيمت عند احدى الجاليات الاجنبية

---

* المسيونوز : رجل اقتصاد وسياسة بلجيكي استقدم لايران للعمل كمسؤول عن دائرة الجمارك ، واصبح مسؤولا عن دوائر عديدة منها البريد والبرق والضرائب. راجع : طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص١١٠ .

١- اسعد محمد زيدان الجواري ، المصدر السابق ، ص٦٨ .

٢- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص١٢٥ .

** السيد محمد الطباطبائي: المعروف بـ سنكلجي وهو ابن السيد صادق الطباطبائي الهمداني المتوفي عام ١٣٠٠هـ /١٨٨٢م كان فاضلا مؤمنا مجاهدا ومحترما من قبل مثقفي واصلاحيي ايران واعتبر من القادة الاوائل في الثورة الدستورية ، اغتيل بعد قيام الثورة ضمن صراعات القوى . انظر: مهدي بامداد ، رجال ايران ، جلد سوم ، زوار ، ص٢٧٩-٢٨٠ .

*** سيد عبدالله مجتهد بهبهاني : من قادة الثورة الدستورية وهو ابن السيد اسماعيل المتوفي في ١٢٩٠هـ / ١٨٧٨م ولد البهبهاني في النجف الاشرف سنة ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م وهو من طلاب السيد محمد حسن الشيرازي ، كانت له السطوة والمكانة في طهران قبل الثورة ، واثناء الثورة كان له دور فاعل ، وبعد انتكاسة الثورة ابعد الى كرمانشاه ، وبعد فتح طهران على يد الثوار عاد اليها وكان ضحية لمسلسل الاغتيالات السياسية ، اذ قتل في ١٣٣٨هـ / ١٩١٠م امام منزله ، ونقلت جثمانه الى النجف حيث دفن فيها بجوار قبر ابيه . راجع : مهدي بامداد ، رجال ايران ، جلد دوم ، زوار ص٢٨٢-٢٨٩ .

٣- جلال نوحي ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

في ايران [١]. فقد استغل الوطنيون ورجال الدين هذه الحادثة للضغط على الحكومة من اجل عزله وطرده من ايران وبالتالي تخليص التجار من سياسته المقيتة ، فتحرك العلماء بهذا الاتجاه من خلال خطبهم ومحاضراتهم في المساجد والتجمعات [٢]. فقد اصدر السيد الطباطبائي بيانا وزع في كافة المدن جاء فيه: ((**ايها المسلمون مات الاسلام وقام الكفر، والحاكم هو نوز والوزير هو لافرس(Laverso)* ورجال الحكم هم النصارى ، انها النهاية**)) وفي سياق متصل القى السيد البهبهاني خطبة في الخامس عشر من اذار عام ١٩٠٥م اعلن فيها : ((**ان كرامة المسلمين الجريحة لا تلتئم الا بقتل نوز وجماعته ، وانه يجب مقاومة النفوذ الاجنبي ، وان على الحكومة ان تستجيب لمطالب الشعب خلال ثلاثة ايام ، والا فاننا كمسلمين سنستمر في حملتنا على الاجانب في البلاد**)) [٣]. ووصلت الحالة بان وقف خطيب مسجد شيراز الحاج علي اكبر شكسته ليعلن بعد ان قام باشهار سيف كان بيده ((**بانه قد طاب الجهاد ومقاومة الحكام**))[٤].

ونتيجة لهذه الضغوط الشعبية قرر الشاه مظفر الدين عزل المسيو نوز دون طرده من البلاد [٥]. كان هذا الموقف مدعوما بشكل قوي من الطبقة الوسطى وخاصة التجار الذين تضررت مصالحهم كثيرا ، الذين كانوا يطمحون الى تحرير التجارة المحلية من سلطة وهيمنة الدولة والمصالح الغربية القائمة على اضعاف الاقتصاد الايراني وتسخير كل موارد الدولة لصالح الاستثمارات الاجنبية [٦]. كانت الاستجابة الجماهيرية لهذه الدعوات واضحة وسريعة ، اذ بدأت باعلان تذمرها وتهجمها على الحكومة والدعوة الى مفاهيم جديدة اذ بدأت تظهر بين السن الناس مصطلحات جديدة غير مالوفة مثل ،الوطن ،الامة الحرية ، وغيرها من المفردات [٧].

١- الدستور الفارسي ، تاريخه ،((الهلال)) مجلة ، القاهرة ، الجزء السابع ، السنة السابعة عشر ، ١نيسان ١٩٠٩ ،ص ٣٩٢ .

2-Ervand Abrhamian, The Causes of the Constitutional Revolution in Iran, International Journal of Middle East Studies, Vol 1 , No3 , August 1979 , P.404 .

* لافرس (Laverso) كان موظفا بلجيكيا في الجمارك الايرانية. انظر : علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص٤٥٩.

٣- طلال مجذوب ، المصدر السابق، ص٧٨.

٤- المصدر نفسه ، ص٨٠ .

5-Ervand Abrahamian , Op.Cit, P.404 .

٦- هاشم محيط بافي ، المصد رالسابق ، ص١٨.

٧- زهرا شجيعي ، المصدر السابق ، ص٧٥.

ايقن رجال الدين والاحرار المطالبين بانهاء الاستبداد الداخلي ومحاربة النفوذ الاجنبي، ان ايران يجب ان تقدم على تغيير عظيم لكي تنهي كل مظاهر النفوذ الروسي المتعاظم في البلاط وفي مرافق الحياة الاقتصادية المتعددة فكانت حادثة مبنى المصرف الروسي الذي ارادت روسيا انشاءه فوق ارض كانت قد اشترتها القنصلية الروسية من الحكومة الايرانية ، وكانت هذه الارض مخصصة لدائرة الاوقاف وبها مقبرة اسلامية مهجورة ، فعمد الروس الى المباشرة ببنائها مما اثار حفيظة المواطنين[١]، وتحرك العلماء شارحين للناس كيف ان الروس اخرجوا عظام الموتى ورميها ببئر قريبة وان هذا انتهاك لحرمة الاموات وان مصارفهم تقوم على الربا المحرم شرعا [٢]. وهكذا قامت الجموع الغاضبة بتاريخ السادس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٠٥م بهدم وتدمير المبنى بالكامل ، مما اضطر الحكومة الايرانية الى تعويض الخسائر الى الجانب الروسي والبالغة عشرين الف تومان[٣].

القت الحرب الروسية – اليابانية عام (١٩٠٤ –١٩٠٥) بظلالها على التبادل التجاري بين روسيا وايران ، وانعكست الهزيمة الروسية باثارها على الاقتصاد الروسي مما دفع الميزان التجاري الى الاضطراب فقلت الصادرات الى ايران فضلا عن اضطراب الامن وقيام التمردات في القفقاس الروسية ، مع بداية شهر كانون الاول / ١٩٠٥ ارتفعت اسعار المحروقات والسلع الواردة الى ايران ومنها مادة السكر وبنسبة ٤٠% اذ ارتفعت اسعارها من ٦.٥ قران الى ٨ قران للمن الواحد [٤]. مما دفع بالحكومة وخاصة حاكم طهران علاء الدولة الذي كان يكن العداء لطبقة رجال الدين بسبب موقفهم المعادي من السياسة الجمركية التي اتبعها المسيو جوزف ناوس (Nous) فاستغل حادثة ارتفاع الاسعار ، ودعا التجار الى اجتماع لمناقشة سبل عودة الاسعار الى وضعها السابق [٥]. وكان اهم التجار المقصودين بالاجتماع هما سيد هاشم قندي وهو من كبار تجار ايران ومعروف بتقواه ونزاهته ومساعدته للفقراء وكان له من العمر خمسة وستين عاما والثاني هو حاجي

١- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، جاب سوم ، مؤسسة مطبوعاتي اميركبير ، تهران ١٣١٩ هـ ، ص٥٧ .
٢- المصدر نفسه ، ص٥٩ .
٣- ف. و. ٤١٦ / ٢٥ نامة از داف به لانسدون ، شماره ٦١ ، تهران ٢٧/ نوفمبر /١٩٠٥ .
٤- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص١٢٢.
٥- محمد علي همايون كاتوزيان ، اقتصاد سياسي ايران از مشروطيت تاپايان سلسلة بهلوي ، ترجمت محمد رضا نفيسي وكامبيز عزيزي ، جاب جهارم ، نشر مركز ، تهران ١٣٧٣ هـ ، ص٣٢.

سيد اسماعيل وكان ضابطا متقاعدا من سلاح المدفعية [١]. طلب علاء الدولة من التجار ان يحددوا سعر المن من السكر بخمسة قرانات وهذا يعني الخسارة بعينها لان كمية المستورد منه قليلة وباسعار عالية ، لكن هذه التبريرات لم ترق لحاكم طهران علاء الدولة. فأمر على الفور بجلد هذين التاجرين وذلك باستخدام الفلقة [٢].

يورد معظم المؤرخين هذه الحادثة بسياق السرد التاريخي للحدث دون تحليله اذ كان علاء الدولة يهدف من اجرائه هذا الى توجيه رسالة واضحة الى فئة التجار ان لا تعارض اوتقف ضد قرارات الحكومة وكذلك ان لاتقدم الدعم المادي للوطنيين الاحرار ورجال الدين الذين ما انفكوا يطالبون بالاصلاحات وتحديد سلطة الحكومة والشاه، زيادة على ذلك كان علاء الدين يهدف الى بث الرعب في صفوف العامة من الشعب الذي بدأ يبدي رفضه وامتعاضه من سياسات الحكومة من خلال الانتفاضات المستمرة في طهران والمدن الايرانية الاخرى .

وخاصة مدينة كرمان ، التي شهدت انتفاضة ضد سياسة الدولة وحاكمها هناك * دفعت هذه الاحداث بالتجار ورجال الدين وفئات الشعب المتضررة الى اعلان احتجاجهم من هذه السياسات ، ففي الثالث عشر من كانون الاول عام ١٩٠٥م قاموا بالتجمع في مسجد شاه للتعبير عن استنكارهم ، وانبرى رجال الدين الخطباء لشرح مظالم الحكومة ضد الشعب ، والتنديد بالفساد والدعوة لتغيير الاوضاع [٣]. وقد برز السيد جمال الدين الاصفهاني داعيا الناس الى الثورة علنا والمطالبة بتغيير النظام السياسي من ملكي الى جمهوري [٤]. فكان الاصفهاني في موقفه هذا اول من دعا الى اقامة النظام الجمهوري في بلد لا يعرف ماهية هذه المصطلحات ولم يتداولها من قبل في اوساط الكثير من

١- محمد علي همايون كاتوزيان ، المصدر السابق ، ص٣٩ .

٢- حسن اعظام قدسي ، خاطرات من ياروشن شدن تاريخ صد ساله ، جابخانه حيدري ، تهران ١٣٤٣هـ ، ص١٠٦-١٠٧.

* حيث كان حاكم المدينة الامير ظفر السلطنة الذي قام بمحاربة اهل كرمان وعلمائها وخاصة حاجي ميرزا محمد رضا ، الدارس في الحوزة العلمية بالنجف الاشرف و يعتبر من المجتهدين الكبار والذين يحظون بتقدير اهالي كرمان ، حيث قام ظفر السلطنه بجلده و تعذيبه لمواقفه الحاسمة اتجاه الاحكام الشرعية في المدينة مما دفع اهل كرمان للالتفاف حوله والقيام بانتفاضة ضد الحاكم القاجاري وبالنتيجة اجبر الصدر الاعظم على اقالته واستدعاه الى طهران لتخفيف حدة العنف في كرمان . للتفصيل ينظر : المصدر نفسه ، ص.١١٠

3-Ervand Abrahamian , OP.Cit , P.404 .

٤- ف. و، برونده ، شمارة ٣٦ / ٤١٦ ، از كرانت داف به سرادوارد كراي ، شمارة ٣٧٧ ، تهران ٢٨ دسامبر ١٩٠٥ .

المتنورين، بحكم الطبيعة الاستبدادية القاجارية التي اغرقوا بها لسنوات طويلة [١]. وبدأ تحرك اخر باتجاه راس السلطة من خلال رسالة بعث بها السيد الطباطبائي الى الشاه جاء فيها : ((**يا جلالة الشاه، ان البلاد في حالة خراب ، والرعية بفقر وتعدي من قبل الحكام المأمورين عليهم، فقد سلبت اموالهم وحقوقهم ، واعراض النساء اصبحت مستباحة كما حدث في قوجان ، عندما قام الوالي ببيع النساء الى التركمان والارامنة بثمن بخس ، وفرت الرعية من ديارها الى اراضي الروس ، ويعلم جلالتكم ان كل هذه المفاسد لا تحل الا بمجلس للعدالة يكون فيه الحق متساويا بين الملك والفقير وبهذا المجلس تحل كل مشاكل البلاد وتعمر البلاد ويرد طمع الاجانب بها ، فلا انكليز يطمعون باراضينا في اقليم سيستان وبلوشستان و لا روس في اراضي الشمال ، ولا يجرء العثمانيون بالاعتداء على ايران**))[٢]. وفي خطبة اخرى يعلن ((**ان داءكم هو الاستبداد ، ودواءكم الشورى ، وسنظل نطالب بمجلس للعدل ولو بقينا عشر سنوات**))[٣]. وهكذا حدد رجال الدين المجددون برنامج عملهم وطروحاتهم السياسية – كما في تعبير السيد الطباطبائي – وهو الاشد فهما لاصول التمدن والحضارة الغربية ومن اشد الداعين الى الاصلاح والتجديد وتطبيق الدستور ، وان الحكومة الاستبدادية هي سبب الهيمنة الاجنبية وتخلف البلاد [٤]. وبهذا تكون وجهات نظر رجال الدين المجددين متطابقة كليا مع مثقفي ايران المتاثرين بالغرب الليبرالي ، عدو واحد هو الاستبداد القاجاري وهدف واحد تطبيق الدستور ، وكانوا متفقين في اسلوب التحرك الجماهيري من خلال الجمعيات التي لعبت الدور الرئيس في ايقاظ قوى الشعب وتهيئة الارضية الملائمة للثورة وتطبيق المشروطية – الدستورية- [٥].

اما المثقفون الذين كانت لهم الخطوة في الكلمة المؤثرة المطبوعة على صفحات الجرائد والمجلات ، فقد كانت تنادي بالاصلاح وتقاوم روح التعصب الديني وتؤيد السياسات الوطنية الثورية [٦]. فجريدة قانون تذكر في عددها الاول ان كثيرا من الشعب

١- محمد علي همايون كاتوزيان ، المصدر السابق ، ص٤١.
٢- علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص٤٧٠.
٣- زهرا شجيعي ، المصدر السابق ، ص٧٣.
٤- مريم جواهري ، المصدر السابق، ص٩٦ .
٥- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، ص٧٠ .
٦- علي اصغر حقدار ، فرهنك ايران ومدرينة ، مجلة ادبيات ، دانشكاه اصفهان ، سال ١٣٧٦هـ، ص٣١.

الايراني هاجر من وطنه لاسباب قاهرة ، وكان منهم مثقفون كثيرون ، فكروا في انقاذ شعبهم وتحقيق الاصلاح [١]. اما صحيفة برورش فقد كتبت في عددها الرابع تصف حال البلاد وتذكر: ((**ان البلاد المتخلفة والمتاخرة تبقى هدفا مغريا للعدوان الاجنبي ، وان التجربة التاريخية تدل على ان الدول الاوربية لم تهاجم بلدا قوي ، بل انها على الدوام كانت تعتدي على البلد الضعيف ، وان حكام ايران بسبب سوء سياستهم اوصلوا البلاد الى حالة الضعف والتاخر وهذا لا يعالج الا بالاصلاحات**)) [٢].

كان المثقفون الايرانيون يرون ان الاستبداد نوعان : الاستبداد السياسي الذي يؤدي الى التخلف الاجتماعي والثقافي ، ويرسخ الهيمنة الاستعمارية وان الحكومة المطلقة الاستبدادية هي كمثل طباع الاسود والوحوش في الصحراء ، اما الاستبداد الديني هو ان يقوم رجال الدين بسلب حرية الفرد والمسلم ، وترسيخ التخلف والجهل في المجتمع ، ويقوم بهذا الاستبداد علماء السوء ، وقطاع الطرق ، ومضللي ضعاف النفوس من المسلمين ، والمتسربلين بلباس الدين [٣]. تفاقمت العلاقة سوءا بين الثوار والحكومة ووصلت الى حد القطيعة فقام موجه الثورة الطباطبائي بارسال برقية الى الصدر الاعظم عين الدولة جاء فيها : ((**من المسلم ان الخراب المستشري في الدولة مرده هو عدم تطبيق الاصلاحات وهذا لايتم الا بتاسيس مجلس يقوم باصلاح الاوضاع ، وان هذه الاصلاحات قائمة لا محالة ولكننا نريدها ان تكون على يد الشاه والحكومة ، لا عن طريق الروس والانكليز والعثمانيين – وهي اشارة الى المثقفين المتاثرين بالافكار الغربية – واذا لم تؤسس دار العدالة فان معظم سكان ايران سيكونون بحالة الفقر والتشرذم وسوف تضمحل الحكومة ، لانها بدون سند شعبي**)) [٤]. بقيت وتيرة الاحداث في تصاعد بين الثوار وجماهير الشعب وبين حكومة عين الدولة المستبدة ، وكانت الاستجابة الشعبية واسعة ليس في طهران وحدها وانما في الولايات الايرانية الاخرى ، واضطربت احوال المدن الكبرى مثل مشهد، وشيراز ، واصفهان وتبريز ، حتى ان اهالي شيراز وجهوا رسالة مفتوحة ومطولة الى ممثلي الدول الاجنبية في طهران ،

١- سيد فريد قاسمي ، المصدر السابق، ص١٥٥.
٢- مريم جواهري ، المصدر السابق ، ص٩٩ .
٣- ناظم الاسلام كرماني ، المصدر السابق ،ص٤٧ .
٤- مهدي ملكزادة ،تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد اول ، ص١٠٦.

يشكون فيها من ظلم الوالي – الحاكم – شعاع السلطنة [1]. وكان راي العلماء هو التوجه الى مرقد عبد العظيم لاقامة اعتصام وكما يسمى بالفارسية ((بست))* ، وطرحوا مطاليب محددة اهمها عزل نوز(Nous) عن عمله ، وتاسيس المحاكم العدلية في البلاد مع مطاليب اخرى ثانوية ، اراد قادة الثورة ايصال مطاليبهم الى الشاه خوفا من هيمنة وسلطة الصدر الاعظم (عين الدولة) في تسويق وتضييع هذه المطاليب [2]. لذلك قام المجتهدون بتفويض يحيى دولت ابادي بايصال هذه المطاليب الى السفير العثماني** لدى طهران، وبعد مداولات حول تفسير ماهية الاصلاح وتطبيق الشريعة الاسلامية والوصول الى صيغة نهائية ، قام السفير العثماني بعرض هذه المطاليب على الشاه ،وبسبب نزاهة وقوة شخصية السفير العثماني ، فان الثوار المعتصمون في مرقد عبد العظيم ارادوا ايصال مطاليبهم عبره لانهم واثقون من ان عين الدولة ورجالاته كانت تضرب جدارا حديديا بين الشاه وفئات الشعب الاخرى [3].

حاول عين الدولة دق اسفين بين علماء النجف الاشرف وقادة الثورة في ايران فبعث برساله اليهم حملها لهم بعض رجال الدين الموالين للبلاط امثال اقاكبر بروجردي جاء فيها : ((**اريد اطلاع حضراتكم ان الاشخاص الذين اعتصموا في مرقد عبد العظيم والمطالبين بالعدالتخانه ((دار العدالة)) هم نفر قليل ليس لهم أي علاقة او رابطة برجال الدين ، وان رجال الدين في طهران لم يخرجوا ابدا عنها**))[4] . ولكن هذه الرسالة وقعت بيد السيد البهبهاني وافتضح امر عين الدولة، الذي حاول بشتى الوسائل

١- ف . و ، برونده شمارة ٤١٦/٣٦ ، ضميمة شماره ٩٩ ، ازمردم شيراز بنمايند كهاي دول خارجي در تهران ، ٢٧ دسامبر ١٩٠٥ .

* البست : تعني البست اللجوء الى المراقد المقدسة او بيوت كبار رجال الدين او الهيئات الدبلوماسية الاجنبية من قبل المعارضين والفارين من سلطة الدولة التي لايحق لها ان تقتحم هذه الاماكن وتطبق احكامها القانونية ، واعتقد ان اصل الكلمة تعني الشيء المغلق او الصلد الذي لا يمكن النفوذ اليه من خلال ترجمة ومطابقة الكلمة مع معناها اللغوي بالعربية ، او مشتقة من كلمة – post- أي البريد ، اذ كان اللجوء ايضا الى مراكز البرق والبريد . ينظر : حسن اعظام قدسي ،المصدر السابق،ص١١٤.

٢- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، ص٦٧ .

** كان يشغل منصب السفارة العثمانية في طهران شمس الدين بك وكان ذو نزعة تحررية ومؤمنا بالافكار الحديثة رغم انه يمثل دولة استبدادية و كان عارفا باداب اللغة الفارسية وكانت علاقاته واسعة مع مفكري واحرار وكتاب ايران امثال ملك المتكلمين والحاج ميرزا يحيى دولت ابادي ، فلهذا وقع الاختيار عليه بايصال المطاليب للشاه . ينظر : المصدر نفسه ، ص٧٠.

٣- حامد الكار ، نقش روحانيت بيشرو در جنبش مشروطيت ، ترجمت دكتر ابو القاسم سري ، جابخانه رامين ، تهران ١٣٥٦هـ ، ص٦٧ .

٤- المصدر نفسه ، ص٦٩.

احباط امال المعتصمين وافشال مخططهم ، فلجأ الى اسلوب الاغراء المادي والرشوة ، اذ قدم مبالغ ضخمة الى السيد البهبهاني والطباطبائي ، ولكنه واجه الرفض القاطع من قبلهم ومن قبل كل الشخصيات التي حاول اغراءها بالاموال [١].

فاصر قادة الثورة ازاء كل تلك المحاولات المستميتة والبائسة ، الى اصدار وثيقة تاريخية ووقع عليها السيد الطباطبائي ، والبهبهاني وملك المتكلمين ، جاء فيها : ((**نحن الموقعون ولاجل انقاذ الامة الايرانية من الظلم قررنا المطالبة باقرار وتحقيق المشروطية ومجلس منتخب من قبل الامة ، واصلاح امور المسلمين وامة ايران**))[٢].

نلاحظ هنا كيف بدأت مفردات المجلس المنتخب والاصلاح العام ومصطلح الامة تطرح في الشارع السياسي الايراني ،اذ تعد هذه الخطوة تطورا في الوعي السياسي وفي تاثير الافكار الغربية الليبرالية في تفكير القادة الوطنيين وحتى عند رجال الدين – المتنوريين - .

رغم ان الدعوات الاولى للثوار المعتصمين كانت تنصب على تاسيس دار العدالة الا ان موقف سيد جمال الدين الاصفهاني كان منذ البداية قائما على التشدد او التطرف ان صح التعبير ، لانه ذهب ابعد بكثير من مواقف باقي الاتجاهات ، اذ قال مخاطبا السيد البهبهاني : ((**انا اريد ان احمل الشاه على تاسيس المجلس ، وساعمل من اجل ذلك حتى لو ادى الامر الى قتلي**)) فاجابه البهبهاني ان الامر سابق لاوانه ونحن لانريد الان ان نطالب الا بالعدالتخانه[٣].

كان السيدان البهبهاني و الطباطبائي يؤمنان بان التغيير يجب ان يحصل بشكل سلمي، وبالمطالبة المستمرة عكس سيد جمال الدين الذي كان يريد المواجهة مع نظام الشاه واحداث التغيير بشكله الواسع العميق وهذا يعني الدعوة الى الثورة الشاملة .

كان هناك شبه اجماع بين مختلف الشخصيات الرافضة للاستبداد القاجاري التي ثارت ضد البلاط بان اصلاح الاوضاع يمكن ان يتم بوسيلتين اساسيتين :

١- دستور يحدد حقوق وواجبات الشاه ٢- مجلس يضم عدد من المجتهدين او المفوضين من قبلهم مهمته مراقبة اعمال الحكومة وفحص القوانين [٤]. ولهذا كان اكثر ما يقلق

١- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، ص٦٧ .
٢- جلال نوحي ، المصدر السابق ، ص٣٢.
٣- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران، ص٧٠.
٤- محمد كاظم علي ، النظام السياسي في ايران ، دراسة في النظام الجمهوري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ، ص٣٢.

رجال البلاط وعلى راسهم الصدر الاعظم عين الدولة هو عدم حدوث أي تغير في الثوابت السياسية القائمة على حكم الاستبداد ، فكان يسعى جاهدا الى عدم اقناع الشاه بتحقيق مطاليب الثوار وخاصة انه عرف عن الشاه مظفر الدين انه شخصية مترددة وواقعة تحت تاثير النفوذ القوي للصدر الاعظم ورجالاته [١].

ولكن الشاه ايقن وقدر حجم المعارضة المناهضة له بعد دراسة المطاليب المقدمة اليه مع ما بينه السفير العثماني من حقائق عن الموقف في الشارع الايراني الغاضب ضد حكومته [٢]. ثم ان مطاليب الثوار لم تكن تهدد العرش القاجاري او تمس به ، لانه لا يوجد مطلب بتغيير نظام الحكم وانهاء سلطة الشاه [٣].

ازاء كل ما تقدم اضطر الشاه الى اصدار المنشور الخاص بالموافقة على تاسيس دار العدالة حسب رغبة المعتصمين ، وكان ذلك في كانون الثاني / ١٩٠٦ وذلك في رسالة عنونها الى الصدر الاعظم وجاء فيها : ((**جناب المستطاب الاشرف الأتابك الاعظم** * ، **حيث كنا قد بينا ارادتنا مرارا بان تاسيس دار عدل حكومية لتنفيذ احكام الشرع من اجل راحة الرعية ، هو من اهم الواجبات ، لذلك نكرر الان بوضوح ان ارادتنا هي تنفيذ الاحكام الشرعية الاسلامية من حدود واحكام شرعية ، وان يتم ذلك فورا في جميع الممالك الاسلامية المحروسة ، على الوجه الذي لا يكون فيه تمييز بين طبقات الرعية ، وسيجري تفصيل ذلك ضمن نظام خاص ، ضع كتاباً بهذا الخصوص مطابقا للشرع المطاع ، ورتب فصوله ، واعرضه علينا ليجري تنفيذه من ثم في جميع الولايات ستكون اراء ومقترحات العلماء موضع القبول دائما ، ابلغ هذا المنشور لجميع الولايات))** [٤].

١- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، ص٩٠ .

٢- حامد الكار ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

٣- محمد كاظم علي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

* كان لكل منصب ومرتبة لقب خاص به ومعمول به حتى انتهاء الحكم البهلوي عام ١٩٧٩م ، وعلى النحو الاتي اعليحضرت اقدس همايون للملك (الشاه) ، والا حضرت اقدس لولي العهد ، حضرت اشرف والا لاخوة الملك ، حضرت اشرف اسعد والا لانجال الملك ، جناب مستطاب اشرف للصدر الاعظم ، جناب جلا لتماب اجل للوزراء والولاة ، معتمد السلطان لامير اللواء ، جناب مستطاب للعلماء والفقهاء ، مقرب الحضرة الخاقانية لارباب العلم ووكلاء الديوان ، اعليحضرت للملوك والسلاطين غير الايرانيين . انظر : الالقاب الفارسية ، مجلة "الهلال" ، القاهرة ، الجزء السابع ، السنة السابعة ، اكتوبر ١٨٩٨ / سيبتمبر ١٨٩٩ ، ص٣٦٤ .

٤- حبل المتين ، العدد ٣٦ ، السنة ١٣ ، ١٨/مايو/ ١٩٠٦ مقتبس من طلال مجذوب ، المصدر السابق، ص١٣٠-١٣١.

ان المطالبة بتاسيس دار العدالة كانت تعني وضع حد للتجاوزات الحكومية التي لا تستند الى قوانين وقواعد ، لانه في واقع الامر كانت هناك وزارة للعدل – العدلية – وهناك محاكم تنظر في القضايا المتنازع عليها، كما بينا ذلك عند حديثنا عن النظام القضائي في الدولة القاجارية في الفصل الاول .

فمفهوم –دار العدالة – هو البديل المطروح من قبل المعتصمين لان المثقفين كانوا يطالبون بالمجلس – البرلمان – ولان مصطلح المجلس لم يكن واضحا ومفهوما بابعاده السياسية والقانونية [1]. ولانه فكرة مقتبسة من الغرب ومن بناة افكار المثقفين الليبراليين لتحقيق طموحاتهم السياسية [2]. في حين كان رجال الدين يطمحون الى تركيز نفوذهم وسلطتهم على هذا الجهاز القضائي لجعل التشريع والتنفيذ في ايديهم في تسيير امور العامة [3]. وفي كلا الحالتين كان الموقف الحكومي – الصدر الاعظم – رافضا لهذا المطلب، لانه يعني اعطاء صلاحيات الدولة الى رجال الدين والمفكرين والمثقفين وهو ما يعني فرض الاصلاح بالقوة على الحكومة وتغليب ارادة الامة على سلطة الشاه .

في الثاني عشر من كانون الاول عام ١٩٠٦ ،انهى المعتصمون اضرابهم وعادوا الى طهران بتكريم البلاط نفسه وقد خصص لهم عربات ملكية اعادتهم الى طهران وبرفقة واشراف وزير البلاط ((امير بها درجنك)) اذ قابلهم الشاه في قصر كلستان الملكي وكان موقف الثوار قويا وثابتا في مفاوضاتهم مع الشاه الذي بدأت هيبته الملوكية تتزلزل [4]. بدات لجنة دراسة (دار العدالة) الواردة قي المطاليب الشعبية اجتماعاتها في التاسع والعشرين من نيسان عام ١٩٠٦م وكان الصراع وعدم التطابق على اشده بين الداعين الى منح الشعب كامل حقوقه وكان احتشام السلطنة اكثر الاعضاء المتحمسين لمنح الشعب كافة حقوقه بينما عارضه اعضاء مثل وزير البلاط امير بهادر جنك ،اذ كان يعد صلاحيات وسلطات الشاه مقدسة لا يجوز المساس بها [5].

١- حسن اعظام قدسي ، المصدر السابق ، ص١١٦.

٢- محمد حسن اديب خراساني ، تاريخ انقلاب طوس يابيدايش مشروطيت ايران ، انتشارات مركز ، مشهد ١٣٣١هـ ، ص٩٤ .

٣- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، ص٦٣.

٤- المصدر نفسه ، ص٨٩.

٥- ف .و برونده شماره ٤١٦/٢٧ ، نامة ازكرانت داف به سر ادوارد كراي، شمارة ١٩٨٣٣/١٤٦ ، تهران در ٢٣/ مه/١٩٠٦.

بدا الشعب وقادة الثورة يدركون ان الحكومة - عين الدولة - كانت تماطل في تحقيق ما اقره الشاه لانه ضرب لمصالح رجالات الدولة الكبار الملتفين حول الشاه ، وعليه بدأ التحرك الثوري من جديد وكان بقيادة سيد جمال الدين اصفهاني الذي اصدر بيانا عبر الجمعية التي ينتمي اليها ، وهي جمعية طلاب الحرية ، اذ فضح بها سياسات الحكومة واسلوب المماطلة في تحقيق المطاليب الشعبية وكذلك انتقد فيها موقف رجال الدين ((الضعيف والمتراخي))[١].

في بداية شهر حزيران /١٩٠٦ قامت الحكومة بتصعيد موقفها العدائي ضد الرموز الوطنية والمتشددة امثال سيد جمال الدين واعظ اصفهاني ، الذي قررت ابعاده عن طهران مما اثار ضجة واسعة في صفوف مريديه الذين بدأوا بترتيب الاعتصامات والاضرابات ، اذ قام ملك المتكلمين بالقاء خطبة مؤثرة في حشد ضم الاف من طلاب العلوم الدينية الذين كانوا ينضمون الى اتحاد الطلبة الذي يضم في عضويته الفي طالب ، فقد حرض على الثورة ضد الشاه الذي كان قد وعد الشعب بتحقيق مطالبه في ((دار العدالة)) وغيرها من المطالب ولكنه اخلف وعده [٢]. وفي الوقت نفسه بدأت الكتابات والنشرات السرية التي توزع ليلا تندد بالشاه وتدعوا الشعب الى الثورة ، اذ اصدرت لجنة المطالبة بالحرية بيانا انتقدت فيه بشده موقف رجال الدين المتراخي الذي اعتبرهم البيان بانهم نفعيون ولا تهمهم الا مصالحهم الشخصية [٣]. وكان الضغط يتصاعد على رجال الدين لاخذ دورهم بشكل اكثر فاعلية ، مما دفع رجال الدين وخاصة السيد الطباطبائي ان يرسل رسالة الى عين الدولة يطالبه فيها بتحقيق الدعوة المقطوعة للامة بتاسيس ((دار العدالة))[٤]. كان المثقفون وطلاب الاصلاح يضغطون على رجال الدين للعب دور اكبر في تحقيق المطالب الشعبية ، وهذا ما اكده بعض المؤرخين * . وهذا مايؤكد ويبين ان فئة المثقفين والطبقة الوسطى ((البرجوازية)) كان لزاما عليها ان تحارب على جبهتين الاولى النفوذ والاستثمارات الاجنبية والثانية الحكومة القاجارية والاقطاع وكان عليها ان تستفيد من رجال الدين[٥]، لان رجال الدين لهم القوة المحركة لقطاعات واسعة من عامة

١- زنان شاه ،مجلة اسلام مستقل ، المصدر السابق ، ص٣٣ .
٢- حسن اعظام قدسي ، المصدر السابق ، ص١٢٢.
٣- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، ص٩٤ .
٤- حامد الكار ، نقش روحانيت بشيرو درجنبش مشروطيت ، ص٧١ .
* امثال احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، ص٨٣ وكذلك حسن اعظام قدسي ص١٢٣.
٥- محمد رضا فشاهي ، از كاتها تامشروطيت ، جابخانه كوتنبرك ، تهران ١٣٥٤هـ ، ص٥٠٩ .

الشعب ، في حين كان تاثير المثقفين في النخب وهي عادة ماتكون محدودة ولا تؤثر على الطيف الواسع من الشعب [١] .

فكانت طبقات المجتمع البسيطة تتبع تعاليم واوامر رجال الدين بطواعية ، اذ كانت تؤدي التزاماتها المالية تجاه الدولة كضرائب مفروضة عليها وبالمقابل تؤدي نفس الالتزامات تجاه رجال الدين كخمس وزكاة فهي تؤديها باسم التكاليف الشرعية على عكس الاولى التي تعتبر مفروضة بقوة القانون .

زاد الحاح المفكرين والمثقفين وطلاب الاصلاح على رجال الدين الذين فكروا باسلوب الحوار مع البلاط عله يوصلهم الى نتيجة مرضية ، ولكنهم اقتنعوا ان البلاط والحكومة يماطلون في اية عملية اصلاح مقبلة مهماكانت بسيطة [٢]. لذا قرر القادة الوطنيون ورجال الدين وكبار التجار اعلان العصيان مجددا ، وكان ذلك في تموز ١٩٠٦، اذ شدد رجال الدين من خطاباتهم في المساجد والجوامع ، وقام الكتاب والمفكرون بنشر البيانات والمنشورات التي تفضح تباطؤ الحكومة في تنفيذ وعودها بتاسيس دار العدالة[٣]. فاورد البهبهاني في خطبة جاء فيها ((**ايها الناس الستم مسلمين ، واذا كنتم مسلمين فان الاسلام يقول ان ذنب المظلومين اكثر من الظالم لانهم اضعاف الظالمين عددا وعليهم الاتحاد والتازر لدفع الظلم عنهم ، ولانكم معتقدون باصول الدين فعليكم تطبيق العدالة والحرية وعلى الانسان العيش بشرف وعز**))[٤]. وبقى المثقفون بطروحاتهم الليبرالية مع تيقنهم ان قدرة رجال الدين على تحريك الجماهير التي تجعلهم يتحركون في الوسط الجماهيري ، ففي رسالة بعث بها بعض المثقفين الى مالكم خان وهو من اهم قادة المثقفين في ايران ((**ان الاستفادة من تحرك الملالي – يقصد رجال الدين – يجعل الوصول الى اهدافنا اسرع مايكون**))[٥]. على اعتبار ان المثقفين ما زالت افكارهم غريبة عن المجتمع وانها نتاج لافكار وحضارة الغرب ، وانهم – المثقفون – مع افكارهم مرتبطون بالماسونية وعقائدها ، ولكن بقي التحرك المشترك قائما نحو زعزعة

١- علي اصغر شميم ، المصدر السابق ، ص٣١٠ .
٢- سيد حسن نصر ، ايران در عصر مشروطيت ، بررسيها جاب شدة ، همشهري (مجلة) ، تهران ، شمارة سال يازدة ، مرداد ١٣٨٣هـ ،ص١٥.
٣- محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليز ، جلد هشتم ، ص٧٣ .
٤-اسماعيل رائيين ، فراموشخانة وفراماسوزي در ايران ، جلد دوم ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٥١هـ ، ص١١٠ .
٥-المصدر نفسه ، ص١٣٢.

سلطة الدولة ، فكان رجال الدين المجددين والمثقفين مع فئات الشعب قد زادت من تحركها الشعبي ضد السلطة ، وهذا ما دفع الدولة الى فرض الحظر الليلي ونشر الجنود القوزاق في شوارع طهران ، خاصة وان الشاه لازم فراش المرض ، مما اتاح ذلك للصدر الاعظم ان يمارس مطلق الصلاحيات في قمع التحركات الشعبية ، وبدأ بضرب العناصر الوطنية المؤثرة ومحاولة ابعادهم عن الجماهير [١]. ولاسيما سيد جمال الدين واعظ الاصفهاني الذي اصبح يتهجم على الحكومة وشخص الشاه نفسه، كما حدث في احدى خطبه عندما قال : ((**ايها الايرانيون ـ اخوتي في الوطن الحبيب ، الى متى سيبقيكم هذا السكير الخائف نائمين ؟ كفى هذا التخدير وارفعوا رؤوسكم وافتحوا اعينكم ، انظروا حولكم : الا ترون كيف تحضر العلم ... في الايام الماضية كانت لدينا نحن كل شيء ، والان كل شيء قد ذهب .. ليس لدينا بنادق ليس لدينا جيش ، او اقتصاد او قانون او حكومة مضبوطة ، او قوانين تجارية ، كل هذا التخلف هو نتيجة للاستبداد والظلم والحاجة للقوانيين ، الملوك يستغلونكم بقوتهم على ارضكم ويسلبون الحرية والحق**))[٢].

كما انه دعا في احدى خطبه الى مناهضة حكم الشاه واسقاطه بالثورة وانشاء حكم سياسي جديد الا وهو النظام الجمهوري ، مما اعتبر سابقة غير مطروحة من قبل واثارت استغراب الكثير في بلد لم يعرف ماهية النظام الجمهوري – يعتقد انه كان يقصد النظام الجمهوري المثالي الذي كان ينادي به افلاطون * في طروحاته الفكرية [٣]. ومنذ الثالث عشر من تموزعام ١٩٠٦م بدت طهران في حالة هيجان وثورة واضحة مما دفع الموقف المتشنج بين المتظاهرين ورجال الحكومة الى الانفجار ، وقام الجنود المسلمون باطلاق النار مما اوقع عدداً من المتظاهرين والجنود صرعى بدمائهم وهذا مما اجج الموقف ودفع به نحو التعقيد، فاضطرت الجموع الثائرة الى الالتجاء الى مسجد شاه وقد قامت

١- زهرا شجيعي ، المصدر السابق ، ص٧٧ .
٢- طاهر البكاء ، من تاريخ الحياة البرلمانية في ايران من الثورة الدستورية حتى سقوط رضا شاه ، ص٨٠ .
* افلاطون : من اعظم فلاسفة اليونان والعالم ولد عام ٤٢٨ ق.م مؤلفه الاول (الجمهورية) ومن مؤلفاته الاخرى (السياسي) (القوانين) طرح افكار فلسفية حول الحياة والكون واراء حول نظام الحكم والسياسة والقانون ، توفي عام ٣٤٧ ق.م ، انظر : فؤاد العطار النظم السياسية والقانون الدستوري ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص١٤١ .
٣- محمد حسن اديب خراساني ، المصدر السابق ،ص٤٧ .

قوات القوزاق بمحاصرته[١] ، ولكن الاحتجاجات استمرت ضد السلطة، مما دفع قادة الثورة الى اللجوء الى مدينة قم* وهدد رجال الدين بترك طهران بدون تكاليف شرعية حتى انهم هددوا بمغادرة ايران والتوجه الى العراق حيث كربلاء والنجف[٢] ، كانت هناك تحركات واتصالات من قبل رجال الدين مع شخصيات دبلوماسية اجنبية مثل اتصالات السيد البهبهاني مع ممثل بريطانيا في طهران المستر غرانت داف (Grant Duff) وفي رسالة بعثها البهبهاني الى داف طلب فيها مد يد العون الى الثوار وشرح له الاوضاع المتدهورة وما آلت اليه الاحداث الى نتائج سيئة وصلت الى حد ترك العاصمة وافراغها من السلطة الدينية ، اذ تجمدت المعاملات الشرعية هناك بسبب غيابهم عنها، ولجوئهم الى قم للتعبير عن الرفض القوي لسياسة البلاد[٣] ، ورغم حالة العداء للنفوذ الاجنبي فان السيد البهبهاني اراد استخدام ورقة الاعتماد على قوة اجنبية في ان تكون الملاذ الاخير للحركة الثورية لحمايتها من ظلم السلطة ، فاصبحت ظاهرة فريدة في التاريخ الايراني ان يطلب مجتهد كبير كالبهبهاني في مساعدة حكومة اجنبية غير اسلامية، وتكون هذه بمثابة ((فتوى)) لجماهير الوطنية باللجوء فيما بعد للمفوضية البريطانية[٤] .

راهن المعتصمون على الموقف البريطاني في سبيل دعم قضيتهم ضد الحكومة ، وارادوا استغلال الموقف الدولي - المتعارض المصالح بين الروس والانكليز- لصالحهم، فتحرك المثقفون هذه المرة نحو بريطانيا باعتبارها منبع ومنهل افكارهم الديمقراطية الليبرالية . وان الواجب الاخلاقي يحتم عليها الوقوف الى جانبهم في هذه المرحلة الحاسمة من نضالهم في سبيل تحقيق اهدافهم .

١- حسن اعظام قدسي، المصدر السابق، ص١٣٥ .

*قُم : وتسمى عند الايرانيين قم المقدسة وتقع جنوب طهران على بعد ١٤٠كم وتضم مرقد السيدة فاطمة اخت الامام الثاني الرضا ابن موسى الكاظم (ع) وتعتبر المركز الشيعي المهم في البلاد، وهي منذ البداية كانت على المذهب الشيعي عندما كانت ايران على المذهب الشافعي قبل الحكم الصفوي ويعود تاريخ بناء المرقد الى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، واهتم الصفويون بالمدينة ومرقدها وازدادت اهمية قم بعد ما تاسست بها الحوزة العلمية الدينية، وازدادت اهمية المدينة بعد اكتشاف النفط في ضواحيها وهي عقده مواصلات من طهران الى مدن الجنوب . عبد الله الفياض، مشاهداتي في ايران، مطبعة الايمان، بغداد ١٩٦٧، ص٥١- ٥٢ .

٢- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص١٣٨ .

٣- لقمان دهقان نايري، حكومت نير الدولة در اصفهان، فصلنا مة فرهنگ اصفهان، ١٣٧٩ هـ ،ص٧.

٤- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص١٤٣ .

كان التجار اكثر الفئات استفادة من اللجوء الى السفارة البريطانية لمواصلة اعتصامهم والفوز بتحقيق مطاليبهم ، لان هدف التجار النهائي هو تطبيق الافكار الليبرالية الديمقراطية القريبة لتكون قادرة على وضع تقييد دستوري على سلطة البلاط وعدم التفريط باقتصاد ايران لصالح الاجنبي[١] ، فتقوم الدولة بفرض ضرائب باهظة تهدد مكاسبهم وتفتح الباب على بضائع اجنبية تنافس منتجاتهم[٢] . وكان التجار قد وقفوا منذ البداية بكل نفوذهم وامكاناتهم المادية الى جانب المعتصمين ، اذ انفقوا الاموال الطائلة لتغطية نفقات اطعام واسكان المعتصمين، ففي يوم واحد انفق التجار مبلغاً قدره عشرين الف تومان[٣] . اذن كان مبرر المثقفين في اللجوء الى السفارة البريطانية هو ثقافي اخلاقي والتجار مبررهم اقتصادي، اما رجال الدين فانهم علقوا الامال على البريطانيين لاعتبارات سياسية حيث ثقل بريطانيا الداخلي والخارجي وكذلك لم يبق امام رجال الدين إلا الاستناد والارتكاز الى قوة عظمى تستطيع ان تحد من طغيان الحكومة وتدعم مطاليبهم في الوقت نفسه ، فقد ارسل السيد عبد الله البهبهاني رسالة الى ممثل بريطانيا في طهران يحثه فيها على توسط حكومته لرفع الاضطهاد الواقع على ابناء الشعب[٤] . استعرض فيها الوضع السياسي في البلاد وسياسة الحكومة تجاه الحركة الوطنية وتلكؤ الحكومة في تنفيذ وعودها، ولكن النقطة الاهم في الرسالة انه يؤكد على علاقته الوثيقة مع اركان السفارة و ((للصداقة الوطيدة القديمة القائمة بيني وبين موظفي السفارة وخاصة معك)) ((فانا اطلب بالنظر لصداقتنا))[٥] . فهذه الرسالة بينت بما لا يقبل الشك بان السفارة البريطانية كان لها الدور الاساسي في دعم واسناد الثورة ،لان بريطانيا ادركت ان كفة الثورة هي الراجحة على الحكومة[٦] ، وكذلك سعت بريطانيا الى ضرب وانهاء النفوذ الروسي في البلاط القاجاري، وفي الوقت نفسه فان بريطانيا قد صعدت من موقفها المعادي حتى ان البرلمان البريطاني والصحافة البريطانية اصبحت منحازة بشكل واضح الى الثوار وحركتهم الاصلاحية، اذ ان المطاليب الثورية قد توسعت وتطورت بفعل الدعم

1-Richard W.Cottan, Nationalism in Iran , University of Pittsburgh, P.43.

٢- آمال السبكي، المصدر السابق، ص٢٥ .

٣- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص١٣٩ .

٤- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، ص١٧٥.

٥- ف . و، برونده شماره ٢٨/ ٤١٦، نامه از سيد عبد الله به گرانت داف، شماره ٩٢، مؤرخه در ١٦ زوئيه١٩٠٦ .

٦- سيد حسن نصر، المصدر السابق، ص٣ .

السياسي البريطاني لها[١] . حتى ان بريطانيا شجعت الثوار على تقديم شكوى الى البرلمان البريطاني حتى تتحقق المطالب الشعبية[٢] . صحيح ان المصادر المتوفرة تذكر بان بريطانيا اظهرت في بداية الامر ترددا ً في دعم المعتصمين بحجة انها لا ترغب في التدخل في الشؤون الداخلية لايران ، ولكن معطيات الاحداث بينت ان بريطانيا كان لها دور التخطيط والتنفيذ في تصعيد الموقف الرافض لسياسة الحكومة، وهناك اكثر من علاقة استفهام حول عدة امور في قضية العلاقة ما بين حركة الثورة والسفارة البريطانية[٣] .

عدت ظاهرة اللجوء الى السفارات الاجنبية حالة غير مسبوقة في تاريخ ايران وتاريخ الثورات، لاسيما اللجوء الى السفارة البريطانية ، اذ فشل الدبلوماسيين الروس في اقناع بعض الثوار باللجوء الى سفارتهم، حتى انها عرضت مبالغ مالية لكل معتصم لجذبهم اليها وذر الرماد في العيون، وسحب البساط من تحت اقدام الثوار ، وبحجة التظاهر بان الروس يقفون مع امال الشعب الايراني[٤] ، ولكن المؤرخ البريطاني ادوارد براون (Edward Brown)* في كتابه تاريخ الثورة الايرانية عد العملية منظمة وجرت بتنسيق واتصالات قام بها شخصان مجهولان في حين نسبت المصادر الفارسية تلك الاتصالات الى شخصية التاجر الزرادشتي اردشيرجي الذي كان يحمل الجنسية البريطانية وصاحب العلاقات الواسعة[٥] ، في حين ينقل المؤرخ عبد الله بهرامي عن الحاج محمد تقي بنكدار الذي كان من الشخصيات المهمة والمسؤولة عن المصاريف المالية للمعتصمين ويعد من قادة المعتصمين ((**ان فكرة اللجوء الى السفارة البريطانية كانت من طروحات التجار، ولكن الذي شوقهم ودفعهم الى ذلك هو التوجيهات الماسونية**

١- اسماعيل رائيين ،فراموشخانه و فرامانسوزي در ايران ، ص١٣٠ ؛ ابراهيم الدسوقي شتا، المصدر السابق، ص٤٩ .
٢- اسماعيل رائيين ، فراموشخانه وفرامانسوري در ايران ، ص١٣٩ .
٣- مهدي ملكزادة، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد دوّم، ص٣٣ .
٤- نوروز اكبري زادگان، مناسبات روسية وايران ازدوران مظفري تافتح تهران، بايان نامة دانشكده ادبيات وعلوم انساني، دانشكاه شهيد يهشتي ، تهران ١٣٧١، ص١٧ .
* وهو ادوارد جرانفيل براون: من مواليد لندن، بدأ في سن الثامنة عشر بدراسة اللغة الفارسية وادابها، كتب عن تاريخ الادب الفارسي، ثم عن تاريخها ، وكانت ايران همه الدائب وشغله الشاغل، يجيد اللغات التركية والعربية والفارسية والفرنسية، ثم اصبح استاذا في جامعة كمبردج ببريطانيا، يعد خير من كتب عن ايران من المؤرخين الغربيين في اواسط القرن العشرين . ينظر: ادوارد جرانفيل براون، تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي، نقله الى العربية ابراهيم امين الشواربي، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٤، ص ص-ش .
٥- مهدي ملكزادة، تاريخ مشروطيت ايران، جلد دوم ، ص١٦٦ .

من الجمعيات السرية))[١] إدرك الشاه ان المرحلة الجديدة تتطلب تغيراً محدوداً في سده الحكم لامتصاص نقمة الثوار وتحقيق جزء من مطاليبهم الا وهو اقالة الصدر الاعظم - **عين الدولة** - عن منصبه على اعتبار انه اصبح يمثل مساوئ النظام كله وانه منبوذ من قبل الشعب بسبب سياسته التي ادت الى التدهور السياسي والاقتصادي والدفع بالتذمر الشعبي الى واجهة الثورة ضد السلطة[٢] .

عد بعض الثوار ان هذه الاقالة هي تحقيق لنصف المطاليب الشعبية ان لم تكن معظمها، فالشعب في مطاليبه كان يركز على سوء سياسة الحكومة اضطهادها لكافة قطاعات الشعب سواءً كانوا تجاراً او مفكرين اومثقفين او رجال دين، الحكومة التي كانت صاحبة التهمة الجاهزة على أي شخص بمجرد اتهامه بالبابية* ، وهي تهمة كافية للاعدام[٣] . جاءت اقالة - **عين الدولة** - في الثلاثين من تموز عام ١٩٠٦، وتعيين وزير خارجيته ((**مشير الدولة**))** لتبدأ صفحة جديدة من تاريخ ايران[٤] .

١- عبد الله بهرامي، خاطرات عبد الله بهرامي آز احز سلطنت ناصر الدين شاه تا اول كودتاه، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٦٣ هـ، ص١٠٨ .

٢- فريدون أدميت، انديشة ترقي وحكومت قانون عصر سبهسالار ، انتشارات خوارزمي، جاب اول، بهمن ماه ١٣٥١، ص٢١١ ؛ محمد حسن اديب خراساني، المصدر السابق، ص٥٥ .

* البابية: حركة سياسية – دينية مؤسسها السيد علي محمد الشيرازي المولود عام ١٨١٩م ، درس علومه الدينية ، ثم اعلى تعاليمه المبتدعه وسار خلفه بعض الاتباع، ادعى انه الباب الذي يوصل الى المهدي المنتظر وكذلك الباب الذي يدخله المؤمنون الى الله عز وجل . ثم ادعى النبوة وطرح كتابا بديلا عن القران الكريم، كفره علماء المسلمين واحلوا دمه، فحاربته السلطة وبعد مطاردات وحروب اعدم الباب في عام ١٨٤٩م ، وانتقلت الدعوة بعده الى الميرزا حسين الملقب بالبهاء وانتشرت البهائية في ايران والعراق ودول الجوار وقد قامت البهائية بمحاولة اغتيال الشاه ناصر الدين، تعرض البابيين الى عمليات قتل جماعي واعتقالات اهمها ما حدث في اصفهان وشيراز، وقد الفت كتب كثيرة عن البابية والبهائية ، ينظر منها : عبد الرزاق الحسني، البابيون والبهائيون، الطبعة الخامسة، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٤ .

٣- احمد كسروي ،تاريخ انقلاب مشروطة ايران ، ص١٧١.

** مشير الدولة: الميرزا نصر الله خان ابن السيد محمد النائيني، ولد في نائيين عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤١م عاش طفولة بائسة، قدم الى طهران وعمل كاتباً للعرائض بالقرب من مسجد شاه، ثم اشتغل خادماً لآصف الدولة، وقد قام الاخير بتعريفه على ميرزا سعيد خان الذي كان وزيراً للخارجية وعينه في عام ١٨٦٨م موظفاً في الوزراة، وتدرج في عمله الاداري وكانت له مواهب ادارية، فاصبح في ٨٨٥م وكيلاً لوزارة الخارجية، وفي سنة ١٨٩٠ منح لقب مشير الدولة، وفي سنة ١٨٩٥م عين وزيراً للخارجية وبعد عام اصبح وزيراً للحربية ثم عاد لوزارة الخارجية بعد عامين ، عين في ١٩٠٦رئيساً للوزراء قضى فيها ستة اشهر في عهد الشاه مظفر الدين وشهرين في عهد محمد علي شاه وهو اول رئيس وزراء في الثورة الدستورية ، عُزل عن منصبه عام ١٩٠٧ وخلفه امين السلطان ، توفي عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م عن عمر ناهز السبعين عاماً. ينظر: برويزا فشاري، صدر اعظم هاي سلسلة قاجارية ، انتشارات امير كبير، تهران ١٣٧٣هـ ، ص٧٨- ٨٣ .

٤- مهدي داودي، عين الدولة ورزيم مشروطة، انتشارات خوارزمي، تهران ١٣٧٠هـ ، ص٢١ .

اعتقد البعض ان المشكلة القائمة بين الشعب والسلطة قد انتهت بمجرد اقالة رئيس الوزراء ، حتى الحكومة تصورت ان الازمة قد حُلت، ولكن مثقفوا ومفكروا الثورة بدأوا بشرح الاهداف الواسعة للثورة وضرورة تحقيق الديمقراطية والليبرالية عبر محاضرات حول الانظمة الدستورية الاوربية (١). كما بدأ التطرق الى اراء ومفاهيم جديدة وجريئة ، اذ اصبحت السفارة البريطانية مدرسة في الهواء الطلق للعلوم السياسية (٢). فكانوا يشرحون من خلال الخطب والمحاضرات عن اهمية تحقيق علاقة الفرد مع الدولة على اساس الحقوق والواجبات الواضحة ، وان يبدل مفهوم الرعية الى مفهوم الامة ، وان تقوم الحكومة على القوانين الواضحة (٣).

وقد دعى المثقفون الى ذلك بكل هدوء ودعة لتحسين الاوضاع وتغيير العلاقة بين السلطة والمجتمع والحد من النفوذ الاجنبي وابعاد الاوربيين عن نهب ثروات بلادهم وكان قصدهم هو صنع التقدم الانساني ، دون الاعلان عن فكرة الثورة او الاطاحة بالسلطة القاجارية وانهاء شكل النظام السياسي الملكي (٤). وبالمقابل كان رجال الدين المجددون ينادون بضرورة وجود ضابط قانوني على سلطة الشاه والبلاط تتمثل في الجمعية الدستورية (٥). اما كبار الملاكين وزعماء القبائل والعشائر فانهم كانوا يتخوفون من فقدان الزعامات الوراثية ، لانه بتحول انتماء الفرد من الجماعة التقليدية والعشيرة الى الجماعات الاوسع كالدولة والحزب ، فان هذا سيفقدهم سلطاتهم (٦). حتى ان المتاثرين بالغرب بشكل مطلق والداعين الى نبذ الدين والقومية والاخذ بالتجربة الاوربية فانهم اخطأوا في حساباتهم لانه ليس في البلدان الاسلامية تطور يقارن مع التطور الغربي الاوربي، ذلك لان الدين والتراث ابقيا الفكر تحت هيمنتها وحالا دون ان تنتشر الافكار الجديدة والمكتشفات طاقتها الابداعية في مجال الثقافة العامة (٧).

1- Clive Irving , Crossroads of Civilization , London , 1979, P.188.

٢- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١،مجلة كلية المعلمين ، العدد السادس ، السنة الثانية ، ١٩٩٦ ، ص١٥٠ .

٣- فريدون ادميت ، انديشة ترقي وحكومت قانون ، ص.١٤٨

4- Clive Irving , Op.Cit. P.189 .

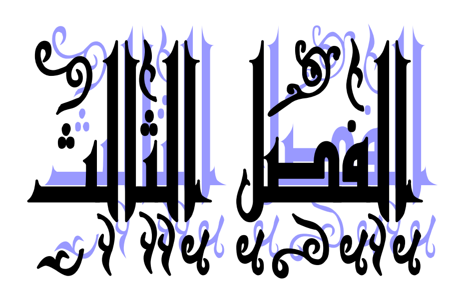
٥- امال السبكي ، المصدر السابق ، ص١٨.

٦- امجد عبد الغفور محمد ، المصدر السابق ، ص.٧١

7-R.W.Cottam , OP.Cit,P.56 .

كانت مدن ايران الرئيسة تعيش احداث الثورة نفسها التي تعيشها طهران وتتلقى التعليمات وتستمد اسلوب تحركها من خلال المراسلات المتبادلة بين رجال الدين في مختلف المدن ورسائل ولقاءات المثقفين فيما بينهم ، حتى ان هناك مراسلات مع التخوم المجاورة لايران والمؤيدة للثورة مثل مناطق القفقاس ومناطق تركمانستان وولايات الدولة العثمانية ، ناهيك عن علاقاتهم مع العراق [١]. ايقن الشاه والحكومة ان هذه الحركة الجماهيرية لم تكن مجرد احتجاج وانما ثورة شعبية يجب الرضوخ لمطالبيها والا فان النظام مهدد بالانقراض [٢]. فاضطر الى اصدار مرسوما منح بموجبة الحركة الوطنية قانون انشاء المجلس الوطني ، وذلك في الخامس من اب ١٩٠٦ وسمي ((فرمان مشروطيت))[٣]. وهكذا تحققت رغبة الثوار ، وانهوا اعتصامهم وعادوا الى مواقعهم الطبيعية تاركين اصحاب الشأن والمختصين الى ممارسة دورهم في ترتيب الوضع السياسي الجديد للبلد، وفي السادس عشر من اب كانت طهران والمدن الايرانية تعيش احتفالات النصر ، وسمي هذا اليوم يوم الانتصار الوطني[٤] .

١- يوسف علي ابادي ، المصدر السابق ،ص٩١ .
٢- ابراهيم صفائي ، رهبران مشروطة ، انتشارات جاويدان علمي ، تهران ١٣٤٤هـ ، ص٤٠ .
٣- انظر الملحق رقم (١) .
٤- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص١٦٠.



دور المثقفين والمجددين في قيام المجلس واقرار الدستور

المبحث الأول

قيـــام المجلس الوطــني

إذا كان الإعداد للثورة والقيام بها من الأمور الصعبة إزاء سلطة مستبدة حكمت منذ عام ١٧٩٥م في بلد تقاسمته قوى أجنبية طامعة وسياسة داخلية أوصلته إلى حد الفقر المدقع والتخلف في جوانب الحياة كافة ، إذ كانت تلك المهمة صعبة ، فان الأصعب منها هو كيفية اجتياز مرحلة تطبيق الأهداف التي قامت الثورة من اجلها وتشكيل مجلس يمثل طبقات الشعب ودستور يرضي سلطة الشاه الباقية ورغبات شعب طامح للتحرر ، واتجاهات دينية وعلمانية – مثقفة - متباينة من حيث الأهداف وان اتفقت في هذه المرحلة نحو هدف إقرار الدستور وانتزاعه من السلطة فالثورة مقبلة على مرحلة أحرج من سابقاتها وبتعقيدات جديدة ، تحتاج لحسم واضح في مجلس يريد أن يثبت وجوده إزاء سلطة الشاه والقوى الأجنبية الطامعة في إيران .

لقد وردت كلمة المشروطة – بالفارسية مشروطيت *- في معظم الكتابات التي اختصت بالثورة الإيرانية الدستورية وتاريخ إيران الممتد من بداية القرن العشرين وصعودا ، والمشروطة في اللغة العربية مقتبسة من جذر الشرط وتعني الحكومة الشعبية، أو الحكومة المقيدة بقانون ، والمملكة التي لها برلمان يقوم ممثلوا الشعب بمراقبة أعمال الحكومة والدولة ، أما في اللغة الفرنسية فهي مأخوذة من المصطلح ((Lacharte)) وتعني الميثاق أو العهد ، في الشرق تعني القانون الأساس وشكل النظام السياسي [(١)]. وقد شاعت هذه الكلمة في الأوساط العامة والخاصة والدواوين السياسية منذ ذلك الوقت ولحد الآن ، وهي تشير إلى معنى الشرط ومعناها السياسي الدستور والمجلس فالحكومة المشروطة هي الحكومة الدستورية ثم أطلق على الحكومة الملتزمة بالشرط ((المشروطة))[(٢)]. والمشروطة تقابل في اللغة الإنكليزية مصطلح((Constitutional)) وتعني الحكومة المقيدة بدستور ((قانون أساسي)) زيادة على نظام برلماني ، وتستخدم في فرنسا بالمعنى نفسه ، ويرى الكثير ان هذه اللفظة انتقلت إلى البلاد العثمانية

---

* من المفارقات إن ترجمة الكلمة تعني الدستور او القانون الأساس ، وهنا استخدم الإيرانيون اللفظة العربية قانون أساسي ، في حين استخدمت كلمة (دستور) الفارسية في الدولة العثمانية والبلاد العربية كمصر .

١- فريدون ادميت ، انديشة ترقي وحكومت قانون ، ص١٦٣ .

٢-عبد الرحيم محمد علي ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

واستخدمت هناك [١]. ويوردها الكتاب والمؤرخون بمعنى ((المعتدل)) او -المقيدة - او - المحدودة- وانتقلت لفظة المشروطة أو مشروطيت إلى إيران عن طريق سفيرها في البلاط العثماني الميرزا حسين خان سبهسالار ، وحتى لفظة لاشارت Lacharte الفرنسية وتعني الشرط فإنها دخلت بلاد فارس عن طريق الدولة العثمانية التي استعارت ألفاظها السياسية الطارئة والمستحدثة من المفردات الفرنسية [٢]. لابد أن نذكر هنا إن لفظة -المشروطة - لم تكن قد استخدمت بعد من قيام الثورة وحتى افتتاح الجلسة الأولى لأول مجلس – برلمان - ، وانما كانت تعني تحديد صلاحيات الشاه أو العودة إلى مبادئ الإسلام أو تحقيق العدالة الاجتماعية بين صفوف الشعب ، وثم تطور استخدامها فيما بعد لتعني - القانون الأساس - أو الدستور وما يبنى عليه من أحكام [٣].

والدستور يعني مجموعة القواعد الأساسية التي تبين نظام الحكم في البلاد ، ويعني القانون الأساس للدولة [٤]. ويعني القانون الأساس الضوابط والقواعد التي تحدد العلاقة بين الحاكم والشعب وتحديد حقوق كل منهما ، وللقانون الأساس مترادفات كثيرة مثل الحكومة المقيدة ، والنظم القانونية ، والحكومة المنظمة ، والالتزام والتقييد [٥]. ويسمى أيضا الوثيقة الأساسية التي تبين فيها بصفة خاصة شكل الحكم والتنظيم الحكومي [٦].

أما طبقة المثقفين او المفكرين وتسمى بالفارسية ((منور الفكر او دانشفكران)) فهي تعني طبقة الواعين والمتأثرين بأفكار المتنورين الفرنسيين وهؤلاء يعتقدون بوجوب كسر الحلقات الثلاث ((الاضطهاد الملكي – أفكار رجال الدين المتعصبين – النفوذ الأجنبي)) وهم متنورون ليس استنادا على كمية ما تعلموه من معرفة مدرسيه ، و إنما على نوعية المعلومات القادرة على إنشاء وبناء مجتمع حديث[٧].

١- مهدي مجتهدي ، روشنكري ها در مشروطيت إيران ، انتشارات زرين ، تهران ١٣٥٧هـ ، ص٣١-٣٢ .
٢- محمود محمود ، روابط سياسي إيران وانكليس ، جلد هشتم ، ص٤٠٥ .
٣- تقي زادة ، تاريخ انقلاب إيران ، يغما ، تهران ، شماره ١٥٧ ، سال ١٣٤٠ هـ .
٤- عبد الحميد متولي ، القانون الدستوري والأنظمة السياسية ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٤ ، ص٢٠ .
٥- فريدون ادميت ، انديشة ترقي وحكومت قانون ، ص١٩٩.
٦- محمد علي آل ياسين ، القانون الدستوري والنظم السياسية ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ١٩٦٤ ، ص١٦.
٧- اروند ابراهيميان ،إيران بين ثورتين، ص٨٨ .

ويطلق على هذه الطبقة مصطلح ((الانتجلنتسيا)) فقد بدأ تداول هذا المصطلح منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وهو مشتق في الأصل من الكلمة اللاتينية ((Intellegens)) التي تعني المؤدب والقدير والعليم والفاهم وتطلق على فئة اجتماعية تمارس نشاطا فكريا بحكم مهنتها ومنهم رجال العلم والفن والمهندسون والتكنولوجيون والأطباء والمحامون والمصلحون والجزء الأكبر من الموظفين ويرتبط بنشاطاتها التطور في مجالات العلم والفكر والثقافة [١]. في حين ترد ((Intelligentsia)) بمعنى النخبة أو الطليعة الفنية أو الاجتماعية أو السياسية وهم أهل الفكر [٢]. وكما هي حال التطورات الفكرية في كل المجتمعات ، فقد ظهرت في رحم المجتمع الإيراني طبقة مثقفة كانت تفكر وتعمل وتخطط من اجل إحداث تغير جذري في الكيان السياسي الاستبدادي الذي ظل بعيدا عن هموم المجتمع الإيراني ، وهذه الفئة المثقفة الجديدة التي تحولت بحكم اطلاعها على الأفكار الحديثة ، واحتكاكها بالمجتمعات الأوربية إلى الابن الضال للأوساط الاجتماعية [٣].

أما النهضة ((Uprise)) فهي تعني في اللغة النهوض والانتفاضة والتحرك في حين تعني الثورة ((Revolution)) التحول والانتقال من حالة إلى أخرى والتغير التام ، والثورة تحول يظهر من خارج السلطة القائمة ولا يكتفي بتغير الطبقة السياسية الحاكمة ، بل تغيير النظام السياسي والأيديولوجي والهيكل الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع أيضاً ، بينما لا تقع هذه التغيرات الجذرية في الحركة او النهضة بل يقتصر التغيير على جوانب محددة [٤]. أما مصطلح التحديث ((Modernization)) فهو عملية تغيير في المؤسسات والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تهدف إلى نقل المجتمع المراد تحديثه من حالة توصف بأنها متخلفة او تقليدية إلى حالة أخرى توصف بأنها حديثة الغرض منها تنمية وتطوير المجتمع من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كافة وفق تجارب سبقتها إليها الدول الأكثر تطورا او تقدما ، غالبا ما يؤخذ بتجارب الدول الغربية [٥].

١- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ، ص١٤١-١٤٢ .
٢- منير البعلبكي ، المورد ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨ ، ص٤٧٣ .
٣- طالب محيبس حسن الوائلي ، النائيني مفخرة الفكر السياسي الإسلامي ، مجلة علوم إنسانية ، العدد السابع ، آذار /٢٠٠٤،ص١٨ .
٤- امجد عبد الغفور محمد ، الدين والتحديث في إيران ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٨ ، ص٤٥.
٥- المصدر نفسه، ص٤٩ .

كانت المفاهيم القومية غير واضحة في المجتمع الإيراني ، اذ كانت تعني بتبعية الشخص إلى سلطة القاجار مع التزامه بالإسلام كدين ، فالقومية هي فكرة واردة من أوربا مع تأثير الثورة الفرنسية وانتشار القوميات فيها [١]. وقد برزت في إيران اتجاهات فكرية قومية ثلاث حاولت تثبيت وجودها في صفوف المجتمع طيلة القرن التاسع عشر ، وهي:- القومية الليبرالية المستمدة من أفكار الغرب ونادت بالحرية والمساواة والإخاء وتؤكد على النزعة الفردية وتحررها ، واعتماد العقلانية والعلم والتحدث ، وقد حددت المعتقدات الدينية في شخص الفرد ، ولا تلزم المجتمع بالعبادات والضوابط ، وان تطور الفرد يتم من خلال التخلص من قيم الدين التي تحدد العقل الإنساني بمفاهيم ثابتة لا تتطور [٢] . واهم من مثل هذا التيار الميرزا فتحعلي اخوندزادة* ، والذي يعتبر من رموز الفكر في إيران ، ويدعوا القوميون الليبراليون إلى الإطاحة بالنظام القاجاري باعتباره عاملاً مهماً في تخلف إيران وعدم تطورها ، ويدعون إلى الثورة الوطنية و إقامة حكومة تحكم بالعقل والدستور، ويتكأ القوميون الليبراليون على رجال الدين في تحريك الجماهير لاقامة الثورة لا حباً لمعتقداتهم الدينية و إنما لاستغلال نفوذهم في التأثير على القاعدة الجماهيرية المنفذة لأوامر رجال الدين وفتواهم[٣] . وفي رسالة وجهها اخواندزادة إلى مانكجي زعيم الطائفة الزرادشتية في إيران عهذاك يقول فيها : ((**إنَّ الزرادشتية لم تقف مانعاً في الوحدة مع الشعب الإيراني لان لغتهم الفارسية ، و أصلهم الآري ، فلغة وقومية الفئتين هي واحدة**))[٤] .كما انه لم ينف نهائياً القيم الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامي وحددها بالأخلاقيات التي لا تقف بوجه التطور والتحديث ولا تتعارض مع ما يؤمنون به

١- فريدون ادميت ، انديشة ها ميرزا فتحعلي اخواندزادة ، انتشارات خوارزمي ، تهران ١٣٤٩ هـ ، ص٩.

٢- علي اصغر حقدار، فرهنگ إيران ومدرنيته، ص١٩ .

* الميرزا فتحعلي اخوزندزادة من مواليد ١٢٢٨هـ/ ١٨١١م ولد في القفقاس أبواه من اصل تركي (تبريز) تنقلوا بين تبريز والقفقاس بحكم عمل والده في التجارة، تعلم اخوندزادة اللغة الروسية وآدابها وعمل في مجال الترجمة الى الفارسية ، من المنادين بالأفكار القومية التقدمية ويدعو إلى التحرر في المجال السياسي و إقامة النظام الدستوري، ويدعو إلى اقتصاد مستقل حر وتخلص من السيطرة الاستعمارية ، له مؤلفات أدبية وعلمية ، واثر في مثقفي إيران والمنطقة بحكم أفكاره التحررية المتأثرة بالغرب المستنير، توفي في ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م عن عمر ناهز ٦٦عاماً . ينظر: فريدون آدميت ، انديشة هاي اخواندزادة، ص١٤ .

٣- موسى نجفي، مقدمة تحليلي، تاريخ تحولات سياسي ايران، انتشارات مركز إسناد انقلاب إسلامي، تهران ١٣٧٩هـ، ص١٧ .

٤- علي اصغر حقدار، مشروطيت درنگاه وارونه، ص٩ .

من قيم وأفكار[١]. القومية الدينية وهي التي حاولت إيجاد علاقة ما بين الطرفين رغم التفاوت والتضارب في التوجيهات ، ففي أوربا فصلت السياسة عن الدين، وان قيادة الثورة الفرنسية العلمانية وقفت ضد الكنيسة وسطوتها باعتبار إنَّ رجال الكنيسة مصالحهم ارتبطت مع النظام الملكي السابق - نظام لويس السادس عشر- ، أما في إيران فان رجال الدين كانوا بالأصل مؤسسة منفصلة عن سلطة الحكم القاجاري ولها نفوذ شعبي وموقف عدائي من السلطة ((كما حدث في ثورة التنباك))[٢] ، لان الدستور يحقق سلطة القانون على الحكومة فلا مانع من قيام الثورة الدستورية لان هذا الأمر لا يتعارض مع التعاليم الإسلامية الداعية إلى محاربة الظلم والاستبداد و إقامة حكومة العدل والحق[٣] .

كما إن دعاة القومية الدينية يدعون إلى محاربة النفوذ الأجنبي وتسلطهم على رقاب المسلمين لان هذا العمل منافي لتعاليم الشرع الإسلامي، ومحاربة الكفار واجبة على كل مسلم[٤] .

أما النوع الثالث فهو القومية التاريخية المبنية على العنصرية وعلى تراث وحضارة إيران من خلال تمجيدها واعتبارها الحدود النهائية للقومية الفارسية، إنَّ كل ما جرى من أحداث بعد الفتح الإسلامي يعد تاريخا مشوها ولا يعول عليه وانه وضع شاذ لا يستقيم إلا بالعودة إلى -الماضي المجيد- للأمة الفارسية[٥] . ويمجد أنصار هذا الاتجاه بالتراث والتاريخ الفارسي قبل الإسلام، ويعدون أكاسرة الفرس القدامى ملوك ذو خصال الملائكة وان دين الزرادشتية هو دين القومية الفارسية[٦] . وفي رسالة يخاطب بها اخوندزادة محرر صحيفة ملت سنية إيران يقول فيها : ((**إنَّ شعار المسجد الذي تضعونه على صحيفتكم غير مناسب، فهو لا يمثل القومية الإيرانية، لان كل المسلمين في العالم لديهم شعار المسجد، وان شعار الفرس هو آثارهم العظيمة مثل تخت جمشيد* وقلعة اصطخر**

١- موسى نجفي ، المصدر السابق، ص١٩ .
٢- حامد الگار، المصدر السابق، ص٦٥ .
٣- جواد هئيت، ناسيوناليسم وباستنكرائي، انتشارات أمير كبير ، تهران ١٣٧٢هـ ، ص١١ .
٤- حامد الكار، المصدر السابق، ص٦٦ .
٥- جواد هئيت، المصدر السابق، ص٢١ .
٦- المصدر نفسه ، ص٣٢ .
* تخت جمشيد : وتسمى آثار برسبيوليس وتقع شمال مدينة تبريز وهي قريبة من اصطخر القديمة، تعود إلى الحكم الساساني في (٢٢٦م- ٦٥١م) وبناها اردشير وهو اول شاهنشاه، وتضم تخت جمشيد معابد ضخمة وقصور حكم ومرافق دولة . ينظر: إدوارد جرانفيل براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي الى السعدي ، المصدر السابق ، ص١١ .

وغيرها))[١] . كان دعاة هذا التيار يؤكدون على تفوق النظرية العنصرية الآرية ، إذ يدعون إن افضل الشعوب هو الشعب الآري، وان اختلاطه بعض القوميات* ، هو الذي دمر حضارة وثقافة الفرس وجعلها تصل للحضيض[٢] .

ويستحيفون على الأمة الفارسية كيف إن العرب الحفاة الجياع حكموهم لألف ومائتا عام، وكانوا يدعون إلى تطهير إيران من آثار الأعراب الغازين والدعوة إلى إحياء أمجاد كورش حتى إن اقاخان كرماني** وقف على قبره وقال ((**نم ياكورش حيث نحن يقظون))**[٣] . وكذلك دعوا إلى تطهير اللغة الفارسية من المفردات العربية التي كانت عاملاً في انحطاط لغة وثقافة الفرس[٤] .

لقد بدا لنا إنَّ المفهوم القومي الذي ادعاه رموز مثل الكرماني واخواندزادة وغيرهم ، لم يجد له تطبيقاً في أحداث إيران السياسية والاجتماعية ، ففي ثورة التنباك ١٨٩٣م شاهدنا كيف إن قيادة الشعب كانت بيد رجال الدين المراجع وكذلك في الثورة الدستورية فقد كان الدور الأكبر فيها للتبريزيين فهم عمادها ورأس الحربة فيها وهم أتراك[٥] ، وفي الوقت نفسه كان الدور الكردي واضحاً وفاعلاً ، وقد ساهمت القبائل الكردية وخاصة عشيرة گلهور وكذلك أهالي منطقة موكريان في الحركة الإصلاحية والدستورية ، وقد قضى رجالاتهم فترات في السجون الإيرانية ، بسبب مواقفهم المعادية للاستبداد

١- ادوارد براون،تاريخ أدبيات إيران ، المصدر السابق، ص٤١١ .

* يقصد باقي القوميات العرب بالأساس باعتبارهم نواة الفتح الإسلامي ثم الأتراك والأفغان والكرد، وحتى الگونت گوبينو – Gubino – كان يدعوا إلى نقاوة العنصر الآري وأفضليته على باقي الشعوب التي سخرت لخدمة ورفاهية الاريين، وقد ضمن آراءه العنصرية في كتابه ((تاريخ الإيرانيين)) . راجع : موسى نجفي ، المصدر السابق ،ص٣٩ .

٢- ادوارد براون، تاريخ أدبيات إيران ، ص٤١٢ .

** اقاخان كرماني: ابن الميرزا عبد الرحيم ولد في كرمان سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م درس علوم الرياضيات والطبيعة والإلهيات واللغة الإنكليزية وعندما اصبح عمره ٣٢عاماً سافر إلى اسطنبول واتصل بالأفغاني وبدأ بمعارضة الشاه الدعوة إلى الثورة، بعد ذلك قامت اسطنبول بتسليمهم إلى إيران حيث اعدم مع بعض المعارضين ومُثل بجسده وذلك في ١٣١٤ / ١٨٩٧م ، له مساهمات في الصحف – اختر – ومن مؤلفاته حزب الـ ٧٢ مله – در تاريخ نامه باستان – إنشاء الله وما شاء الله، ادعوا عليه انه أول من هاجم الإسلام كدين والعرب كقومية، ولكن سياق أحداث حياته لا تظهر ذلك فكان همه سقوط الاستبداد في إيران، وكانت له علاقات مع سيد جمال الدين الأفغاني ويدعو إلى الوحدة الإسلامية. انظر: عليرضا أوسطي،المصدر السابق، ص٢٠٠- ٢٠١ .

٣- محسن حيدريان، مدرنيته وإيران، مجلة إيران امروز، شماره ٧١، سال ١٣٧٩هـ ، ص١١ .

٤- جواد هئيت، المصدر السابق، ص٣٥ .

٥- إبراهيم تيموري، تحريم تنباكو، اولين مقاومت منفي در إيران، ص٢٢٤ .

الشاهنشاهي[١] . واشترك حوالي ثلاثون ألف مقاتل كردي في منطقة خوي وماكو ضد العصابات التي شكلها أعداء الثورة هناك بقصد ضربها ، و أسس الدستوريون عدد من الجمعيات -الانجمنات- في المدن الكردية كرمنشاه ومهاباد وسندج وسقز وغيرها ، وكان انجمن سقز من أنشطها في ميدان المطالبة بالحقوق الكردية في إيران[٢] .

ابتداءً من الثامن عشر من آب عام ١٩٠٦ بدأ الصراع بين مختلف الاتجاهات الفكرية والحكومية من اجل صياغة جديدة لقانون ينظم العلاقة بين الشعب والسلطة، ويحدد صلاحيات السلطة - الشاه والحكومة - وتوسيع الصلاحيات الممنوحة لمجلس يمثل تطلعات أمة ناضلت من اجل انعقاده وجعله محوراً فاعلاً في رسم سياسة إيران المقبلة ، وتتلخص هذه السياسة في تحقيق هدفين أساسين هما تحديد سلطات الشاه ضمن دستور يمنع الحكم المطلق، وكذلك مراقبة أعمال الحكومة ، وفحص القوانين والتشريعات لبيان عدم مخالفتها لأحكام الشريعة[٣] .

إنَّ بدايات الصراع مع السلطة بدأ عندما أراد ألفان من قادة الثورة - رجال دين ومفكرين وشخصيات اجتماعية ورجالات دولة- عقد جلسة تمهيدية لتدارس الموقف السياسي في مرحلة ما بعد الثورة ، ووضع أسس تأسيس مجلس أطلق عليه مجلس النظار أو المجلس العالي [٤] .

فقد أرادت الحكومة عقد الاجتماع في مدرسة سبهسالار الدينية، ولكن قادة الثورة رفضوا هذا المكان لان المدرسة الدينية تابعة إلى ورثة سبهسالار، وان الحكومة قد اغتصبتها ، فرفضوا أن يكون الاجتماع الأول لهذا المجلس الذي قام ضد الظالم في مكان اخذ من أصحابه ظلماً[٥] . وبعد مداولات مع الحكومة تحققت رغبة قادة الثورة بان يعقد الاجتماع الأول في قصر گلستان الملكي*إذ عُد مؤتمراً شعبياً قومياً واسعاً ضم الجهة

١- جلال الطالباني، كردستان والحركة القومية الكردية ، الطبعة الثانية ، دار الطليعة ، بيروت آذار ١٩٧١، ص٩٢ .
٢- كمال مظهر، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص٢٤١ .
٣- محمد علي كاظم، المصدر السابق، ص٢٣ .
٤- مهدي ملكزادة، تاريخ انقلابي مشروطيت ، ص١٦٩ .
٥- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص١٦٨ .
* قصر گلستان: ويعني بالعربية ((روضة الورود)) ويقع في ساحة ارك وسط طهران وهو قصر بغاية الفخامة والجلال، بني في زمن ناصر الدين شاه على أنقاض قصر كريم خان الزندي وذلك في عام ١٨٥٧م ، ويحتوي على نفائس وهدايا ثمينة منها هدايا من ملوك وقادة في العالم مثل هدايا نابليون بونابرت وماري انطوانيت ومن أباطرة الروس وغيرهم إلى ملك جهانشاه ملك بلاد الهند =

الرسمية – الحكومية – وكل ممثلي وقادة الشعب بمختلف و توجهاتهم وأعراقهم[١] .

وان هذا المؤتمر الأول سيكون خط الطريق الأساس الذي سيحدد سياسة إيران الداخلية فيما يخص التشريعات الخاصة بالتمثيل البرلماني وحق كل فئة أو شريحة في الحصول على المقاعد البرلمانية كما سيرسم توجهات إيران نحو الموقف من النفوذ الأجنبي وخاصة الروسي والبريطاني وصراع باقي القوى نحو ترسيخ وجودها في إيران مثل الولايات المتحدة وألمانيا .

= والذي جلبه نادرشاه، و يضم القصر ألفا ومائتا غرفة ما عدا المرافق الملحقة به ، وهو الآن من المتاحف الشهيرة في إيران. للتفصيل راجع: عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص٥١- ٥٢ .

١- جلال نوحي، المصدر السابق، ص١٩ .

اجتماع الهيئة التأسيسية ـ المجلس العالي

في الثامن عشر من آب عام ١٩٠٦م بدأت أعمال المجلس الوطني، فقد ألقيت فيه الخطب العامة، التي لا تعدو ان تكون مجرد كلمات ترحيب ودعوة للتعاون بين جميع الأطراف المشتركة في العملية السياسية الجديدة[١] .

بدءاً أعطيت كلمة الافتتاح إلى المجتهد السيد مهدي الواعظ جاء فيها : ((**بعد الحمد والثناء لله ... اليوم ولى عصر الظلمة والجهل، و أشرقت شمس الحرية والسعادة على الأمة الإيرانية .. التي تتطلع إلى بناء الوطن العزيز .. بلا شك إنَّ استقلال البلد مرتبط بثرواته وخيراته ، وعلى الأمة المحافظة على هذا المجلس لحفظ بيضة الإسلام، إنّ هذا المجلس جاء نتيجة لوعي ويقظة الامة، وليكون أداة لتحقيق أهدافها وطموحاتها وبهذه المناسبة أصالة عن نفسي ونيابة عن الأمة أتقدم بالشكر والعرفان لصاحب الجلالة الشاه المعظم، واغتنم الفرصة لأحث وادعوا ممثلي الشعب للمساهمة في إنجاح أعمال المجلس لحفظ وضمان حقوق الامة، والسلام على من اتبع الهدى))**[٢] .

ثم تلتها كلمة الصدر الأعظم – مشير الدولة – ورد فيها : ((**إنَّ كل واحد منا بحضوره هذا المجلس يعرف ماهية المهمة الملقاة على عاتقه، انتم أيها السادة علماء دين ووزراء واعيان وتجار وملاكين و أشراف نجباء تعرفون إنَّ أبواب السعادة والحظ قد فتحت على أبناء الممالك المحرومة الإيرانية، وان الأمر الهمايوني الملكي يجب أن تطبق لقيام مجلس موقر يحقق العدالة والرقي لأبناء إيران وفق الله الشاه و أعلى رايته، وبالتوفيق لأبناء وطنه المقدس ، وان يسعد الله الحكومة والشعب صاحب حضارة الخمسة آلاف عام))**[٣] .

بعدها تقرر تشكيل لجنة خماسية* تعمل على وضع الترتيبات الأولية لصياغة قانون الانتخابات، وباشرت اللجنة أعمالها ، وفي الوقت نفسه عملت القوى الرجعية من رجال

١- احمد كسروي ،تاريخ مشروطة إيران ، ص١٦٩ .
٢- ناظم الإسلام كرماني، المصدر السابق، ص٤٩١ .
٣- المصدر نفسه ، ص٤٨٩ .
* كانت اللجنة الخماسية مؤلفة من صنيع الدولة – محتشم السلطنة – مخبر السلطنة – الميرزا حسن خان والميرزا حسين خان أبناء مشير الدولة – رئيس الوزراء – وقد أتمت عملها خلال شهر ليصادق بعدها الشاه على الصيغة النهائية . ينظر: احمد كسروي ،تاريخ مشروطة ايران، ص١٧١ .

البلاط وضع العقبات أمام الوضع السياسي الجديد، خاصة إن هذه اللجنة الخماسية كانت من أصحاب الخبرات والثقافات العالية لأنهم من الدارسين والمتخرجين من الجامعات الاوربية، وقد شغلوا وظائف مهمة أكسبتهم خبرات تؤهلهم لوضع نظام جديد يخل بمصالح هذه القوى التي ستتضرر حتماً[١] .

أثارت تحركات القوى الرجعية حفيظة الثوار في كل مكان من إيران مما دفعهم إلى الإضراب مجدداً، و إعلان حالة الاستنفار الشعبي ومعاودة اللجوء إلى القنصليات البريطانية الموجودة في المدن الإيرانية للتعبير عن سخطهم ثانية من ممارسة القوى الرجعية وخاصة من تحركات عين الدولة المعزول، الذي عاد من مقر إقامته في خراسان إلى طهران وبدأ بالتحرك المضاد لأعادة اعتباره السياسي من جهة ومن جهة أخرى استخدام كافة الوسائل الممكنة لعرقلة عمل لجان إعداد الدستور والانتخابات وكهدف نهائي لإفشال الثورة الدستورية وإرجاع الوضع إلى ما كان عليه سابقاً[٢] . إذ التجأ عشرون من قادة الثورة الدستورية والشخصيات المهمة إلى قنصلية بريطانيا في تبريز وكذلك في باقي المدن الإيرانية و أصرت العناصر الثورية على تحقيق مطلبين أساسين هما: الإسراع بإعداد الترتيبات الخاصة بقانون الانتخابات والثاني هو إبعاد العناصر الرجعية عن مسرح الأحداث والمقصود هو عين الدولة ورجالاته عن طهران[٣] . وبالفعل وأمام إصرار الثوار رضخ الشاه إلى مطا ليبهم وقام بإبعاد عين الدولة ثانية إلى خراسان خوفاً من تأزم الأوضاع ثانية وعودة أحداث الثورة الصاخبة من جديد ، كلفت اللجنة المختصة بإعداد قانون الانتخابات من عملها، وأنجزت خلال ٣٦يوماً أعمالها وعرضت القانون على الشاه للمصادقة عليه[٤] .

رغم إن تحديد الفئات التي ستشارك في تشكيل المجلس قد اقتصر على ست طبقات هي الأمراء، أفراد الأسرة القاجارية، رجال الدين، الأشراف الأعيان، التجار، كبار الملاكين، الأصناف ويعني بهم الحرفيين كل حسب اختصاصه العملي كمفهوم النقابات

١- ف. و. ٤١٦ / از نامة داف به سر گراي، شماره ٣٤٤ / ٩٨ . ٣١، تهران در ١٣ / سبتمبر / ١٩٠٦ .

2-Asghar Fathi, the role of the ((Rebels)) in the constitutional movement in iran international journal of Middle East Studies, vol 7, No 1, 1979, P. 94 .

٣- مهدي داوودي، المصدر السابق، ص٣٣ .

٤- طاهر البكاء، بعض من ملامح الثورة الدستورية، ص١٦٣ .

وقد عد هذا تحديداً لا يشمل كل أفراد طبقات الشعب الايراني، مثل الفلاحين الذين ترك أمرهم مقترناً مع كبار الملاكين[١] . كما أعطي للمجلس المنتخب حق إبداء المساعدة لمجلس الوزراء في تمشية أمور الدولة، ولم يعط الحق للمجلس مراقبة ومحاسبة أعمال الحكومة -الوزراء- [٢] .

حدد القانون الجديد ضوابط الترشيح والانتخاب وصيغة عمل المجلس الجديد من حيث الصلاحيات والواجبات وتنظيم العلاقة بين المجلس والحكومة ولكن المهم في الأمر كله إن هذه الخطوة كانت بداية موفقة نحو ترسيخ العمل النيابي والممارسة الديمقراطية في بلد كإيران لم يعهد ممارسة شعبية واسعة كهذه وتعد نتيجة إيجابية موفقة لجهود رجال الدين والمثقفين وطلاب الحرية والتجديد[٣] .

ولكن الملاحظ على بنود القانون الجديد إن تأثير رجال الدين والتجار كان جلياً في صياغة مواد القانون الانتخابي، فرجال الدين فرضوا شرط سلامة العقيدة الدينية وعدم إقامة الحدود الشرعية شرطاً للاقتراع والانتخاب معاً، في حين كان تأثير رأي التجار من خلال فرضهم شرط حق الانتخاب على من تزيد قيمة أملاكهم عن ألف تومان (حوالي مائتي جنيه إسترليني)[٤] .

وعلى الرغم من أن هذا القانون لم يكن مرضيا بدرجة عالية للفئة المثقفة فقد وفر لها الأرضية المناسبة لتحقيق الأهداف والمثل التي طالما سعت لتطبيقها، هيأ لها الأجواء المناسبة للعمل من اجل أن تأخذ تلك المبادئ دورها الطليعي في تثبيت مقومات المجتمع الجديد، ووضع البلاد على أعتاب مرحلة جديدة من التطور[٥] .

لم يحدد القانون الجديد موقف الأقليات الدينية من الانتخابات، لذلك فقد حلت مسألة النصارى واليهود بان مثلهم بالوكالة كل من السيد البهبهاني ، والسيد الطباطبائي، في

١- حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص١٥٢ .
٢- مجتبى مقصودي، تحولات سياسي واجتماعي إيران ١٣٥٧- ١٣٣٠، انتشارات مركز إسناد انقلاب إسلامي ، تهران ١٣٧٧هـ، ص٣٥ .
٣- ف. و، برونده شماره ٢٨/ ٤١٦ ، از ايولين گرانت داف به سرادواردگري، شماره ١٠١ (٣٧٣٤٧) ، تهران ١٠ اوت ١٩٠٦ .
٤- احمد كسروي ،تاريخ مشروطة إيران ، ص١٦٩ .
٥- فوزية صابر محمد،دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٥٩ .

حين أصر الزرادشتيون على تمثيلهم بنائب وهو أرباب جمشيد باعتبارهم من سكنة البلاد الأصليين[١] .

حدد لطهران العاصمة ستون مقعداً في حين كانت حصة الولايات الإيرانية الأخرى ستة وتسعون نائباً، ويتضح من هذا التقسيم انه عدم وجود تناسب بين النواب والمناطق التي يمثلوها وهذا يعود إلى أهمية طهران كعاصمة للدولة وان الوعي الوطني فيها أقوى مما هو في الولايات البعيدة والمختلفة عن العاصمة ، كذلك إن الحركة الوطنية في طهران حدت من سلطات الحكومة على عكس الولايات التي بقيت سيطرة وقوة الحكام فيها راسخة ومتينة[٢] .

لذلك فطن قادة الثورة إلى هذه المسألةفقرروا أن يلتئم المجلس الوطني حالماً يتم انتخاب نواب طهران لتفويت الفرصة على إعداد الثورة، وعدم ثقتهم بالحكومة وان تكون قرارات المجلس نافذة دون أن تنتظر موافقة نواب الولايات[٣] .

استطاعت جهود العلماء والمثقفين من الضغط على الحكومة في الإسراع بالعملية الانتخابية وتفويت الفرصة على القوى الرجعية من معاودة نشاطها لضرب مصالح و أهداف القوى الوطنية .

فالمثقفون كانوا يرون إن المجد لإيران وحفظ أموال وخزائن الدولة من الضياع ، لا يتم إلا بإقامة مجلس شورى وطني وبغير ذلك فان الأمل ببقاء هذه الأمة و إصلاح أمورها شيء مستحيل [٤] . وكانوا ينحون منحى مفكري الثورات الغربية – خاصة المثقفون الليبراليون –فهم يعّدون إن الدين مناف للديمقراطية ولا يتفق معها مطلقاً، ووجوب التحرر من سيطرة الدين و إعطاء الفرد الحرية الشخصية في ممارسة النهج الديمقراطي[٥] .

١- زهرا شجيعي، المصدر السابق، ص٧٧ .
٢- المصدر نفسه، ص٨٩ .
٣- مجتبى مقصودي، المصدر السابق، ص٤٥ .
٤- حبل المتين، العدد ٢٣، السنة العاشرة .نقلاً عن طلال مجذوب ، المصدر السابق، ص٧٢ .
٥- فريدون ادميت، فكري ازادي ومقدمة نهضت مشروطيت ، ص٢٣٠ .

وسعوا إلى نقل التجارب الغربية و تطبيقها كاملاً في إيران مع تحوير بسيط لتتلائم وطبيعة المجتمع معتقدين إن الأوضاع لا يتم إصلاحها إلا من الخارج[1] . فالتناقص واقع لا محالة بين النهج العقلاني والنهج الديني ، فهم يطمحون إلى تطبيق القوانين والأنظمة الحديثة مقابل الشرائع السماوية كما عبر عن ذلك أحد المثقفين قائلاً : ((**ما دام رجال الدين هم المتنفذين – كما في الدولة العثمانية – فان هذه الدولة لن تشهد الرقي والتطور**))[2] .

أما رجال الدين المجددون فانهم بدأوا بحملة توجيهية واسعة من اجل إظهار وبيان أهمية الأنظمة والقوانين والدساتير في تنظيم حياة الأمة ورفع الظلم وتنظيم علاقة السلطة بالشعب .فالبعض منهم كان مطلعاً على القوانين وخاصة القانون الفرنسي ، وكانوا يشرحون في خطبهم ومحاضراتهم الدينية مزايا الدستور وأهميته، حتى إن الشاه سأل عن معنى كلمة المشروطية – الدستور – فأجابوه إن المشروطية تعني العدل ، والعلم ، والتحديث والعمران في البلاد، فقال: هل يعني أن تصبح طهران مثل لندن ؟ فقالوا: نعم، فأجابهم وما أفضل من ذلك فأنا موافق[3] .ويورد السيد محمد الطباطبائي قولاً : نحن لم نر المشروطية، ولكن سمعنا عنها ، والذين كانوا في الدول المشروطية – الدستورية – قالوا لنا إنها توفر الأمان والأعمار للبلاد، ونحن تشوقنا وتطلعنا لتحقيق المشروطية في إيران[4] . كان دور رجال الدين أكثروضوحاً وتأثيراً في أوسع فئات الشعب لأنهم أي – رجال الدين المجددون – في الأصل مجموعة من الطبقة المثقفة والمتنورة في المجتمع الإيراني[5] .

رغم إن مكانة المجتهدين ((رجال الدين)) في إيران أقوى منها في أي بلد آخر لأنهم استطاعوا أن يبرزوا أنفسهم كزعماء أثناء أزمات بلدهم، وقادوا العامة ضد

١- محمد حسن أديب خراساني، المصدر السابق، ص٥٤ .
٢- إدوارد براون، تاريخ انقلاب ايران ،ترجمت احمد بزوه، جاب إقبال،تهران ١٣٣٨هـ، ص١١٧.
٣- محمد حسن أديب خراساني، المصدر السابق، ص٤٩ .
٤- حامد الگار، دين ودولت در ايران، ص٣٠٦ .
٥- ادوار سابلييه، المصدر السابق، ص٤٠ .

الأوضاع[١].غيرا إنهم أرادوا الاعتماد على قوة رجال الدين في النجف الأشرف لزيادة قوتها ضد سلطة الشاه والحكومة، كما حدث في أيام إنتفاضة التبغ[٢] .

وعليه فقد بعث رجال دين محسوبين على التيار المجدّد – من مؤيدي المشروطة – برقيات إلى الشعب الإيراني، ومن ابرز هؤلاء السيد محمد كاظم الخراساني* والسيد عبد الله المازندراني** جاء فيها : ((**بسم الله الرحمن الرحيم نعلن إلى كافة أبناء الأمة، بالخصوص العشائر وساكني الثغور الإسلامية الإيرانية، الذين يقع عليهم عاتق حفظ حدود الأمة من ظلم الأجنبي، وان تتركوا خلافاتكم وتحلوا محلها وحدة الأمة الإسلامية، وان تتعاونوا في الذود عن حياض و أراضي الأمة المقدسة، وان تتعلموا فن الحرب واستخدام السلاح فهو فريضة عليكم، وان تساهموا في إنجاح عمل المجلس وقوانينه وان تبعثوا ممثليكم إلى المجلس وان لا تبخلوا بأي شئ في سبيل إنجاح المجلس**))[٣] .

١- فيصل عبد الجبار عبد علي، المصدر السابق، ص١٢٤ .

٢- سليم الحسني، المرجعية الدينية ودراسة في تحولات الستينات، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع:

www.iichs.org/makalat

* السيد محمد كاظم الخراساني: ابن الملا حسين، ولد في مشهد عام (١٨٣٢) وفي بداية شبابه سافر إلى النجف الأشرف لغرض الدراسة على يد الشيخ الأنصاري ثم أصبحعالماً في علوم الدين والفقه والأصول له مؤلفات عديدة منها ((كفاية الأصول)) دعم كثير من المواقف والتطورات الإسلامية في إيران أبان الثورة الدستورية والهجوم الروسي على إيران ، ودعا إلى الجهاد أثناء الغزو الفرنسي لليبيا، وعند الغزو الروسي لإيران في ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م استعد للجهاد ضد الكفار ولكن مات في ظروف غامضة ودفن بالنجف الأشرف . ينظر: مجتبى مقصودي، المصدر السابق، ص٣١ .

** السيد عبد الله المازندراني: من مواليد مازندران عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٧٨م وبعد إكمال دراسته توجه إلى النجف لدراسة العلوم الدينية على يد الشيخ الأنصاري، بعدها حصل على درجة الاجتهاد وأصبح أحد ثلاثة مراجع عظام في إيران وكان من قادة ومؤيدي الحركة الدستورية توفي في عام ١٣١٣هـ/ ١٩١٤م . للتفصيل عن هذه الشخصية راجع : محمد حسن رازي، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، جلد دوم، انتشارات بزركَ، مشهد ١٤٠٠هـ ، ص٥٧٦ .

٣- ناظم الإسلام كرماني، المصدر السابق، ص٤٩٠ .

افتتاح المجلس

حدد يوم السابع من تشرين الأول عام ١٩٠٦موعداً لافتتاح المجلس، وذلك على قاعة القصر الملكي ((گلستان)) وقد دعي إلى الحفل كل أعضاء السلك الدبلوماسي و أمراء الأسرة القاجارية ، والعلماء ، والقوى الوطنية كافة، واعدت كل مظاهر الاحتفال بشكل واسع، و أصبحت منطقة القصر و المنطقة المحيطة بها مليئة بجماهير الشعب الذين جاءوا ليشاركوا في هذا الاحتفال المهيب[١] . شارك الشاه مظفر الدين رغم مرضه الشديد في مراسيم الافتتاح وهو محمولاً على كرسي متحرك، ثم ألقى كلمة* مقتضبة جاء فيها : ((**منذ سنوات ، وأنا أتوسم يوماً كهذا، والحمد لله الذي حقق حلمي القديم، انه ليوم عظيم ومشرف هذا الافتتاح لمجلس وطني يقوي العلاقة بين الحكومة والشعب وينظم أمور الرعية هذا المجلس الذي تتجلى فيه مطالب وأفكار الشعب ، وأنا على يقين اليوم إن ممثلي الشعب والحكومة والأعيان والتجار سيقومون بواجباتهم على أكمل وجه، وما انتخابكم إلا نتيجة لرجحان عقلكم ودهاء أخلاقكم، وهذا ما يعزز ثقتي بأنكم ستحققون رغبات شعبكم الذي يتطلع إليكم لخدمته والحد من الفساد، واني أنصحكم بان لا تخجلوا مني في تحقيق أعمالكم ، وان لا تغفلوا عن المسؤوليات الجسام الملقاة على عاتقكم ، والله الموفق**))[٢] . ثم واصل المجلس أعماله وتم انتخاب صنيع الدولة مرتضى قليخان ** رئيساً للمجلس وحدد له نائبان وأعضاء مكتب السكرتارية[٣] .

١- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران ، ص١٧٠ .

* إنهذه الكلمة موثقة صوتياً على جهاز گرامافون الذي كان قد دخل حديثاً إلى إيران والبلاد العربية، وهي محفوظة على اسطوانة شمعية قابلة للاستماع إليها لحد الآن . انظر: جلال فرهمند، حافظ الأصوات ، مجلة بهارستان، تهران، شماره جهارده، سال ١٣٨٠هـ ، ص٤ .

٢- سيد جلال الدين مدني، تاريخ سياسي معاصر إيران، جلد أول، دفتر انتشارات إسلامي، تهران ١٣٨٠هـ ، ص١٧٧ .

** صنيع الدولة: مرتضى قليخان ولد في طهران عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م وهو ابن عم علي قلي خان مخبر الدولة درس اللغة الفارسية واللغة العربية وآدابها، ودرس الآداب والعلوم الأخرى، في عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م التحق بمدرسة دار الفنون ، ثم سافر إلى ألمانيا في عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م لدراسة العلوم الصناعية والتخصص بالمعادن، وعند عودته إلى إيران ساهم في نشر وتأسيس صناعة النسيج والغزل، اصطدم بسياسة الإنكليز والروس الذين كانوا لا يشجعون قيام قاعدة صناعية في إيران ، تدرج بالمناصب الوظيفية حتى انه شغل وزارة المالية، وعند قيام الثورة تمانتخابه رئيساً للمجلس . راجع : عليرضا اوسطي، المصدر السابق ، ص٣٣٠ .

٣- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص١٨٠ .

كانت طهران والمدن الإيرانية الرئيسة ، قد شهدت تطورات جديدة على جميع الأصعدة ففي هذه الأيام تزايد عدد الجمعيات – الانجمنات- والنوادي السياسية والاجتماعية لكي تستطيع استيعاب حالة المد الثوري وكسب مراكز القوى والنفوذ، وتنظيم الجماهير الإيرانية الثائرة لتحقيق وضع جديد في البلاد[١] . فقد قارب عدد الجمعيات والنوادي السياسية في طهران وحدها حوالي ١٤٠ جمعية، ينتمي إليها حوالي ثلاثة آلاف عضو، وحوالي مائتا جمعية في المدن الإيرانية الأخرى وخاصة تبريز ، ومشهد وكيلان[٢] . كما شهدت هذه الفترة نشاطات مكثفة من قبل المثقفين لتوحيد جهودهم في عملية فرض التجارب الأوربية الديمقراطية كالتجربة الفرنسية والإنكليزية، أما رجال البلاط فكانوا لا يريدون تحديد صلاحيات الشاه وبالتالي تقليص نفوذهم، في حين كان رجال الدين يريدون التنفيذ التام للقوانين الإسلامية المقدسة[٣] .

وكانت طهران متميزة في عدد النواب قياساً إلى الولايات، إذ حدد القانون نواب طهران بستين نائباً ، في حين كان عددهم من الولايات الإيرانية بستة وتسعين نائباً[٤]. إنَّ الخلاف الذي حصل في بداية انعقاد المجلس كان حول كيفية سن القانون الأساس الجديد للبلاد . فرجال الدين يريدون تطبيق أحكام الشريعة كما هي لان ((**دين الإسلام اكمل الأديان و أتم الشرائع وهو الدين الذي يحقق العدل والمساواة ، فلماذا نحاول أن نحصل على قانون العدل من باريس ، وان يأتينا قانون الشورى من الإنكليز**))[٥] .

إنَّ الناس في إيران قد استيقظوا وتفتحت عيونهم واخذوا يبصرون شيئاً فشيئاً، و أوضح علامات يقظة المجتمع زيادة عدد الجرائد المنتشرة في البلاد، وهي جرائد جديدة في مبناها ومعناها، ليست مثل الجرائد القديمة ذات الأسلوب والنهج الرديء، بل هي من الجرائد الهادفة والراقية لخدمة المجتمع[٦] .

١- مريم جواهري، المصدر السابق، ص٥٩ .
٢- ناصر تكميل همايون، تحولات سياسي إيران در دورة قاجارية، جلد أول، تهران ، بي تا ، ص٣٥٧ .
٣- عليرضا اوسطي، المصدر السابق، ص١٥٥ .
٤- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص١٧٥ .
٥- عزت السادات ميرخاني، اجتهاد وتوسعة در مسائل زنان، مجلة همشهري، شماره ١٤٠، سال ١٣٨١هـ ،ص١٦.
٦- ادوارد براون ، تاريخ انقلاب إيران، ص١٤٦ .

فقد قدر عدد الصحف والمجلات التي صدرت مع استقرار الثورة المشروطية بما يقرب من مائة وخمسين جريدة ومجلة مختلفة من بينها صحف تطبع ما بين خمسة آلاف إلى عشرة آلاف نسخة[١] . زيادة على صحف المهجر السابقة فقد صدرت صحف جديدة في إيران أهمها صحيفة المجلس التي كانت تعنى بنشاطات المجلس، وكذلك صحيفة روح القدس وصور اسرافيل[٢] .وكانت هذه الصحف انعكاساً للمرحلة الجديدة من الحياة السياسية الإيرانية، فقد جاء في العدد الأول من روح القدس : ((**الحمد لله الذي نجانا بقدرته الكاملة نحن الإيرانيين من ظلم المستبدين الذين كنا ننوء تحت أوزاره و ألبسنا خلعة الحرية والمشروطية ، و أصبحت إيران في عداد الدول الدستورية وذات برلمان وأصبح القلم واللسان في اعتقادنا حُراً**))[٣] .

المثقفون بدورهم كانوا يريدون أن يكون القانون الأساس لإيران هو نسخة مترجمة ومطابقة لقوانين الدول الأوربية ذات البرلمانات الدستورية وهكذا تعمق الخلاف بين التيار الديني – من المجددين أو المحافظين – وبين الليبراليين الطامحين إلى تحديد قدرة ونفوذ رجال الدين المجددين، من خلال نفوذهم في المجلس ، فقد قدر عدد النواب المتنفذين بالمحافل الماسونية بحدود الستة عشر نائباً[٤] . ويقول تقي زادة وهو أهم نواب المجلس : ((**إنَّ المجلس مركز ثورياً من الطراز الأول ومطابقاً للمجلس الأساسي الفرنسي**)) وان ((**المتربين على الفكر الغربي كانوا روح المجلس ورونقه**))[٥] . حتى إنَّ أصحاب الاتجاه الغربي طرحوا على سيد محمد الطباطبائي أن يكون خبيراً انكليزياً مشرفاً على ترتيب وتدوين القوانين الأساسية للمجلس، نافين العلاقة بين المجلس والدين[٦].

١- كمال مظهر، تاريخ الصحافة الكردية، مجلة سردم العربي ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع:
www.sardam.net/sardamarabi

٢- سيد فريد قاسمي، المصدر السابق، ص٧١ .

٣- إبراهيم صفائي، رهبران مشروطة، ص٣٢١ .

٤- علي اكبر ولايتي، مقدمة فكري نهضت مشروطيت، دفتر نشر فرهنگي اسلامي، جاب هشتم، تهران ١٣٨٠هـ، ص٣١ .

٥- ادوارد براون، انقلاب ايران، ص١٤٦ .

٦- علي اكبر ولايتي، المصدر السابق، ص٣٩ .

وهنا تبرز بصمات الأيادي الخفية البريطانية التي تريد من طبقة المثقفين الليبراليين ان يحتلوا مقاعد المجلس الوطني، لان نفوذهم بالنتيجة يعني إضعاف النفوذ الروسي، وتحقيق مصالحهم الاقتصادية في البلد[١] .

كما إنَّ القوى الرجعية المتمثلة بالأمراء القاجاريين حاولوا عرقلة عمل المجلس من خلال عدم تسمية مرشحيهم للانتخابات، غير ان قوة وتأثير رجال الدين والمثقفين، مع موقف الشاه نفسه الذي جمعهم في قصره وطلب منهم المشاركة الفعلية لأنه عد ((**إنَّ المجلس مجلسنا ، ورياسته لنا، وان من يقف ضده يقف ضدنا**))[٢] . كما إن حكام الولايات الذين لم تصل إليهم ضغوط الثورة، كانوا يمارسون نفوذهم ضد المواطنين وكأنهم خارج نطاق أحداث الثورة[٣] . بل إن معظم المواطنين سواءً في طهران أو المدن الإيرانية كان لا يعنيهم من الثورة إلا الحصول على لقمة العيش دون الخوض في حيثيات الأحداث السياسية، مثل : المجلس الوطني و إقرار الدستور، و شكل النظام السياسي الذي سيحدد ليقود البلاد في المرحلة المقبلة، لان هذه المسؤوليات الكبيرة كانت تقع على عاتق النخب التي تشمل كبار رجال الدين والمثقفين والمفكرين ومن رجالات الدولة الذين يتبوؤن المناصب العليا و أصحاب مراكز القرار[٤] .

وهكذا ما إن استقرت الثورة وأعلنت أهدافها في إقامة مجلس يعمل على وفق دستور يتفق عليه من قبل فئات الشعب، حتى بدأت سلسلة من الفعاليات السياسية والحزبية دخلت في صراعات مع نفسها من جهة ومع الشاه والحكومة من جهة أخرى ، تضاربت بها الرؤى والأفكار وتصارعت بها الاتجاهات والأفكار، ولكن بقيت هذه الاتجاهات متفقة على هدف إقامة مجلس يمثل كل فئات الشعب، ويكفل الحريات العامة للجميع انحصرت فئات وتوجهات المجلس في كتلتين بارزتين الأولى كتلة المثقفين الذين دعوا إلى التجربة الغربية والتحرر من قيود الدين وفصله عن السياسة، وترسيخ الحريات الفردية، مقابل كتلة المعتدلين الممثلين برجال الدين المحسوبين على التيار الإصلاحي التجديدي، الذين

١- ابو القاسم طاهري، تاريخ روابط بازركاني وسياسي إيران وانكليس، جلد دوم، انتشارات انجمن آثار ملي ١٤٣ ، تهران ١٣٥٣هـ، ص٥٩١ .

٢- حبل المتين، العدد ١٥، السنة ١٤ في ١٢ نوفمبر ١٩٠٦ مقتبس من طلال مجذوب، المصدر السابق، ص١٧٦ .

٣- كورش صالحي، المصدر السابق، ص١٤٧ .

4-Nikki R. Keddie, the Iranian Power Structure and Social change 1800-1969, International Journal of Middle East Studies, vol 2, no 1, 1979, P. 11.

يدعون إلى تسيير شؤون الدولة وفق الشرع الإسلامي ، مع بعض الفئات الأخرى في المجلس والتي لم يكن لها وزن سياسي ونفوذ في إصدار القرارات ، كانت تتحين الفرص لتحقيق نوع من المكاسب لها مثل طبقة الأصناف وكبار الملاكين ، رغم إن الهدف الأساس للثورة هو إقامة المجلس، غير إن هذا المجلس كانت تقع على عاتقه مهمات جسام واجهت تحديات كبيرة وكانت أهم هذه التحديات صياغة دستور يكون منهاج عمل الدولة ولمرافقها المتعددة ، مع تحدي القوى الرجعية ونفوذ القوى الخارجية وخاصة روسيا وبريطانيا فمهمة المجلس كانت صعبة وشائكة .

المبحث الثاني
صياغة وإقرار الدستور

كانت مسألة صياغة الدستور من المهام الملقاة على عاتق المجلس الوليد فهي مهمة صعبة وشاقة، ومحاطة بملابسات عديدة منها إنها التجربة الأولى في البلاد لأول دستور، وكذلك إن أعداء الثورة الرجعيون ما زالوا متربصين بها لأضعافها وإجهاضها[١] . فالمثقفون ورجال الدين كانوا يريدون الإسراع بتدوين بنود الدستور والمصادقة عليه للاستفادة قدر الإمكان من مرونة الشاه مظفر الدين وهو في فراش المرض، وخوفاً من تبوء العرش ممن هو أكثرقسوة وظلماً ومحباً للاستبداد السياسي[٢] .

وعد الصدر الأعظم – مشير الدولة – المجلس بدستور سوف يعرض للمناقشة والتصديق لكن المجلس رفض ذلك وطلب تشكيل لجنة لكتابة الدستور ولعدم وجود تجربة دستورية سابقة في إيران، وان الدستور العثماني – البلد الإسلامي المجاور – هو نسخة من دساتير أوربية، فقد ارتأت اللجنة الاستفادة من الخبرات والنماذج الأوربية لنسخ دستور متوافق وملائم لبلد كإيران[٣] . لهذا اعتمدت على نسخ من الدستور البريطاني والدستور البلجيكي الذي قدمته السفارة البلجيكية للمجلس ليساعدهم في وضع بنود الدستور الإيراني المقترح ، وأيضاً اعتمدوا على الدستور الفرنسي وبعض المواد من قوانين دول البلقان[٤] .وقد حرصت لجنة صياغة الدستور أن يكون مطابقاً للشريعة الإسلامية ولا يختلف عنها، ولا يخالف المبادئ الأساسية للإسلام، فقد وضعت منذ البداية مبدأ إشراف كبار المجتهدين من رجال الدين على قرارات المجلس[٥] . وحتى المثقفون الليبراليون لم يكن باستطاعتهم أن يجهروا بأفكارهم الغربية ، فرددوا مع رجال الدين إنَّ ((**القرآن هو أصل ديننا وانه ليس للدستورين النية في المس بالشريعة**))[٦] .

١- ادوارد براون، تاريخ انقلاب إيران، المصدر السابق، ص٢٤٨ .
٢- المصدر نفسه ، ص٢٧١ .
3-Masoud Kazemzadeh, The Constitution of 1906, Iranian community, vol 2, no 21 (September 2001), P. 3.
4-Ibid, P. 17.
٥- صالح حسين الجبوري ، المصدر السابق، ص٤ .
٦- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٥٦ .

وبعد مداولات عديدة، وإجراء تعديلات ، واستعانة بخبرات رجال الفكر والقانون، اقر المجلس الوطني الدستور المؤلف من إحدى وخمسين مادة ، وذلك في جلسة يوم التاسع من كانون الأول عام ١٩٠٦م ورفعه للشاه للمصادقة عليه[١] .

كما عد رجال الدين المجددون الجهود المبذولة من قبل نواب المجلس وبقية الشعب هو بمثابة جهاد في سبيل تحكيم الدستور وترسيخه في حياة الأمة ، وفي بيان مشترك للخراساني والمازندراني جاء فيه: ((**إن الدستورية في أي بلد عبارة عن تحديد الحكومة والدولة ، ولان دين الدولة الإسلام فان الأمة يجب أن تكون واعية ومجاهدة من اجل إنجاح الدستور**))[٢] . وبالمقابل كان على المثقفين الليبراليين وحسب أهدافهم القيام بترسيخ أسس الدولة الديمقراطية السائرة نحو التحديث السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولكن هذه الأهداف اصطدمت بمعوقات منها السلطة المستبدة الراسخة نوعا ما بحكم العوامل الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك عدم تنسيق المواقف مع الاتجاهات الأخرى مثل التيار لديني وايضاً إن المثقفين أنفسهم لم يطرحوا برنامج عمل واضح و إنما كانوا مجرد منظّرين لأفكار غريبة لا يمكن إنباتها بشكل طبيعي في ارض الواقع[٣] .

حتى إن بعض المصادر – ومنها احمد كسروي – تذكر انه من اجل استحصال الموافقة والتأييد على القانون من قبل المراجع الكبار تقرر إرسال مسودة القانون إلى النجف الاشرف للتأييد اللازم ، وبالفعل فقد اطلع عليها المراجع هناك ، وقام الحاج ميرزا حسين الميرزا خليل* بالتوقيع، ووقع بختمة السيد الخراساني، أما المرجع الثالث السيد محمد كاظم اليزدي فقد امتنع عن الموافقة ووقع بدلاً عنه الشيخ عبد الله المازندراني[٤] .

١- زهرا شجيعي، المصدر السابق، ص١٤٤ .
٢- هاشم محيط بافي، المصدر السابق، ص٣٢٥ .
٣- علي اصغر حقدار، فرهنگ ايران ومدرينته، ص٧٥ .
* الميرزا حسين خليل الطهراني، ولد في طهران سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٢م في مدينة النجف الاشرف ودرس فيها على يد كبار العلماء مثل الانصاري، وبقي مدرساً في حوزة النجف حتى نال درجه الاجتهاد واشتهر بالورع والتقوى، له دور فاعل وداعم للحركة الدستورية في إيران وكان من رجال الدين المجددين الداعين إلى تطبيق الدستور وإجراء التغيرات في شكل النظام السياسي الإيراني وإنهاء الاستبداد ، توفي في عام ١٣٣٦هـ/ ١٩٠٨م عن عمر ناهز ٩٦ عاماً. انظر: محمد حسن رازي، جلد دوم، المصدر السابق، ص٥٧٦ .
٤- احمد كسروي ، تاريخ مشروطه إيران تاريخ هيجدة ساله أذربيجان، جلد دوم ، مؤسسة مطبوعات أمير كبير، تهران ١٣٣٣هـ، ص٣١٨ .

كانت المعركة الخفية محتدمة بين رجال الدين وتيار المثقفين الذين كانوا يضغطون بشدة على رجال الدين المجددين لانتزاع أوسع الامتيازات لتمديد فقرات الدستور، ففي التصويت على فقرة المساواة هدد المثقفون رجال الدين وخاصة سيد عبد الله البهبهاني الذي هددوه بالقتل إذا لم يوافق على إقرارها مما اضطره إلى الإدلاء بصوت الموافقة مجبراً[١] ، إن مسألة قانون المساواة بين كافة الأقليات الدينية والمسلمة طرحت خلافاً عميقاً بين القوى والمثقفين الليبراليين الواعين لهذا القانون، إذ عد رجال الدين ان تشريع هذا القانون مخالفة للشريعة الإسلامية، لان الشريعة والفقه يؤكدان على ان جميع الأقليات الدينية متساوية في الحقوق والأحكام الإنسانية العامة، ولكن هناك تفاوت في التطبيق ، إذ تدخل مسائل الزواج والأحوال المدنية والتعاملات التجارية[٢] . بسبب عدم انطباق الأحكام الإسلامية على باقي الطوائف الدينية في إيران رغم أن الأقليات الدينية لم يكن لديها أي مشكلة سياسية أو دينية لكي تطرح كمادة أو بند من بنود الدستور، لكي توضع لها الحلول المناسبة، فاليهود كانوا ضمن العناصر الفاعلة في إنجاح الثورة وهم الذين كانوا في استقبال المعتصمين العائدين إلى طهران ، إذ تجمع خمسمائة نفر منهم وقاموا بنحر الذبائح إلى جانب إخوانهم الارآمنه الذين وقف منهم بحدود المائة نفر لاستقبال وتحية الثوار العائدين من الاعتصام وكذلك الزرداشت[٣] . وعبر رجال الدين عن استيائهم من هذه الدعوات ووصفوا الليبراليين بالضلالة والكفر وقالوا : ((**فما دمنا قد عاملنا أقلياتنا بشكل جيد جداً لأكثر من ألف عام مضت، لا أستطيع أن افهم من ذا الذي يقف خلف هذا الطلب الفظيع غير الأجنبي**))[٤] .

حاول المجلس استباق الزمن والإسراع بالمصادقة على الدستور لشدة مرض الشاه، وتزايد نشاط القوى المعادية، وخوفاً من تسنم محمد علي* - ولي العهد- مقاليد الحكم[٥] .

١- أبو الحسن بزركَ أميد، المصدر السابق، ص١٠٧ .
٢- مهدي مجتهدي، روشنگرها درمشروطيت ايران، ص٢٩ .
٣- ناظم الإسلام كرماني، المصدر السابق، ص٤٨٨ .
٤- فوزية صابر محمد، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ، ص١٦٢ .
* محمد علي: ابن مظفر الدين شاه ويعتبر سادس ملوك الفترة القاجارية، ولد عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م في فترة الثورة الدستورية كان حاكماً على تبريز باعتباره ولياً للعهد لأنه في العرف القاجاري فان كل ولي عهد يكون حاكماً على تبريز، كان قاسياً غليظ الطباع كارهاً للحرية ، قامعاً للشعب، مبدداً لثروات البلد، وأداة طيعة بيد الروس تسنم العرش في ١٨/ ١/ ١٩٠٧م، وسنرى دوره لاحقاً في تاريخ إيران . ينظر: عليرضا اوسطي، المصدر السابق، ص٣٣١ .
٥- ناصر نجمي، محمد علي شاه ومشروطيت، انتشارات فرانكلين، تهران ١٣٧٧هـ، ص١٦ .

فقد كان معروفاً باستبداده وكرهه لطبقة المثقفين ورجال الدين المجددين وطلاب الإصلاح والحرية، وانه خلال حكمه في تبريز كان يقف بحزم وقوة ضد كل الوطنيين التبريزيين سواءً المسلمين منهم او الأرمن[١] .وفي الوقت نفسه كان اشد الناس كرهاً للدستور والإنكليز، لانه شب بين يدي رجل روسي يهودي اسمه شبسال خان* ، الذي غرس في خاطره حب الروس والاستبداد ومقاومة طلاب الحرية[٢] .

أرسل أعضاء المجلس في يوم السابع من كانون الأول عام ١٩٠٦م دعوة رسمية لولي العهد لحضور حفل التوقيع إلى جانب والده الشاه، حسبما تقتضي الأعراف الرسمية، لكن ولي العهد بدأ بالمماطلة وتسويف الوقت لإعطاء فرصة اكبر لمعارضي الدستور من تنفيذ مخططاتهم مما أثار هذا الموقف الرأي العام الإيراني[٣] . كما حاول ولي العهد محمد علي تحريف بعض بنود الدستور بحجة إجراء تعديلات ولكن موقف المثقفين ورجال الدين المجددين كان موحداً وصادقاً ولم يسمحوا له بتمرير هكذا مؤامرة[٤] .واخيراً لعب ورقة أخيرة مع المجلس عندما اقترح تشكيل وفد حكومي** ليمثل السلطة في مناقشة مواد الدستور، الذي اعد اخيراً وأصبحجاهزاً للمصادقة عليه من قبل الشاه[٥] .

وبالفعل تم التوقيع والمصادقة على دستور إيران في الثلاثين من كانون الأول عام ١٩٠٦م وفي اليوم التالي حملت اللجنة الحكومية الدستور الجديد الموقع إلى نيابة المجلس

١- ناصر نجمي ، المصدر السابق ، ص٣٣ .

* شبسال خان: واسمه الكامل سيرجي ماركو فييج شبسال الملقب (أديب السلطان) وهو من يهود شبه جزيرة القرم، خريج كلية العلوم الشرقية في بطرسبورغ ، يجيد اللغات العربية التركية الفارسية والفرنسية في عام ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠م عهدت إليه مهمة مستشار لولي العهد محمد علي وكان يتقاضى شهرياً مبلغاً قدره ستة عشر ألف روبل، وكان يحضر مع محمد علي شاه كل المناسبات والأحداث منها حضوره محاكمة الدستوريين بعد حل المجلس في مصيف باغشاه الملكي، ترك العمل مع الشاه وغادر إلى أملاكه ومزارعه في شبه جزيرة القرم عام ١٩٠٨م . للتفصيل ينظر : فاطمة معزي، شابسال (أديب السلطان) ، فصلنامة مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر إيران، شماره، نهم، سال ١٣٨٠هـ ، ص١٤ .

٢- مملكة إيران بين إنكلترا و روسيا ، الهلال (مجلة) ،المصدر السابق ، ص٢٦٩ .

٣- ناصر نجمي، المصدر السابق، ص١٣ .

٤- احمد كسروي، تاريخ مشروطة إيران، ص٢١١ .

** تألف الوفد من ثلاث شخصيات هي مشير الملك سفير إيران لدى روسيا، ومحتشم السلطنة سفير إيران لدى لندن وفريد السلطة سفير إيران لدى برلين . راجع: ناصر نجمي، المصدر السابق، ص١٣ .

٥- إدوارد براون ، تاريخ انقلاب إيران، ص٢٠٢ .

الوطني حيث استقبلوا بحماس كبير، شكرهم بعد ذلك نيابة عن المجلس النائب محمد تقي هراتي، وشكر الشاه على تعاونه لتحقيق أماني الأمة[١] .

في الثامن من كانون الثاني عام ١٩٠٧م وافت المنية شاه إيران مظفر الدين بعد معاناة طويلة مع المرض، وكان قد أوصى ولده محمد علي أن لا يقف ضد آمال الشعب وان يستهدف تأييد المجلس الوطني، وكان الموقف الشعبي هو حزن على ((أبي الحرية))* [٢] . في الثالث عشر من كانون الثاني عام ١٩٠٧ قام نواب المجلس بزيارة الشاه في قصره وقدموا له التعازي بالوفاة والمباركة بالعرش، إبداء لحسن النية من قبلهم تجاه الشاه، الذي حاول منذ البداية تجاهل واحتقار المجلس لكرهه له[٣] .

ففي بادرة خطيرة وتنم عن موقف عدائي، لم يدعوا نواب المجلس إلى حفل التتويج الذي أقيم يوم الثامن عشر من كانون الثاني عام ١٩٠٧ مما يعكس عدم احترام السلطة الحاكمة لممثلي الشعب[٤] .

وهكذا أصبح كل طرف يتحين الفرصة ليفتح نار المواجهة مع الآخر، لان الطرفان لا يلتقيان في المواقف والآراء وان المواجهة لا بد أن تحصل بينهم، لوجود بذور العداء عند الشاه في فترة المجلس الأول كان الانسجام مفقوداً بين القوة التنفيذية – الحكومة – وبين القوة التشريعية – المجلس – وذلك لان القوة التنفيذية التي مارست الاستبداد السياسي لفترة طويلة لم تستطع أن تكون أداة طيعة تحت سلطة الديمقراطية وشعبية المجلس، وبالمقابل فان الشعب لم يكن ليفقه الأسس الديمقراطية التي دخلته من خلال تطورات سريعة في الأحداث السياسية ثم إن طبقة المثقفين الذين حملوا لواء تحقيق الديقراطية كانوا سريعاً ما ينغمسون في الفردية والتقوقع السياسي الضيق .

والنواب أنفسهم ، كانوا يسعون في عملهم إلى تحقيق اكبر المكاسب للفئات التي يمثلونها، فالمثقفون كان عدد نوابهم تقريباً عشرون نائباً شكلوا ٢٠% من مقاعد المجلس،

١- حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص١٥٢ .
* أطلقت هذه التسمية على مظفر الدين شاه لانه منح الشعب فرمان المشروطية، وكان قد أوصى بان يدفن بكربلاء العراق، ولكن الإيرانيون رفضوا ذلك وقالوا: يجب أن لا يكون ضريح أبي الحرية خارج ارض إيران . ينظر : طلال مجذوب، المصدر السابق، ص١٩١ .
٢- المصدر نفسه، ص١٩٢ .
٣- ناصر نجمي، المصدر السابق، ص٤٥ .
4-History of Iran ((Constitutional Revolution))
شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع : w ww.Google.Com/iran

ومعظمهم جاء انتخابهم من قبل جماعات أخرى تنتمي اجتماعياً إلى الفئة المثقفة مثل التجار والحرفيين وبعض الأعيان[١] . والاختلاف الذي وقعوا فيه مع التيار الديني – المجددون او المحافظون – في أمور عدة منها حرية الصحافة التي تعني نشر الأفكار بمختلف التوجهات الفكرية ومنها الإلحادية والمنافية للإسلام، وفسح المجال لكل المغرضين و أعداء الدين بنشر سمومهم في المجتمع[٢] . وكذلك مسألة الحرية الدينية التي تعني تبني الأفكار الغربية، وخاصة مسألة فصل الدين عن السياسة مما يعني تحييد الدين وجعله في نطاق محدود جداً وان لا يكون له دور في حياة الفرد والمجتمع وتهميشه ، وهذا مخالف لرغبة التيار الديني[٣] . في مقابل ذلك أصر رجال الدين المجددون – وارضاءاً للأطراف المتشددة المحافظة – على طرح فكرة ان يكون هناك مجلس مصغر مؤلف من خمسة من كبار المجتهدين لهم حق الإشراف على مقررات المجلس و أعماله لكي لا يقع ما يتعارض مع الأحكام الشرعية[٤] .

وكانت هذه المسألة ضربة للمثقفين الليبراليين ونصراً لرجال الدين، ولكن المثقفين برروا ذلك وتغاضوا عنه ولو لفترة وجيزة باعتبار إنهم كانوا يطمحون بالأساس إلى تأكيد الحريات الأساسية للشعب والتخلص من النفوذ الأجنبي ولضمان الحد من قوة الشاه المطلقة وكبح جماح وزرائه[٥] . كما إن الدعوة إلى تأسيس الجمعيات النسوية و إعطائها الحرية المطلقة، مما يعني سلب المرأة الإيرانية لمعتقداتها الدينية والدفع بها إلى التحلل وإشاعة الفحشاء عبر الدعوات إلى السفور والاختلاط، في مجتمع تسوده علاقات دينية وإقطاعية[٦] .

وكانت صحف طهران قد ركزت في يومياتها على الجدل الدائر بين المثقفين ورجال الدين فورد في صحيفة اختر ((النجمة))مقالاً جاء فيه: ((**لان الحرية التي نسمع عنها ليست ذات معنى مطلق، أو إنها تعني إتيان الأعمال المنافية للأخلاق ، ليست الحرية أن**

١- فوزية صابر محمد ،دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٥٢ .
٢- علي اصغر حقدار، مشروطيت درنگاه وارونه ، ص١٨ .
٣- محسن حيدريان، المصدر السابق، ص١٥ .
٤- روزنامة حبل المتين، شماره ٤٦، (١٤ جمادي الأولى، ١٣٣٥هـ) .
٥- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٥٨ .
٦- عزت السادات ميرخاني، المصدر السابق، ص١٢ .

نقول ما نريد وان نعمل ما نشاء وان نقدم على أعمال خارجة على آداب الدين وأصوله وقوانين الإنسانية ، إن الحرية هي أن تحفظ المدنية والحضارة ونصوصها))[١] .

حتى إن حرية الصحافة لم تأخذ حقها بالشكل المرضي والمقنع، فقد كان من حق الصحفي حضور اجتماعات المجلس ، وتدوين المناقشات بدون تحريف، كما له الحق في نشر الموضوعات المفيدة، ومذكرات المجلس ، ومناقشاته التي تعود لفائدة عامة للشعب، على أن لا يخل بالأصول الأساسية للدولة أو الأمة وإلا فانه يقدم للتحقيق والمحاكمة[٢] . وقد أجيزت صحيفة واحدة هي مجلس التي منحت امتيازاً خاصا وذلك بإعفائها من الرقابة الحكومية[٣] .

ومنذ توليه العرش نذر الشاه محمد علي نفسه لمواجهة حاسمة مع الدستوريين، وما انفك يردد على مسامع مستشاريه عدم مسؤوليته عن متابعة خطأ ارتكبه والده في قبوله منح الشعب حكم الدستور[٤] . كانت مناسبة التتويج في الثامن عشر من كانون الثاني عام ١٩٠٧ نقطة بارزة في حالة الافتراق بين الشاه والمجلس وبداية التحدي العلني، ولاسيما مع إصرار الشاه على عودة الصدر الأعظم الأسبق – أمين السلطان – إلى إيران وهو المعروف بإقطاعيته وكرهه للشعب وإيمانه بالحكم الاستبدادي وتأييده للنفوذ الروسي في إيران[٥] .

كان الشاه لا يتوانى عن الافتخار والتعالي في نسبة وسمو ، وعلو عرشه عندما يذكر في مراسلاته انه السلطان ابن السلطان ... وان أجداده نالوا العرش بقوه السيف وحافظوا عليه بالسيف ايضا[٦] . في وقت يريد الدستور أن يحد من صلاحياته ، إذ لا يجوز له أن يحدد ميزانية الدولة ويشرع القوانين ، ويمنح الامتيازات ، ويعقد القروض ، ويبرم الاتفاقيات والمعاهدات من دون اخذ رأي المجلس وموافقته[٧] . ظل الشاه يثير المتاعب في وجه أعمال المجلس فتارة يمنع وزراءه من حضور جلسات المجلس ، وتقديم استجواباتهم، وأخرى يشجع نشر الفوضى وتشجيع التمرد والعصيان ، ليظهر الحكم

١- مهدي مجتهدي، المصدر السابق، ص٤٧ .
٢- زكي الصراف، المصدر السابق، ص٣٩٢ .
٣- المصدر نفسه، ص٣٩٣ .
٤- حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص١٥٥ .
٥- فوزية صابر محمد، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١ ، ص١٦٠ .
٦- طاهر البكاء، بعض من ملامح الثورة الدستورية ووقائعها، ص١٦٥ .
٧- طاهر البكاء، من تاريخ الحياة البرلمانية في إيران، ص٨٣ .

الدستوري وكأنه عاجز عن تأمين الاستقرار، ومن أساليبه الأخرى اللجوء إلى بعض رجال الدين المتعصبين الذين يخالفون الدستورية فكراً ونظاماً إذ سعوا في شباط ١٩٠٧ إلى إحداث فتنة تشكك بشرعية المجلس[١] . لكن المثقفين ورجال الدين المجددين وقفوا بوجه هذه المحاولة و أحبطوها من خلال توجيههم نداءات ، وبيانات تبين شرعية المجلس وانه الإرادة الحقيقية للشعب، وان الدستور هو المنهاج الفعلي لإنقاذ الأمة من مشاكلها[٢] . وضعت كل هذه الأحداث الشاه على أعتاب مواجهة فعلية مع الدستوريين ففي الثاني والعشرين من نيسان عام ١٩٠٧م كتب أحد المراسلين الأجانب في طهران ما يأتي (**يبدو الآن واضحاً انه يحاول كسب الوقت، ولسوء الحظ فان شكوك الشاه في المجلس تزداد واحتمال التوفيق أو التفاهم بين الطرفين يبدو متعذراً و أخشى إن التوفيق بين الاستبداد والديمقراطية يبدو محالا**)[٣] .

بعد إحباط محاولات الشاه محمد علي للنيل من المجلس والدستور، فكر في ضرب وتفريق صفوف الحركة الوطنية نفسها وإلهائها بخلافات جانبية ليتفرغ بعد ذلك إلى سحق الحركة الدستورية[٤] ، فعمد إلى استمالة بعض رجال الدين المؤثرين بحكم نفوذهم الديني – الاقتصادي، فكانت شخصية الشيخ فضل الله نوري* الذي اختلف مع البهبهاني والطباطبائي حول بعض بنود الدستور[٥] ، فقد اعتبر الشيخ فضل الله زعيم الجناح المحافظ المتشدد ، والمعارض لحركة المشروطية وبحكم مكانته الاجتهادية في الأوساط

١- قام بهذه المحاولة الشيخ زين الدين الزنجاني وسيد اكبر شاه واستطاعوا التأثير على بعض البسطاء وتجمع حولهما ٨٠ من أنصارهما واعتصموا في مسجد عبد العظيم وبعد ثلاثة أسابيع فشلت حركتهم بسبب عدم استجابة الجماهير لهما ، فأعلنا توبتهما وعادا إلى طهران بعد أن عفا عنهما المجلس. ينظر : طلال مجذوب، المصدر السابق، ص٢٠٠ .
٢- حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص١٦٠ .
٣- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٦٣ .
٤- ناصر نجمي، المصدر السابق، ص٤٩ .
* الشيخ فضل الله نوري: ابن ملا عباس نوري طبري من عائلة معروفة من مازندران، ولد في ١٢٥٩هـ / ١٨٤٢م درس العلوم الدينية بالنجف الاشرف، لعب دوراً سياسياً بارزاً في محاربة الاستبداد القاجاري وساهم في صنع الثورة الدستورية، كان له دور في المجلس وتشريع الدستور، ولكنه وقع في خلاف مع التيار الإصلاحي المجدد الذي اعتبره ابتعاداً عن الدين وانحراف عن الصراط و أيقن أن نواب المجلس بدأوا يميلون نحو روسيا او بريطانيا ، وإنهم بدأوا بترسيخ المفاهيم الغربية الإلحادية واعدم بعد محاكمة قصيرة، بعد دخول الثوار طهران فاتحين لإرجاع الدستورية في ١٩٠٩م . للتفصيل عن حياته ينظر: مهدي أنصاري، شيخ فضل الله نوري ومشروطيت، انتشارات أمير كبير، تهران ١٣٧٦هـ ،ص١٧٧ .
٥- مهدي ملكزادة، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران، جلد سوم، ص٥٩٠ .

الإيرانية إلى جانب السيد محمد كاظم اليزدي فقد اعتبروا الحكومة الدستورية حكومة غير شرعية[١] ، وإنها من نتاج غربي لا يمت إلى الإسلام بصلة ، وان نواب المجلس لا يهمهم ما إذا كانت قرارات المجلس متوافقة مع الشرع أم لا![٢] . كما اعتبر الثورة الدستورية بأنها الفتنة الكبرى لأنها تبنت الأفكار الغربية، ووقف الشيخ فضل الله بتحدٍ أمام أصحاب التجديد الذين حاولوا التوفيق بين أسس الشريعة والوضع السياسي، أمثال البهبهاني والطباطبائي[٣] .

تحرك الشيخ فضل الله نوري من طهران مع أتباعه البالغ عددهم خمسمائة نفر نحو الاعتصام بمرقد عبد العظيم شاه بعد حصولهم على دعم مادي من أمين السلطان يقدر بمائة جنيه إسترليني – وهو مبلغ كبير آنذاك - ، وبدأ بمخاطبة رجال الدين والوجهاء في المدن الإيرانية ولكنه لم يتلق استجابة منهم، بل على العكس فقد أعلنوا ولاءهم للمجلس والدستور[٤] دعا الشيخ فضل الله حركته باسم ((المشروعة)) أي غير مغتصبة وإنها البديل الصحيح لحركة المشروطة الباطلة التي تعتمد المفاهيم الوضعية وعلى قوانين يضعها البشر لا تستند إلى الشرعية ولان كل قانون وضعي بديل للقانون الإلهي فهو بدعه وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[٥] .

صحيح إن دعاة المشروعة لم يكن لهم تمثيل في المجلس الأول بشكل واضح لكن تأثيرهم كان واضحاً حتى من خارج المجلس، فالشيخ نفسه استطاع فرض الأصل الثاني المتمم للقانون الأساس المتمثل بتشكيل لجنة خماسية من كبار المجتهدين لمراقبة قرارات المجلس[٦] .

وقف الشيخ فضل الله في وجهدعاة المشروطة بقوة وعنف معللاً ذلك بقوله: ((**إن هؤلاء باستخدامهم كلمات مغرية من قبيل العدالة والشورى والحرية يريدون خداع المسلمين وجذبهم إلى الإلحاد .. وغيرها من الأعمال المنافية للإسلام حتى يترك الناس**

١- مهدي أنصاري، المصدر السابق، ص٣١ .
٢- المصدر نفسه، ص٧٧ .
٣- ف. و. ٤١٦/ ٣٣ آز نامة رايس به گراي، شماره ١٤٣ / ٣٦٠٣٠ ، قلهك ١٠/ يوليو/ ١٩٠٧ .
٤- احمد كسروي ، تاريخ مشروطه ايران، ص٣٧٨ .
٥- مهدي أنصاري، المصدر السابق، ص٨١ .
٦- عليرضا أوسطي، المصدر السابق، ص٣٦٧ .

الشريعة والقرآن))[١] . قام رجال الدين المجددون وعلى رأسهم السيدين البهبهاني والطباطبائي بمحاولات لثني الشيخ فضل الله عن مناهضة الدستور لكنه أصر على موقفه[٢] . بدأت الاتهامات تتصاعد بينهم ففي الوقت الذي يتهم فيه رجال الدين المجددون والمثقفون بأنهم عملاء للأجنبي وكفره الدين وإنهم خارجون عن ربقة الإسلام، بالمقابل فان رجال الدين المجددين رأوا في سلوك الشيخ مفسدة للدين وتحريضا على الاستبداد ويجب محاربته، فشنت الصحف وبتأثير وإيعاز من الشخصيات الدينية الكبرى والمثقفة حملة واسعة عليه وعلى أتباعه وصلت إلى حد المطالبة بإبعاده عن إيران واتهامه بالفساد والكفر[٣] ، و ((**لا ن نوري مُخل بالأمن فانه مُفسد وسلوكه يعُد حراماً**))[٤] ، كما ان ((**شيخ فضل الله مفسدٌ هو وأتباعه وان إبعاده إلى خراسان واجب على كل المسلمين**))[٥].

المثقفون لم يقحموا أنفسهم في هذا الصراع بوصفه شأناً يخص رجال الدين ، وفي الوقت نفسه يريد المثقفون وعلى رأسهم سيد حسن تقي زادة إضعاف جهة رجال الدين لترسيخ وجودهم ونفوذهم في المجلس[٦] . وقد عكس هذا الخلاف في وجهات النظر بعواقبه السلبية على رجال الدين في العراق، إذ برز تياران أحدهم مؤيد للمشروطية والآخر مؤيد للمشروعة ((المستبدة))[٧] . فأصحاب المشروطة كانوا يؤكدون شرعية الحكومة المشروطة مستندين بدلائل من الكتاب والسنة، فهم يرون ((**إن الحاكم الظالم الذي لا يفيد بدستور أو مجلس شعبي - برلمان - يغتصب أمرين معاً في آن واحد : حق الإمام الغائب*** ، **وحرية الناس، أما الذي يقيد بدستور ، ومجلس فهو يغتصب حق**

١- شفيق شقير، نظرية ولاية الفقيه وتداعياتها في الفكر السياسي الإيراني، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع:

www.albayant.org/fekir

٢- يحيى فوزي تويسرگاني، المصدر السابق، ص١٦٦ .
٣- مهدي انصاري، المصدر السابق، ص٨٧ .
٤- حبل المتين، شماره ١٩٥، ٢٦ ذي القعدة ١٣٢٥هـ .
٥- روزنامة مساوات، شمارة ١٧، سال أول ، ١٣٢٥هـ .
٦- يحيى فوزي تويسرگاني، المصدر السابق، ص١٧٨ .
٧- فريدون آدميت، انديشة هاي ميرزا فتحعلي اخواندزادة، ص٩٤ .

* حق الإمام الغائب، معناه إن الإمام الحجة هو الذي يجب أن يتولى أمور الدين والدنيا فالحكم الشرعي الوحيد هو الحامل لتلك الصفة عنه وعدم رضا هذا الإمام يعني انتفاء الشرعية تماماً عن السلطة السياسية، ولكن علماء الدين فترة الحكم الصفوي أمثال المحقق الكركي أجازوا=

الإمام وحده بينما يؤمن حريات الناس، لهذا يجب أن يظل حكمه هو المفضل طالما إن غيبة الإمام مستمرة))(١) .

فأنصار المشروطة لا يؤمنون بولاية الفقيه المطلقة، لأنه لا يوجد حاكم مثالي عادل فلهذا لا بد من تحديد صلاحياته بالدستور والقوانين ، وكل تلك المفاهيم حددها ونظر لها فيما بعد العلامة النائيني* ، الذي تعد نظريته في كتاب تنبيه الأمة وتنزيه المله وثيقة راديكالية نادرة وراقية بالغة التطور عن مدى نضج الخطاب الإصلاحي الإسلامي، وفيه رد واضح على أعداء المشروطة الذين استخدموا الدين وسيلة للتشكيك بها وسماهم المتعممين أو علماء السوء أو لصوص الدين(٢) . فالنائيني رجل الدين المجدد كانت كل أفكاره تتطابق مع أفكار المثقفين، إذ كان يؤمن بالديمقراطية التي لا تتعارض مع الأحكام الإسلامية و لاسيما مبدأ الشورى (٣) .

في الحادي والثلاثين من آب عام ١٩٠٧م وقعت حادثتان مهمتان ضمن سير الأحداث التاريخية لإيران تمثلت الأولى بإعلان الاتفاق الروسي - البريطاني** حول

=للسلطان –الشاه – الصفوي الحكم نيابة عن الإمام لكسب الشرعية والقانونية . للتفصيل ينظر: فيصل عبد الجبار عبد علي، المصدر السابق، ص١٢٦ .

١- شفيق شقير، المصدر السابق، ص٣ .

* النائيني: الميرزا محمد حسن بن عبد الرحيم النائيني النجفي، ولد عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٩م في مدينة نائيين وشرع بدراسة العلوم فيها، ومن ثم انتقل إلى اصفهان، وفي عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م هاجر الى سامراء ودرس على يد الشيرازي ثم إلى النجف، وعندما قامت المشروطية في إيران وقف بكل ثقله في دعم هذه الحركة وسخر لها قلمه وفكره في إثبات أحقية الملة – الشعب – الثورة وطلب الدستور وان الدستور لا يتعارض مع أحكام الشرع كما ادعى الاتجاه المحافظ، الذي رفض أفكار الثورة واعتبرها كفراً وخروجاً عن الإسلام أصدر عام ١٩٠٧، كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) وذلك في قمة احتدام الخلاف حول مفهوم المشروطة ، كما اصدر مؤلفات أخرى فقهية ، ثم ساهم في تاريخ العراق فترة الاحتلال البريطاني ونفي إلى إيران ليبقى عاماً كاملاً ثم يعود إلى العراق، توفي في النجف ودفن فيها وذلك في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٤١م عن عمر ناهز ٨٢عاماً . للتفصيل عن حياته ينظر: مهدي أنصاري، المصدر السابق، ص١١٤ .

٢- محمد جمال باروت، المصدر السابق، ص٩ .

٣- طالب محيبس الوائلي، المصدر السابق، ص٤ .

** جاء الإعلان عن المعاهدة بعد مداولات عدة بين البلدين لترسيم سياسة جديدة للبلدين تجاه مناطق آسيا المضطربة ويقصد بها (أفغانستان، الهند ، إيران، التبت) وقد وقعها وزير خارجية روسيا ايزولسكي ووزير خارجية بريطانيا سر آرثر نيكلسون، فيما يخص إيران فان المعاهدة قسمت إيران إلى ثلاثة مناطق نفوذ هي الأولى للنفوذ الروسي في الشمال، والثانية للنفوذ البريطاني في الجنوب والثالثة تكون محايدة فبريطانيا لا تريد التصادم مع روسيا على حساب فارس وروسيا ترى إن اتفاقها مع بريطانيا هو وضع حداً لنفوذ ألماني محتمل بالتوسع في مناطق الشرق ، كما إن روسيا أصبحت بحاجة إلى مساعدة بريطانيا بعد خسارتها أمام اليابان وقيام ثورة ١٩٠٥ الشعبية ضد سلطة القيصر، مقابل إن بريطانيا تريد حفظ مصالحها الاستعمارية في الهند . للتفصيل عن المعاهدة=

تقسيم النفوذ في إيران التي وقعها وزراء خارجية البلدين في العاصمة الروسية بطرسبورغ[١] .وقد أثارت هذه الاتفاقية غضب الرأي العام الإيراني بكل فئاته، فضلاً عن ان الاتفاقية ضرب لاستقلال إيران وانتهاكاً لسيادة بلد يتطلع نحو التحرر والانعتاق من سيطرة الاستبداد الداخلي والنفوذ الأجنبي، فانه يعني قيام تحالف ضد الثورة الدستورية[٢] . فالاتفاقية تكريس للأطماع الروسية في الأراضي الإيرانية، وإنها ستسعى إلى ضرب الحركة الوطنية الإيرانية لأنها اعتبرتها العائق الأساس أمام هذه الاتفاقية[٣] .

وقد عبر المثقفون والمجددون وباقي فئات المجلس عن استيائهم ورفضهم لهذه الاتفاقية ، ففي التاسع من أيلول عام ١٩٠٧م نشرت صحيفة حبل المتين مقالاً جاء فيه : ((**إن بريطانيا التي كانت تدعي حماية الثورة الدستورية لماذا لا تدع الشعب الإيراني وشأنه، والمثير إن روسيا تمنح بريطانيا حق فتح المنافذ التجارية بوجهها، مقابل فتح بريطانيا للمنافذ التجارية الجنوبية بوجه التجارة الروسية، فبأي حق يتم ذلك، ونحن ليس بأطفال ليقيموا علينا قيمومة، ولسنا بمجانين لتكون الوصاية علينا، كما يدعي مخبر الملك في المجلس بان إيران بحاجة إلى وصاية روسيا، إن هذا القول لمحض افتراء وتجني**))[٤] .

وكذلك عبر تقي زادة – زعيم الكتلة المثقفة في المجلس – حينما قال : ((**إن حقوق واستقلال إيران محفوظة، ولا يمكن لأي دولة نقض هذا الاستقلال ، عاشت إيران مستقلة**))[٥] .

المثقفون الليبراليون صدموا بالاتفاق الروسي – البريطاني لأنه عد ضربة غدر بظهورهم من قبل بريطانيا التي كانوا يسمونها أم البرلمانات وراعية الديمقراطية[٦] وها هم المثقفون يجدون آمالهم تتحطم ومشاعرهم تصدم ، فبريطانيا لم تنتهك استقلال إيران

=ينظر: روز لويس كريفس، المعاهدة الإنكليزية – الروسية بعض وجوهها ومدى تأثيرها على فارس ، ترجمة الدكتور محمد وصفي بومغلي، البصرة ١٩٨١، ص١٧- ١٩ .

١- سجاد راعي كلوجه، قاجارية – انلكستان وقراردادهاي استعماري، انتشارات مركز إسناد انقلاب إسلامي، تهران ١٣٨٠هـ، ص٣١ .

٢- ازيتا لقائي، بازتاب قرارداد ١٩٠٧ در مطبوعات فارسي، مجلة فصلنامة تخصصي تاريخ معاصر إيران ، سال هشم، شمارة ٢٩، بهار ١٣٨٣هـ، ص١٨ .

٣- محمد كامل محمد عبد الرحمن، سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١-١٩٤١، ص١٩.

٤- آزيتا لقائي، بازتاب قرار داد ١٩٠٧، المصدر السابق، ص١٩ .

٥- فضلعلي اقاتبريزي، بحران دمكراسي در مجلس أول، انتشارات مركز إسناد انقلاب إسلامي، تهران ١٣٧٣هـ، ص١٩ .

٦- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٦٥ .

فحسب، ولكنها تنكرت لها وطعنتها من الخلف حينما ساندت أعداء الدستور وخصومه، وعدوا الاتفاقية محاولة غير كريمة من روسيا وبريطانيا لتسوية خلافاتها على حساب إيران[١] ، ولأن الحركة الوطنية الدستورية أثبتت أصالتها، ولم تسمح لنفسها أن تحتوى وتسيس من قبل بريطانيا، فلذلك أدركت بريطانيا إن عليها أن تنسق جهودها مع روسيا من اجل تحجيم وضرب الثورة الدستورية[٢] . وهكذا بلغت مرارة المثقفين الذروة في تلك اللحظة لأنهم بصحوتهم على حقائق دامغة تمثلت في الاتفاقية،ومما تمخض عنها من نتائج فقد أدركوا بان الإنكليز كانوا يرون إنَّ مكمن الخطر الحقيقي لنفوذهم لا يكمن في اوتوقراطية القاجار المستبدة و إنما في أيديولوجية الدستوريين الجديدة[٣] . بالمقابل تصدى رجال الدين لهذه الاتفاقية فأصدروابياناً وقعه علماء النجف الاشرف ، وكربلاء وسامراء حثوا فيه الشعب الإيراني على الوحدة الإسلامية مع الدولة العثمانية من اجل الوقوف بوجه المؤامرات التي تهدد بتقسيم البلدان الإسلامية وان المعني الأكبر بهذه المخططات هي إيران والدولة العثمانية من اجل إضعافهما، وفرض واقع التجزئة والاستعمار عليها وشددوا على التضامن للوقوف بوجه الأخطار[٤] . أما الحدث الثاني فهو محاولة الشاه إعادة – أمين السلطان – إلى واجهة الأحداث السياسية ، وهو الذي يتوجس منه الوطنيون خيفة في أن يتمكن من ضرب الثورة ومكتسباتها ولاسيما انه استطاع أن يحصل على بعض المؤيدين له من داخل صفوف المجلس[٥] . فكان مقتله في اليوم نفسه الذي أعلنت فيه الاتفاقية الروسية – البريطانية على يد المجاهد عباس اقا بن الحاج محمد اقا الأذربيجاني* ، عندما كان خارجا من بناية المجلس بعد أن ألقى كلمة

١- المصدر نفسه، ص١٦٥ .

2- I. Klein, British Intervention in the Persia revolution 1905- 1909 ((the Historical Journal)) London, vol. xv, no 4, 1972, P. 27.

٣- فوزية صابر محمد، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٦٥ .

٤- إيران نو، شمارة شصت ويك، سال دوم، ١ محرم الحرام ١٣٢٩هـ .

٥- صور اسرافيل ، العدد١٢،٥سبتمبر ١٩٠٧ نقلا عن طلال مجذوب ،المصدر السابق ،ص٢٠٩.

* أكدت المصادر على شخصية عباس اغا وهو صيرفي تركماني من أذربيجان وكان عضوا في الجمعية الثورية السرية ويحمل الرقم ٤١ ، ولكن بعض المصادر تلوح إلى جهات أخرى في مقتل أمين السلطان ، مثل الإنكليز الذين لهم مصلحة في قتله باعتباره رجل روسيا الأول في إيران وكذلك أوعزوا قتله بدوافع من الشاه نفسه الذي خاف من نفوذه وتصادم مصلحته مع الشاه في مسألة تعني الوزراء او السياسات والقرارات الخاصة بأمور الدولة العليا، كما عد البعض إن خلافه مع بعض الشخصيات الحكومية النافذة مثل مفاخر الملك وموقر السلطنة وكذلك بسبب سجنه إلى بعض الشخصيات المهمة مثل رحيم خان جليبانلو ، وهكذا رغم تعدد الأسباب والدوافع فالمؤكد إن أمين=

وضح فيها موقف الشاه والحكومة من الأحداث الداخلية [١]. كان اغتيال أمين السلطان نجاحا للحركة الوطنية وإضعافا لموقف الشاه ، فقد أقيمت الاحتفالات العلنية بمقتله رغما عن السلطة التي لم تتمكن من إقامة تشييع رسمي له [٢].

في الحادي عشر من أيلول عام ١٩٠٧ م تقدمت روسيا وبريطانيا بمذكرة رسمية إلى حكومة الشاه ، توضح فيها الأسباب الكامنة وراء عقد معاهدة بطرسبورغ ، وإنهما تتعهدان بالمحافظة على وحدة أراضي إيران واستقلالها ، غير إن نواب المجلس رفضوا قبول المعاهدة وقد عكس هذا الرفض وحدة مواقف كل فئات المجلس من مثقفين ورجال الدين وتجار وملاكين [٣]. في هذه الفترة حصلت تغيرات سياسية في المجلس ، إذ اعفي صنيع الدولة من مهامه وانتخب بدلا عنه احتشام السلطنة [٤]. بعد أن هدأت الأزمة التي آثارها رجل الدين المتشدد فضل الله نوري الذي أنهى إضرابه – اعتصامه – وعاد أتباعه من قم – اتجهت القوى الوطنية للتفكير بإيجاد حكومة وطنية تستطيع ان تقوم باستيعاب مشاكل المرحلة وحلها بما يخدم التوجهات الوطنية وان تحقق الانسجام التام بين المجلس والحكومة [٥].

ولحراجة الموقف آنذاك فقد رفض كثير من الساسة منصب رئاسة الوزارة ، إلى أن استطاع الشاه تكليف مشير السلطنة * بمهام الحكومة ، وأراد الشاه استغلال ضعفه ليكون أداة يمرر من خلالها سياساته تجاه تحديد صلاحيات المجلس وبالتالي ضربه [٦]. بقيت

=السلطان قتل بيد عباس الصيرفي وتبقى الجهة التي تدعمه مجهولة . راجع: إبراهيم فخرائي ، كيلان درجنبش مشروطيت ، انتشارات فرانكلين ، جاب دوم ، تهران ١٣٥٣ هـ،ص٧١ .
١- حسين ناظم ، روس و انكليز در إيران (١٩١٤ – ١٩٠٠) ، ترجمت فرامرز محمد بور ، انتشارات مركز إسناد انقلاب إسلامي ، جاب أول ، تهران ١٣٨٠ هـ ، ص٤٣ .
٢- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص.٢٠٩

3-I.Klein , OP.Cit , P.39 .

٤- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران ، ص٤٨٠.
٥- مهدي أنصاري ، المصدر السابق ، ص٦٥ .
* مشير السلطنة : الميرزا احمد خان من مواليد ١٨٤٣م تسلم عدة مناصب حكومية منها وزير المالية للفترة ١٨٩٧م / ١٩٠٥م ثم وزارة الداخلية وتسلم العدلية من ١٩٠٦ / ١٩٠٧كان ملماً باللغات الأجنبية والعلوم والمعارف ، وكان يكره الغرب ، وله موقف من التيار الإصلاحي في إيران، إذ انه من العناصر الرجعية التي ترفض إدخال الإصلاحات إلي إيران ، فلهذا كان موضع قبول وتقدير الشاه و إعطاء منصب رئاسة الوزارة في فترة خطط الشاه لضرب الحركة الوطنية في إيران ، عندما تسلم رئاسة الوزارة كان له من العمر ٦٤ عاما . انظر : حسن معاصر ، تاريخ استقرار مشروطيت در إيران ، جلد أول ، انتشارات ابن سينا ، تهران ١٣٥٣هـ ، ص٤٤٠.
٦- احمد كسروي ،تاريخ مشروطة إيران ، ص٤٨٣ .

القوى الوطنية بمختلف اتجاهاتها تسعى من اجل إتمام المصادقة على بنود ملحق الدستور الذي اعد منذ أشهر ، فالشاه كان يحاول خلق العقبات السياسية والقانونية للحؤول دون إنجازه ، في حين كانت القوى الوطنية – المجلس – تظهر التعاون والود نحو الحكومة ، من اجل تهدئة الأوضاع لتحقيق اكبر المكاسب [١]. وفي السابع من تشرين الأول عام ١٩٠٧م اقر الشاه ملحق الدستور المتكون من ١٠٧ مادة لتصبح مواد الدستور ١٨٦ مادة بعد أن كانت ٥١ مادة [٢].

كانت معركة الدستور إن صح التعبير من أهم المحطات التاريخية في حياة الثورة الدستورية ، لان هذه الثورة قامت من اجل هدف واحد كبير ألا وهو إقرار دستور يكفل الحريات ، ويحدد العلاقة بين الشعب والحكومة ، ويضمن حقوق الأمة ، وامتازت معركة الدستور بأنها جرت على جبهتين رئيستين الجبهة الأولى مع السلطة الرجعية - الشاه ، الحكومة - التي حاولت فرض إرادة الاستبداد على إرادة الشعب ، والجبهة الثانية وهي الأخطر فكانت بين القوى القائمة بالثورة فرغم وحدة الهدف وهو إقامة المجلس وصياغة الدستور ، إلا إن أساليب واليات تحقيق ذلك كانت متباينة في الفكر والأسلوب ، فكان اختبارا صعبا لكل الأطراف والقوى والشخصيات ، وفي الوقت نفسه وضعت البلاد على حافة حرب داخلية ، لولا حكمة الحكماء وعقلانية الشخصيات الفكرية والدينية التي صاغت دستورا توافقيا استطاع أن يحقق أماني وطموحات كل من المثقفين ورجال الدين، بل السلطة الحاكمة نفسها التي قبلت بنود الدستور لانه بالنتيجة لا يمس مكانة وسلطة الشاه ولا يدعو إلى نسف النظام الشاهنشاهي و إقامة حكم أو نظام بديل .

١- فضلعلي اقاتبريزي ، المصدر السابق ، ص٢٢ .
٢- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢١٥ .

المبحث الثالث
ضرب المجلس وتعطيل الدستور

بعد إقرار الدستور من قبل الشاه مكرها ، بدأ التخطيط المنظم لضرب الحركة الدستورية وإنهاء عمل المجلس ، وقد حاول الشاه محمد علي اللعب واستغلال كل مواطن الضعف في جبهة خصومه للنفوذ من خلالها لأضعافهم و إنزال الضربة القاصمة بهم .

استهل الشاه سياسته الجديدة ان استدعى نواب المجلس وحذرهم من حالة الفوضى التي تسود البلاد التي عزاها إلى الجمعيات التي تشكلت لتواكب مرحلة الدستور ، إذ عدها- الشاه - السبب الرئيس في التدخل في شؤون المجلس والحكومة [١]، و أمهلهم – نواب المجلس – أربعة أيام وإلا سوف يقدم على إجراءات لإصلاح الحال وإنهاء الفوضى، بالمقابل كان نواب المجلس يرون ان القضاء على الفوضى هو من اختصاص الحكومة ، وان الدستور كفل الحريات لعمل الجمعيات [٢]. وقد عهد محمد علي شاه برئاسة الوزارة إلى وزير المالية السابق (أبو القاسم قراكوزلوخان ناصر الملك الهمداني)*، فقد قام الشاه بالذهاب إلى المجلس واقسم على القران الكريم بالمحافظة على الدستور [٣].

انتعشت آمال المثقفين والوطنيين بعد تشكيل حكومة ناصر الملك ، لكونه ذا ميول تحررية ويعد ضمن المثقفين ، ولكن دسائس الشاه لم تجعله يفلح في عمله في ضبط الأمور ، فلجأ الوطنيون إلى تعبئة أنفسهم تنظيميا وعسكريا لعلمهم بنوايا الشاه ضدهم[٤].

١- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران ، ص٥١٤ .
٢- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٢٣ .
* المولود في همدان سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣١م ، درس في لندن ثم عاد للعمل بصفة مترجم في البلاط تقلد مناصب وزارية ونظرا لآرائه الليبرالية ، فقد اتخذ جملة تدابير إدارية ومالية لم ترض الشاه منها قطع رواتب زوجات الشاه ونسائه الأخريات ، حاول الشاه قتله لولا تدخل السفير البريطاني وإنقاذه . راجع : عليرضا اوسطي ، المصدر السابق ، ص٣٤٨.
٣- محمد وصفي بو مغلي ، إيران دراسة عامة ، ص٢٨٧.
٤- مهدي مجتهدي ، رجال أذربيجان در عصر مشروطيت ، انتشارات زرين ، تبريز ١٣٢٧هـ ، ص٢٩١.

كان التصادم واقع لا محالة بين الشاه والمجلس لتضارب استخدام الصلاحيات لكل منهم ففي الوقت الذي يصدر المجلس قرارات تحديد الرواتب للشاه ورجالاته ، كان الشاه يحرض جنود البلاط على التظاهرات ، لان المجلس بدأ بإنقاص رواتبهم الشهرية ، مما دفعهم إلى الاجتماع والتنديد بالشاه والمجلس معا [١]. كان الشاه قد نجع في دفع هذه العناصر المسلحة وغيرها من رجال الدين المحافظين الذين يقود خطهم الشيخ فضل الله نوري إلى المواجهة مع جموع الشعب وأعضاء و أنصار المجلس ، وبدأوا ينادون بإسقاط المجلس وإلغاء الدستور من خلال هتافهم ((**نريد دين النبي ، لا الدستورية**))[٢]. أوصل الشاه الأوضاع إلى المواجهة بين فريقين من الجماهير فريق داعم للدستور وآخر رافض ، حتى أصبحت بوادر الحرب الأهلية واضحة للعيان ، بعد تشنج الأوضاع عندما بدأ الوطنيون يتجمعون حول بناية المجلس ، إذ بلغ عددهم أكثر من ألفي وسبعمائة مسلح والباقي مجردين من السلاح [٣].

بات المثقفون يعون لما يجري وما يدبر له الشاه فعمدوا إلى توثيق الصلات مع الجمعيات على مطاليب يرون إنها حلا لمشكلة العلاقة بين الشاه والمجلس ، ومن هذه المطاليب إبعاد العناصر المحيطة بالشاه التي هي مركز إثارة كل المشاكل [٤].

تحرك المثقفون هذه المرة بفاعلية فاقت دور رجال الدين المجددين ، فقد بدا ملك المتكلمين حملة توعية لدور الشاه التدميري ، وفي خطبة له في جمعية دروازة قزوين بطهران قال : ((**أيها الأشخاص الذين تتجسسون وتنقلون الأخبار للبلاط ، قولوا للشاه عني ، بدلا من تصديقك لأقوال الواشين واستماعك لنصائح الأجانب الذين لا يريدون إلا سوء الحظ لإيران ، عليك أن تعتبر من سيرة الأولين ، وان تقرأ تاريخ الثورات والنهضات العالمية ، حيث لا قوة إلا قوة الخالق ، وان بقاء استقلال ورقي شعب إيران لا يقام إلا تحت لواء الدستور واحترام القانون ، وغير ذلك يعني زوال عرشك ونهاية إيران**)) [٥].

١- ناصر نجمي ، المصدر السابق ، ص١٠٢ .
٢- مهدي ملكزاده ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد جهارم ، ص٢١١.
٣- علي اصغر حقدار ، المصدر السابق ، ص١٨ .
٤- إبراهيم فخرائي ،كيلان درجنبش مشروطيت ، ص٧٨ .
٥- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد جهارم ، ص٢٢٠ .

زاد الشاه من مضايقته للمجلس الذي لم يدع مناسبة إلا وحاول إصلاح الأمور مع الشاه والحكومة ، لان أي تأزم في الأوضاع ينعكس سلبا على الحركة الدستورية الناشئة وغير المكتملة إن صح التعبير ، فهذه التجربة الفتية ما زالت تحاصرها الأخطار والمؤامرات [١]. قام الشاه بحبس رئيس جمعية دروازة قزوين، وطرد ثمانية من أعضاء المجلس ومن الشخصيات المثقفة والمسئولين عن تحرير الصحف مثل محمد رضا مساوات ، وملك المتكلمين [٢].

توترت العلاقة أكثر بين أنصار الشاه والجماهير الإيرانية المؤيدة للمجلس والدستور، إذ زادت المظاهر المسلحة من قبل الجماهير الثائرة ، وبدأت الاستعدادات لمواجهة عسكرية يعد لها الشاه بدقة وعقلانية دون اعتبار لكرامة وقدسية المجلس [٣]. تحرك وجهاء المجلس و أصحاب النفوذ القوي فيه مثل آية الله البهبهاني ، والسيد حسن تقي زادة، وحذروا من اقدامات الشاه المشجعة للحرب الأهلية منها الشعارات المضادة للدستور وقتل بعض أنصار الدستور من ضمنهم امرأة [٤]. شدد المؤيدون للحركة الدستورية على جملة مطاليب وجب تحقيقها لتهدئة الأوضاع منها طرد العناصر المهيج للفتنة والمقربين من الشاه مثل : أمير بهادرجنك قائد الحرس الملكي [٥].أيقن الشاه إن المعركة التي يخوضها خاسرة ، لقوة حركة الجماهير الملتفة حول الجماهير والدستور ، التي كانت تتزايد يوما بعد يوم [٦].

فقد انذر علماء النجف الشاه من مغبة العواقب الوخيمة لتصرفاته وبعث المجتهدون العظام رسالة جاء فيها ((**إن الأمة الإيرانية الإسلامية التي اختارت الدستور وضحت من اجله ، لا يمكن لها أن تفرط به بمجرد دسيسة أو مؤامرة**))[٧] وكذلك تحركت جمعية تبريز نحو الولايات الإيرانية وعلماء النجف الاشرف ، وأعلنت إنها لم تعد تعترف بمحمد

١- إبراهيم فخرائي ،كيلان درجنبش مشروطيت، ص٧٨.
٢- ازيتا لقائي ، روشنفكران ومشروطيت ، فصلنامة مؤسسة مركز مطالعات تاريخ معاصر إيران ، شمارة بيستم ، سال ١٣٨٠ هـ ، ص٩ .
٣- إبراهيم فخرائي ،كيلان درجنبش مشروطيت ، ص٨١ .
٤- احمد كسروي ،تاريخ مشروطة ايران ، ص٥٨٨ .
٥- اقاي بابك أمير خسروي ، مسئلة ملي ، مجلة إيران امروز ، شمارة ٤٥١ ، سال دوازدهم ، ١٣٧٠هـ ،ص٩ .
٦- فضلعلي اقا تبريزي ، المصدر السابق ، ص٣٤ .
٧- ناصر نجمي ، المصدر السابق ، ص٦٩.

علي شاه ملكا على إيران ، فأذعن الشاه أخيرا للمطاليب الشعبية ليهدأ الأمور التي لا تخدم موقفه السياسي الحالي ، على أمل جولة جديدة من التآمر للقضاء على الدستوريين[١]، ولكن الجماهير المعتصمة حول المجلس رفضت الانصراف ، لعدم ثقتهم بالشاه ولبيان قوة موقفهم رغم الاستجابة لمطاليبهم ، وكانت مناسبة لتوحيد الكلمة والصف بين اتجاهات المجلس ، في النهاية اضطر الشاه إلى الإذعان للواقع السياسي المتأزم فأمر (نظام السلطنة)* بتشكيل الحكومة وطلب إصلاح الوضع بينه وبين القوى الثائرة وبذلك خمدت الفتنة[٢] .

كانت طهران سابقاً هي كل إيران، إلا إنها لم تعد كذلك منذ أمد، وان كانت هي التي فجرت الثورة ، فان رشت ، وأصفهان و تبريز هي التي غدت حامية الثورة والمدافعة عنها[٣] . في باكو كانت هناك جمعيات تعمل ضد سياسة الشاه ولها ارتباطات مع جمعيات طهران وتبريز، ووصلت إلى قناعة إن استقرار الدستور ونجاح الثورة يتطلب القضاء على رموز النظام القاجاري[٤] ، لهذا وضعت الخطط ودربت العناصر الفدائية للقيام بهذا العمل، فقد رأت في اغتيال أمين السلطان – رئيس الوزراء السابق – بداية لعمل اكبر وهو اغتيال الشاه[٥] . كُلف حيدر خان اموغلي** بتنفيذ العملية، فحاول اغتياله يوم

8-Abraham Yeselson , united states – Persian Diplomatic relation 1883-1921, Rutgers university , 1959 , P.91.

* نظام السلطنة: وكان من أثرياء إيران المشهورين، وكانت معظم أملاكه تتركز في مناطق الجنوب وخاصة على ضفاف الكارون، ويملك أشهر مراكز البرق والبريد في إيران مثل مكاتب خوزستان، فارس، لرستان، واذربيجان ، وقد أصبححاكماً لولاية فارس في أيلول / ١٩٠٦ زيادة على كونه من كبار الملاكين فانه صاحب نفوذ سياسي في إيران كلها والمنطقة. ينظر: حسن معاصر ، المصدر السابق، ص٦٩٢ .

1-Zafar Bangash, The Tabacco and constitutional uprisings, Muslimdia, August, 1999, P. 15.

٣- فوزية صابر محمد، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٦٩ .

٤- شمس دارنيا، عياران أذربيجان در دوران مشروطيت، ويزه نامة ماهانه سياسي اجتماعي فرهنگي، شبكة نورآمد، تبريز ١٣٨٣هـ ، ص٤ .

4-Abraham Yeselson. Op. Cit, P. 93.

** مهندس كهرباء أصله أذربيجاني، من عائلة تعمل في مجال الطب، انضم مع أخيه ناريم ناريمانوف إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي في القفقاس، ساهم في تشكيل مجموعة – ٥٣ عضو الفدائية، من المتشددين في نصرة الدستور، عمل ضد الشاه في جمعيات سرية كلف باغتيال الشاه، والقي القبض عليه ثم أفرج عنه تحت الضغط الشعبي القوي، بعد ضرب المجلس انتقل للعمل في مناطق الشمال فعمل في ثورة كوجك خان ((ثورة الغابة)) من المؤسسين للحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي أصبح فيما بعد الحزب الشيوعي – توده – قتل بعد فشل ثورة الغابة في منطقة گيلان. للتفصيل : حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص١٩٦ .

الخامس عشر من شباط عام ١٩٠٨م لكن العملية فشلت، فخطط لعملية ثانية، في وقت كان يتلقى توجيهاته من السيد حسن تقي زادة فقد كلفت معه مجموعة مؤلفة من ستة أشخاص[١] .وفعلاً تمت المحاولة يوم الثامن والعشرين من شباط عام ١٩٠٨م عندما ألقيت على موكب الشاه قنبلتان لم تصبه لفارق المسافة بينهما، ونتج عن الحادث مقتل أربعة من مرافقيه وجرح ثمانية[٢] . على اثر هذه الحادثة اتخذ الشاه سلسلة إجراءات منها، تشديد حالة الطوارئ في العاصمة مع إغلاق المحلات والمرافق العامة، وقد أرسل الشاه مجموعة برقيات إلى المدن الإيرانية يعلن فيها نجاته من هذه المحاولة، ويتوعد الجناة بالعقاب[٣] . المجلس من جانبه حاول تهدئة الأوضاع لئلا تكون ضده فقد ابرق للشاه مهنئاً بسلامته وحضر وفد نيابي من المجلس يعلن الولاء والمودة للشاه، كما قام بحملة واسعة لإظهار مظاهر الفرح بمناسبة نجاة الشاه[٤] . اضمر الشاه الحقد والضغينة للمجلس ولأنصار الدستور، إذ رأى إن المجلس لم يقم بواجبه بشكل صحيح في القبض على الجناة الذي هو أصلاً من اختصاص الحكومة حسب رأي نواب المجلس[٥] .

اعد الشاه لجولة جديدة من الصراع مع المجلس – القوى الوطنية –مستخدماً هذه المرة إرهاب الدولة فقد أوعز إلى رئيس الشرطة والى حاكم طهران بشن حملة واسعة لاعتقال من يشاءون، ومحاكمتهم في محاكم خاصة في إحدى قاعات القصر[٦] .

أثار هذا التصرف القوى الوطنية التي بدأت تندد بهذه الممارسات وتصفها بأنها تجاوز على صلاحيات الوزارات المختصة كالداخلية والعدل، كما أثارت هذه الإجراءات بعض الوزراء الذين هددوا باستقالتهم وبالفعل قدم البعض استقالتهم ، لكن الشاه رفضها لكي لا يضعف موقفه تجاه المجلس[٧] .

طالت حملة الاعتقالات العديد من العناصر الوطنية والثورية التي كانت تحت مراقبة السلطات منذ أمد، ومنهم المتهمين بمحاولة الاغتيال مثل حيدرخان عمو اوغلي

١- داريوش قمري، المصدر السابق، ص٣٧١ .
٢- برويزا فشاري، المصدر السابق، ص١٣٠ .
٣- شمس دارينا، المصدر السابق، ص١٣ .
3-Negin Nabavi, Iran revolution, Iranian studies, vol. 32, no 3, summer 1999, P. 336.
4 -I bid, P. 350.
٦- روزنامة صور اسرافيل،تهران ، شماره ٣٥، ١٣ مارس ١٩٠٨.
٧- احمد كسروي ، تاريخ هيجدة سالة، جلد دوم، ص٥٥٠ .

ورفاقه اذ اضطرت السلطات الإيرانية وتحت الضغط الشعبي وتطبيقاً لقانون الامتيازات للرعايا الأجانب - الكابيتولاسيون - إلى تسليمهم إلى السفارة الروسية باعتبارهم يحملون الرعوية الروسية[١] .

نتيجة للموقف المتأزم فقد استقال رئيس الوزراء نظام السلطنة، لسوء تصرف الشاه في حل أزمات البلاد، وسعيه – الشاه – في دفع الأمور إلى التعقيد وتوسيع هوة الخلاف مع المجلس و الأمة الإيرانية ، وفي الوقت نفسه استقال رئيس المجلس احتشام السلطنة وانتخب بدلاً عنه ممتاز الدولة[٢] .

وفي سياق متصل بهذه الأحداث اجتمع أمراء الأسرة القاجارية واقروا بأخطاء الشاه وطرحوا عليه حل أصل المشكلة وهي طرد ستة من العناصر الرئيسة الملتفة حوله والتي تسعى دوماً إلى إثارة الفتن والمواجهات مع قوى الشعب[٣] .

لكن الشاه كان مصراً على المضي في سياسته المعادية للشعب، فهاجس المجلس والدستور يؤرقه بشكل جعله يعد كل الخطط والمحاولات لإنهائهم من الحياة السياسية ، منذ بداية حزيران ١٩٠٨ بدأ الشاه بتنفيذ المرحلة الأخيرة من مؤامرته ضد المجلس، إذ قرر أخيراً ضرب المجلس بشكل موجع لينهي به هذا الكيان السياسي الذي طالما وصفه بالعدو الأول، فكان هذه المرة الخيار العسكري، لذلك كان لا بد من تهيئة الأجواء المناسبة لضربه، وإيجاد المبررات المسوغة لهذه الخطوة الخطيرة .

ولتنفيذ هذه الخطة المحكمة كان لا بد للشاه من ترك العاصمة طهران ليدبر الأزمة من قصره الصيفي في منطقة باغشاه، فقد ادعى الشاه انه لا يطيق حرارة وطقس مدينة طهران فعليه أن يكون خارجها لحين، ولكن طريقة خروجه كانت مثيرة للأنظار، فقد احدث رعباً وصخباً عند خروجه[٤] . وكذلك بدأت قواته الخاصة – القوزاق – بتيسير دوريات قامت بأعمال نهب و اعتقالات ومصادرة أسلحة، واحتلال لمكاتب البرق وقطع طهران العاصمة عن باقي الأقاليم الإيرانية[٥] . وفي الثامن من حزيران عام ١٩٠٨م

١- محمد علي جلونگر، المصدر السابق، ص١٤٥ .
٢- باقر عاقلي، خاندان حكومتگر ايران (قاجارية – بهلوية) ، جاب أول، كتابخانه ملي إيران ، تهران ١٣٨١هـ، ص٢٠٥ .
٣- إدوارد براون، تاريخ انقلاب ايران، ، ص١٨٤ .
٤- باقر عاقلي، المصدر السابق، ص٢٠٧ .
٥- ناصر نجمي، المصدر السابق، ص٩٧ .

اصدر الشاه بياناً بعنوان طريق نجاة و أمل الأمة لمح فيه إلى إمكانية القيام بأي عمل من اجل كسب الصراع، وبعد يومين رد عليه الوطنيون ببيان مضاد تحت عنوان جواب من شعب إيران ردوا فيه على تخر صات الشاه ، طلبوا فيه ممن لم ير الشعب شيئاً من خير، أن يعفيه من شره على الأقل[١] . تحرك المثقفون مرة أخرى تجاه مناورات الشاه، وبدأوا بإلقاء الخطب في المساجد والميادين العامة ومنهم ملك المتكلمين وسيد جمال واعظ[٢] . كذلك حذر رجال الدين المجددون في برقيات لهم إلى المدن الإيرانية ، من اقدامات الشاه التي تدل على نية سوء واحتمال تعرض الحركة الوطنية لهزة كبيرة[٣] . اهتزت مشاعر الوطنيين لهذه الحملة التي قادها المثقفون ورجال الدين، وتجمعوا حول بناية المجلس معلنين بذل أرواحهم في سبيل المجلس وسلطة الدستور ، وبلغ عددهم عشرة آلاف معتصم، في وقت نشر فيه الشاه مدفعيته حول ضواحي طهران[٤] . رغم بعض المساعي التي قامت بين الشاه والمجلس غير إن الأول كان مصراً على مطاليب تحقق له الحكم المطلق كوضع قوات الجيش تحت إمرته وحقه في اتخاذ أي قرار عسكري دون مشورة المجلس أو وزارة الحربية، وهي آليات تساعد على مسكه لأمور البلد بشكل استبدادي ومطلق، لكن نواب المجلس رفضوها جملة وتفصيلاً[٥] . عندها قام بمحاصرة بناية المجلس بقوات خاصة مدربة من القوزاق بقيادة الكولونيل لياخوف (Col. Liakhov)* قدر عددها بألف جندي[٦].

١- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص٢٣٩ .
٢- إدوارد براون، تاريخ انقلاب إيران، ، ص٤٩٩ .
٣- المصدر نفسه، ص٥١٤ .
٤- فريدون ادميت،فكر ازادي ومقدمة نهضت مشروطيت ، ، ص٢٣٣.
٥- سيد مصطفى تقوي، علماء ومشروطة، فصلنامة مؤسسة مطالعات إيران، شماره هفتم، سال ١٣٨٠هـ ، ص٩.
* الكولونيل لياكوف: ضابط روسي انتدب العمل كقائد لفرقة القوزاق الروسية المسؤولة عن حماية أمن الشاه، عين حاكماً عسكرياً على طهران أبان ضرب المجلس (حزيران – ١٩٠٨) عندما قام بقصف المجلس بالمدفعية والهجوم عليه وقتل واعتقال نواب المجلس، وبعد فتح طهران في ١٩٠٩ على يد الثوار وقع أسيراً بيدهم ولكن وساطة السفير الروسي أفلحت في إنقاذه و إخراجه من إيران ويقال انه طلب العفو عن أفعاله الإجرامية بحق الشعب الإيراني، ثم عاد إلى الجيش الروسي وعمل في جبهة بلجيكا مع الجنرال دينيكين، وقتل هناك في عام ١٢٩٩هـ/ ١٩٢٠م . راجع: رضا داد درويش، دخالت هاي انكليس وروسية در إيران، انتشارات زرين، تهران ١٣٧٩هـ، ص١٦- ١٧ ؛ حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص١٩٩ .
٦- المصدر نفسه ، ص١٩٧ .

في وقت كان نواب المجلس وزعماء الثورة و أنصار الدستور قد تجمعوا في بناية المجلس، وفي الوقت نفسه انضم إليهم السيدان البهبهاني والطباطبائي ليعلنان تضامنهم وتحمل كل العقبات أسوة معهم ، وليلة قصف المجلس خطب السيد عبد الله البهبهاني في جموع المحتشدين قائلاً : ((**انصرفوا انتم إلى بيوتكم و أعمالكم إن الشاه يقصدنا نحن ونحن نقصده، وان كل من يبقى هنا سوف يقتل، فتعالت أصواتهم مرة واحدة ، بأنهم باقون تحت إمرتكم ولن نتخلى عنكم ونحن حاضرون لأي مصير، ولن نترككم**))[١] . وفي مسعى لتخفيف حدة المواجهة طلب السيد البهبهاني مقابلة الكولونيل لياخوف لاطلاعه على خطورة العمل العسكري، ولكن لياخوف رفض عرض السيد البهبهاني[٢] . نفذ الشاه خطته في يوم الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٠٨م و أمر قوات لياخوف بقصف بناية المجلس والمباني المجاورة له لإيقاع اكبر الخسائر في صفوف الوطنيين وأعضاء المجلس، ورغم مقاومة جبهة المجلس، إلا إن المعركة كانت غير متكافئة عدة وعددا، لهذا كانت الغلبة لقوات الشاه التي حولت بناية المجلس إلى أنقاض[٣] .

تشتت القوى الوطنية بعد الضربة الموجعة التي تلقتها، فألقي القبض على السيدين البهبهاني والطباطبائي بعد محاصرتهم في منزل مجاور للمجلس، ومن ثم اقتيدوا إلى حديقة القصر في باغشاه في معتقل مؤقت[٤] . أما مصير باقي الوطنيين فقد افلح ممتاز الدولة رئيس المجلس ومعاونيه في اللجوء إلى السفارة الفرنسية، وفر السيد حسن تقي زادة مع أربعين من رفاقه إلى مبنى السفارة البريطانية ، وفر بعض منهم إلى السفارة العثمانية أو إلى المراقد المقدسة مثل مرقد سيد عبد العظيم[٥] ، وتمكن السيد محمد رضا مساوات من الهرب إلى باكو، والسيد يحيى دولت ابادي إلى اسطنبول، وهرب السيد جمال الدين واعظ إلى مدينة بروجرد وهناك القي القبض عليه واعدم، وكذلك القي القبض على السيد جهانكيزخان وملك المتكلمين[٦] . عبر الشاه عن حقده الدفين تجاه

١- حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص١٩٩ .
٢- علي اصغر حقدار، برخي ملاحظات تازة در مورد به توب بستن مجلس، مجلة ادبيات، دانكشاه اصفهان، ١٣٧٦هـ ، ص٤١ .
٣- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة إيران ، ، ص١٧٤.
٤- طلال مجذوب، المصدر السابق، ص٢٤١ .
٥- مهدي ملكزادة، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران، جلد بنجم، ، ص٦٢ .
٦- إسماعيل رائيين، الماسونية في ايران، ، ص١١٦ .

الوطنيين الثوريين بأن نكل بهم وقام بتعذيبهم دون أي تحقيق ضمن المحاكم التي يفترض أن تعقد[١] .

في حوار بين الشاه وملك المتكلمين قال له الشاه: **((أنت يا ملك المتكلمين الذي جعلت البلاد في ورطة الثورة والفوضى وفرض الدستور بعد أن ظلت لآلاف السنين تحيا تحت ظل الملكية التي هي ظل الله في الأرض ، لذلك سوف أريك ما لم تره من قبل و أجعلك عبرة للآخرين** ، فأجابه ملك المتكلمين متحديا:**- أيها الشاه، إن مسعاي كان إخراج إيران من الفقر والتخلف والجهل ، وان تكون بمصاف الدول المتطورة ، وان تأخذ دورها التاريخي الصحيح، وهذا لا يتم إلا تحت لواء العدل ، والقانون ،ونشر التربية والتعليم وان يكون ملكها في صفوف الملوك العظام وتحت حكومة متطورة، ولا سبيل لذلك إلا بقيام سلطة القانون والدستور، وعكس ذلك فاني لو سمعت نصائح الغرب ومشورة الأجانب لن أكون إلا خائناً لإيران ولك))** ثم أردفقائلاً بعد أن أشار إلى المعتقلين من رفاقه والمخضبين بدمائهم ((**إنَّ قتلي سوف لن يخدمك لان كل قطرة من دم ملك المتكلمين سوف تزهر ألف ثائر بدلاً عني، وسوف تبقى راية الحرية والعدالة والدستور خفاقة في سماء إيران))**[٢] . في أول خطوة له بعد قصف وهدم المجلس أقدم الشاه على إعدام ملك المتكلمين وجهانكيزخان – رئيس تحرير جريدة صور اسرافيل - ، وكذلك اعدم باقي رفاقهم، وقام بسجن السيدين البهبهاني والطباطبائي ثم ابعد السيد الأول إلى العراق ، والسيد الثاني إلى مشهد في خراسان، ولولا مكانتهما الدينية الخاصة لقام بإعدامهما ايضاً[٣] . سارع الشاه لتبرير فعلته وأعطاها الطابع القانوني والشرعي، واصدر بياناً كان له وقعة على بسطاء وجهال الناس فقد أكد : ((**حرصه على حفظ وحدة البلاد، وإبعاد المفسدين والانجمنات – الجمعيات – واللادينيين الذين جلبوا الفوضى للرعية، كما انه استهدف من ضرب المجلس رفع راية الإسلام المقدسة أول فريضة وعقيدة لنا جميعاً))**[٤] .

١- حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص٢٠٠ .
٢- حسن إعظام قدسي، المصدر السابق، ص٢٠٥ .
٣- علي اصغر حقدار، برخي ملاحظات تازة درمود به توب بستن مجلس، ص٤٣.
٤- طاهر البكاء، من تاريخ الحياة البرلمانية في إيران، ص٨٥ .

قام الشاه بإجراءات سريعة بعد هدم المجلس، إذ أمر بإبعاد الذين لجأوا إلى السفارات الأجنبية – لامتلاكها الحصانة الدبلوماسية – إلى خارج إيران للتخلص منهم، والباقي الذين لجأوا إلى مرقد عبد العظيم فقد أرسل الشاه قواته التي قامت بقتل العناصر القيادية المهمة مثل السيد الميرزا مصطفى الاشتياني الذي كان يهاجم طغيان الشاه وخيانته للأمة[١] . وقام بإجراءات انتقامية أخرى ضد العناصر الوطنية التي حاربته من قبل مثل نبش قبور كل من سيد عباس آغا الصيرفي وسيد عبد الحميد ونثر عظامهما في الهواء[٢] . وأمربتعيين الكولونيل لياكوف حاكماً عسكرياً على طهران، وفرض حظر التجول ليلاً وحل جميع الجمعيات التي رافقت قيام الثورة الدستورية ، ومنع كل مظاهر الحياة السياسية[٣] . ولتبرير عمله وامتصاص نقمة الداخل والخارج فقد اصدر بياناً في يوم الخامس والعشرين من حزيران أكد فيه إن إيران ما زالت دولة دستورية، وانه حل المجلس لتجرى بعد ثلاثة أشهر انتخابات لمجلس وطني جديد يقوم بمهامه من جديد ، وانه ليس ضد الدستور وإنما كان في حالة خلاف مع المجلس المنحل[٤] .

تركت حادثة ضرب المجلس وحله أصداء واسعة خارج إيران ، فإجهاض التجربة الدستورية الإيرانية لم يكن بالحدث السياسي العابر في دولة دخلت كرقم مهم في المعادلة الدولية آنذاك ، وخاصة عند دولتي النفوذ والمصالح آنذاك – روسيا وبريطانيا – اللتان كانتا مهتمتان جدا بالشأن الإيراني .

فبعد ضرب المجلس أشار مندوبا روسيا وبريطانيا على الشاه ان يظل يعمل بضوابط الدستور وان يعلن ان المجلس سوف يفتح بمجرد استتباب الامن ، وان القانون ، وسلطة المجلس لا بد ان تسود ، وان يوعد الشعب بقيام انتخابات حرة ونزيهة ليضمن شرعية السلطة له [٥]. ولكن الملاحظ ان الموقف الروسي كان واضحا وصريحا في ضرب الحركة الدستورية ، اذ شجع القيصر نيقولا الثاني شاه ايران على الغاء الدستور وحل المجلس في رسالة بعث بها للاخير قبل ضرب المجلس باشهر يقول فيها : ((**يمكن**

١- مهدي ملكزادة، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران، جلد بنجم، ص٦٣ .
٢- احمد كسروي ، تاريخ هيجده ساله ، ص٦٦٩ .
٣- جلال اندرماني زادة، شورش در اصفهان ، فصلنامة مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران، شمارة شانزدهم، سال ١٣٨١هـ ، ص٢٧.
٤- احمد كسروي ، تاريخ هيجده ساله مشروطيت ايران، ص٦٧١ .
٥- ناظم حسين ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

انقاذ ايران وعرش الشاه فقط من خلال ضرب المجلس وجميع المنظمات الثورية الاخرى دون تاخير ، وهذا هو ردي الوحيد))[١]. اما عن الموقف البريطاني فأنه رغم دعمه للحركة الدستورية عند قيامها هدفا في التقليل من النفوذ الروسي ، الا انه بعد عقد معاهدة ١٩٠٧ بين بريطانيا وروسيا ، فان بريطانيا بدأت تنظر للامور من زاوية مصالحها البحتة ، لان اضطراب الأوضاع في إيران يعني إخلال بالمصالح الاقتصادية والتجارية [٢]. كما قامت بريطانيا بتحركات عسكرية واسعة في الجنوب الإيراني ، وكانت بريطانيا ترى ان نجاح ثورة شعبية في إيران تتبنى أفكارا إسلامية تقدمية يعني تهديدا لمناطق نفوذها في أفغانستان والهند وتحريكا لأوضاع سياسية في غير صالح بريطانيا [٣]. وعليه فقد عد الموقف البريطاني موقفا خاذلا للحركة الديمقراطية في إيران ، اذ لم تتدخل بريطانيا الى جانب المجلس عند ضربه من قبل قوات القوزاق المؤتمرة بإمرة الشاه ، وكان هذا الموقف مخيبا لآمال الحركة الوطنية الإيرانية ، وهذا ما دعاهم يصرحون إن هذا الموقف المتفرج جعل الابن الروحي - الحركة الدستورية - يحتضر ، وصديق المائة عام يئس، وان البذرة التي جاءت من أوربا لتغرس في ارض إيران وتنمو لم تفلح بشيء [٤]. وفي السياق نفسه بعث السيرمارلنك (Sir.Marling) من السفارة البريطانية برسالة إلى السر ادوارد كراي (E.Gray) قائلا فيها : ((**ان دعاة الدستور يتهموننا بأننا تخلينا عنهم على عكس الموقف الروسي الداعم للشاه في صراعه مع المجلس، وهذا الموقف البريطاني المتهاون يقلل من نفوذ ومصداقية دولة بريطانيا))**[٥].

تلقى المثقفون ضربة قوية بعد هدم المجلس وحله واعتقال وإعدام وهرب معظم القيادات المثقفة والوطنية ، لكن أصواتهم بقيت تنادي بوجوب عودة الروح الديمقراطية والحياة النيابية – الدستورية – إلى إيران ، وتحرك بهذا الاتجاه الشعراء والأدباء ، فهاجم الشاعر أديب الممالك الفراهاني الشاه بقصيدة جاء فيها : ((**لقد لوث اسمك تاريخ الملوك ،**

١- اسعد محمد زيدان الجواري ، المصدر السابق ، ص٧٢.
٢- ايرج افشار ، اوراق تازة ياب مشروطيت ، انتشارات أمير كبير ، تهران ١٣٥٩هـ، ص٩٩ .
٣- المصدر نفسه ، ص١٠٩ .
٤- إبراهيم فخرائي ،كيلان درجنبش مشروطيت ، ص٨٩ .
٥- حسن معاصر ، المصدر السابق ، ص٥٨٦ .

ولم يعد إلا رمزا للعار والخسة وعدم الشرف))[١]. ونظم الشاعر الكبير محمد تقي بهار - ملك الشعراء - قصيدة رائعة هاجم فيها نظام الشاه وسياساته [٢]. كما عاود رجال الدين المجددون إلى وقفتهم المعهودة في سبيل إحقاق الثورة الدستورية ، وإعادة فتح المجلس فبعثوا برسالة مفتوحة إلى السفارات وقعها كل من سيد جمال اقجة ، وعدد من التجار والعلماء والأشراف جاء فيها : إن تعطيل الدستور سببه غواية بعض المفسدين ، وكذبوا في أن تكون المشروطية – الدستورية – مخالفة للشرع الإسلامي ، وأكدوا على أن الدسائس والمؤامرات لا تستطيع أن تهضم حقوق الأمة [٣].

حاول رجال الدين المحافظون – الرجعيون – استغلال الفراغ السياسي الذي حصل في إيران ، ظنا منهم ان الفرصة مواتية لهم بعد سكنت القوى المثقفة ورجال الدين الأحرار- المجددون - بفعل الضربات الموجعة التي تلقوها على يد محمد علي شاه ، فخططوا لعملية إنشاء مجلس على أنقاض المجلس المنحل ، يقوم على أساس أن الدستورية هي ضد الدين [٤] .

فبعثوا برسالة إلى الشاه يطلبون فيها الإذن بافتتاح المجلس، وذيل الشاه على طلبهم بالاتي: ((**نحن دائماً عازمون على حفظ وحماية الشريعة النبوية، وان المجلس مخالف لتوجيهات صاحب العصر والزمان وسوف نسعى لنشر العدالة ، وحفظ حقوق الناس وإصلاح المفاسد لتتحقق رسالة الرسول الأكرم(ﷺ)**))[٥] . كما قام بعض الوجهاء والمثقفين من أبناء الأمة بتقديم طلب إلى الشاه طالبوه فيه - وحسب الوعود الممنوحة لهم - أن يوعز بفتح المجلس، لتنفيذ بنود الدستور[٦] .

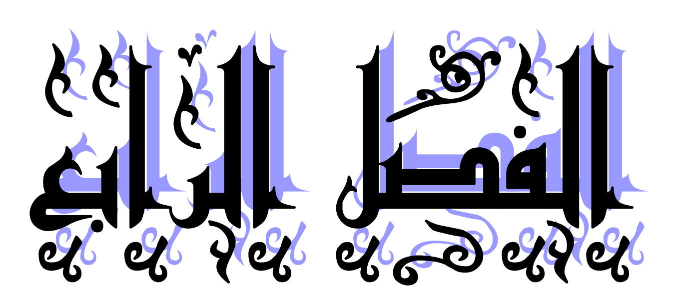
توجت رسالة علماء الدين في النجف الاشرف والموجهة إلى الشاه الموقف الصريح من الشاه، عندما بعثها وكيل المجتهدين السيد محمد كاظم الخراساني ، جاء في نصوصها: **((يا منكر الدين ويا أيها الضال الذي لا نستطيع مخاطبتك بلقب شاه ... والآن سمعنا انك أرسلت احد رجالك المقربين لشراء ذممنا بالذهب ، ولست عالماً إن سعادة الشعب**

١- طاهر البكاء ، بعض من ملامح الثورة الدستورية ، ص١٧٠.
٢- انظر الملحق رقم (٢) .
٣- إبراهيم فخرائي ،كيلان درجنبش مشروطيت ، ص٩٠ .
٤- علي اصغر حقدار ، به توب بستن مجلس ، ص٤٣.
٥- المصدر نفسه، ص٥٦ .
٦- إبراهيم فخرائي،كيلان درجنبش مشروطيت ، ص٩١ .

أثمن كثيراً من ذهبك ... على هذا أنت عدو للدين وخائن للوطن ... انك أنت والمجتهدون المرتزقة الذين يدعون بمخالفة المشروطية للشرع تتجاهلون حقيقة الدين .. فأعط الشعب الدستور الحر ، لتتحسن أحواله ، وانشر بياناً تعطي فيه الحرية، فإذا حصل تأخر منك عما قلناه ، فإننا سوف نحضر جميعاً في إيران، ونعلن الجهاد ضدك، ولنا في إيران أتباع كثيرون ايضاً، فإننا اقسمنا على ذلك))[١] .

ظل محمد علي شاه يتحين الفرص للنيل من الثورة والمجلس والدستور بضربة سياسية عسكرية قوية يعمد فيها إلى إنهاء هذا الخطر الذي طالما يهدد عرشه وصلاحياته ويدعو إلى تقويض النظام القاجاري الذي أصبح في أعلى درجات العجز والضعف ، لان كل هذه التطورات التي حصلت في فترة ما بعد الثورة في البنية السياسية والاجتماعية والفكرية ، لم تكن ترق لشاه مؤمن حد الجنون بالاستبداد ومتمسك بعرش يعتبره هدية من الله عز وجل ولا يمكن المساس بقدسيته ، مع إحساسه بتزلزل كيان عرشه بتعاظم نفوذ القوى الثورية التحررية، وخوفه من زوال سلطانه الذي حافظ عليه دوماً بوجود صفة الرجعيين المنتفعين وتملق بعض رجال الدين المتعصبين، مع وجود قوة عسكرية خارجية – القوزاق - التي أطالت عمر النظام ولو لحين، كما كانت مصالح الدول الاستعمارية مع بقاء النظام القاجاري ، وعدم قيام وانتشار الأنظمة الثورية التي تهددها بشكل مباشر مثل : روسيا وبريطانيا، اللتان دعمتا وعززتا موقف الشاه في ضرب الحركة الثورية الإيرانية .

١- عبد الرحيم محمد علي، المصدر السابق، ص٨٦- ٨٨ .



مرحلة انتعاش الثورة والانتكاس

المبحث الأول

دور المثقفين والمجددين في فترة الاستبداد الصغير

كانت أذربيجان ومركزها مدينة تبريز من أوائل الأقاليم الإيرانية تحركا في مجال إرجاع الدستورية للبلاد ، ومحاربة محمد علي شاه ، لأنها أول من تجرعت مرارة سياسته الحاقدة خلال ولاية عهده على المدينة ، ولان تبريز كانت ملتقى الأفكار والثورات لقربها من الدولة العثمانية التي تعصف بها أحداث الثورة الدستورية ، وتحاددها مع روسيا التي تنشر الثورات ذات الأفكار الاشتراكية [١].

إن انتقال الثورة ضد الحكم القاجاري من طهران إلى المدن الأخرى جاء كرد فعل طبيعي لسياسة الشاه في ضرب أركان الثورة وإلغاء الدستور ، وان طهران لم تستفق وتضمد جراحها بعد ضربة المجلس القوية في حزيران ١٩٠٨م [٢]. فالمجددون من رجال الدين والمثقفين حملوا لواء النضال في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ البلاد ، فبعد تشتت قادة الثورة ونواب المجلس خارج إيران قاموا بتأسيس المراكز و الجمعيات بهدف إعادة الدستورية ((المشروطة)) وإعادة إكمال المجلس وفتحه [٣].

ففي لندن قام حسن تقي زادة ومعاضد السلطة بتأسيس جمعية حظيت بدعم المؤرخ البريطاني ادوارد براون (E.G.Browne) ، هدفها إقامة علاقات مع نواب البرلمان للحصول على تعاونهم ومساعدتهم ، مع جذب أفكار الرأي العام البريطاني ، كما شكل الإيرانيون في باريس لجنة تشرف على نشاط الإيرانيين في محاولة منهم لعودة الحياة الدستورية إلى إيران بعد ضرب المجلس وعودة الحكم الاستبدادي ، وقد تألفت اللجنة من ناصر الملك – رئيس الوزراء السابق – و زعيم البختيارية المنفي في باريس وغيره [٤].

وبدأ المثقفون والمجددون تحركهم نحو السفارات الأجنبية ، فقد بعثوا ببرقيات إلى سفارات روسيا ، فرنسا ، بريطانيا ، أمريكا ، النمسا ، ايطاليا و ألمانيا المعتمدة لدى اسطنبول قالوا فيها : حيثما وقع الانفصال وأغلق المجلس فإننا نرفض أي استقراض مالي، وان كل قرض يطلبه الشاه أو امتياز يعقد فانه مخالف للدستور المقر شعبيا

١- تورج اتابكي ، أذربيجان در إيران معاصر ، ترجمت محمد كريم اشراق ، انتشارات توس ، تهران ١٣٧٢ هـ ، ص٢٧ .

٢- محمد إسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت إيران ، كتابهاي جيبي ، تهران ١٣٥٢ هـ ، ص٧٩.

٣- تورج اتابكي ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

٤- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٦٠.

ورسميا، لن تعترف به إيران ، وان المجوهرات الموجودة في خزائن الدولة هي ملك الشعب وليس الشاه [1].

ومنذ اليوم الأول لبدء فترة الاستبداد الصغير * فان أهالي تبريز المؤيدين للدستور دخلوا في مواجهات مع الحكومة وقلة قليلة من أعداء الدستور ممن التقت مصالحهم مع الدولة من كبار الملاكين ، والإقطاع ، وأنصار البلاط ، وقد احتدم القتال منذ يوم الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩٠٨م [2]. في البدء تصور الثوار إن ضرب المجلس وحله بهذه القسوة والوحشية وهزيمة الوطنيين في طهران يجعلهم في موقف صعب لا يمكن معه تحقيق أهدافهم في نهاية المطاف ، لكن ظهور قائد وطني مثل ستار خان ** غير من موازين القوى لصالح أنصار الدستور ، مع تحرك الجمعيات بشكل فاعل في أوساط الجماهير [3]. فجمعية تبريز في بداية تأسيسها عملت على إقرار الدستور وتعريف المجلس بالمرشحين، ولكنها عند إعلان ثورة تبريز اضطلعت بمهام إدارية وأمنية والدعوة إلى فتح المجلس ومحاربة الاستبداد [4] ، ودعت إلى تأسيس جمعيات مشابهة لها في الولايات الإيرانية، والدعوة إلى تسليح المجاهدين ، وإنشاء حكومات محلية ثورية لإدارة البلاد في مواجهة الحكومة القاجارية الغاصبة [5].

١- محمد مهدي كاشاني ، واقعات اتفاقية در روزكار ، به كوشش منصورة اتحادية وسيروس سعدونيان، نشر تاريخ إيران ، تهران ١٣٦٣ هـ ، ص٢٠٣.

* الاستبداد الصغير : وهي الفترة التي تبدأ من يوم ضرب المجلس وحله في ٢٣/حزيران /١٩٠٨ وتنتهي بدخول الثوار الفاتحين إلى طهران يوم ١٣ / تموز / ١٩٠٩ ، أي فترة عام واحد بها تعطل الدستور تماما ، وقد أطلق اغلب المؤرخين الإيرانيين والأجانب هذه التسمية على هذه الفترة . راجع: محمد اسماعيل رضواني ، المصدر السابق ، ص.٣٧

2- Nikki R. Keddie, Roots of Revolution , Los Angeles 1981 , P.75 .

** ستار خان : ولد عام ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م في محله أمير خيزي بتبريز ، كان والده بزازا في قره باغ القفقاسية وله ثلاثة إخوة ، إسماعيل اعدم من قبل محمد علي شاه عندما كان وليا للعهد مما اثر عميقا في حياة ستار خان ، أخوه الثاني غفار اعدم على يد شجاع الدولة والي تبريز عند تقدم القوات الروسية واحتلالها لأذربيجان وله مواقف بطولية ذاع صيته بسببها ، وشكل مع رفيقه باقر خان جبهة للنضال ضد الشاه وضد الروس أصحاب الأطماع في ولايتهم ، لقب بلقب ((سالارملي)) أي الزعيم الوطني ، وضع له في تبريز نصب تذكاري كانت وفاته في عام ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م . ينظر : سيد جلال الدين مدني ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .

٣- نيلوفركسري ، نقش زنان در مبارزات أذربيجان در عصر مشروطيت ، مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر إيران ، شمارة نوزدهم ، سال دوم ١٣٨١هـ ، ص١٢.

٤- عليرضا اوسطي ، المصدر السابق ، ص٣١٢.

٥- مهدي مجتهدي ، المصدر السابق ، ص٣١١ .

وقد تشكلت جمعية تبريز فور سقوط المجلس من قبل السيد محمد تقي طباطبائي وضمت في عضويتها الشيخ محمد الخياباني * ، وقد أصدرت الجمعية أول صحيفة حرة بعد ضرب المجلس وهي صحيفة نالة ميليت اي ((صرخة الشعب)) وذلك في الحادي والعشرين من اب عام ١٩٠٨م وهدفها توضيح ظلم ومفاسد الشاه ورجال البلاط، كما أصدرت صحيفة ثانية هي أنجمن ((اللجنة)) وكان يطبع منها خمسة آلاف نسخة في كل مرة [١]. وفي اسطنبول تأسست جمعية السعادة الإيرانية على يد الشيخ اسدالله الممقاني، ضمت كل الإيرانيين المقيمين في البلاد العثمانية ولعبت دور الوسيط في الاتصالات بين إيران ، والنجف الاشرف، والدول الأوربية ، وكانت تنقل كل البيانات التي تصدر من جمعية تبريز وتبثها إلى كل دول العالم ، وكانت توصل النداءات والمطالب إلى البرلمانات الأوربية [٢]. وفي الوقت نفسه أسست لها فرعا في مشهد بالاسم نفسه((جمعية السعادة)) ولها ارتباط مع الأحرار الموجودين في القفقاس ، وأصدروا جريدة ((خراسان)) التي كانت تطبع بشكل سري وتحت أسماء وهمية ، كما بدأ الناس بالثورة ضد استبداد محمد علي شاه وعطلوا المصالح العامة وأغلقوا المحلات ، وبدأت التجمعات الشعبية بالظهور في الأماكن العامة ، في وقت كان السيد محمد الطباطبائي وأبناءه منفيين في مشهد [٣]. ركز الشاه والحكومة على منطقة تبريز لإحساسهم بان الخطر الحقيقي يكمن في ثورة تبريز [٤]. فتحرك أعضاء الحكومة المستبدون والمعادون لخط الدستورية ، فدخلوا في مواجهات مسلحة مع ثوار تبريز ، وأرغمت قوات الحكومة على الانسحاب نحو المدن الصغيرة أو الاتجاه إلى القنصلية الروسية ، وقسم آخر رفع الرايات البيض دلالة الاستسلام [٥]. ومنذ اليوم الأول وقف رجال الدين المجددون إلى جانب التبريزيون

* محمد بن الحاج عبد الحميد الخياباني ، ولد في سنة ١٨٨٠ في قرية خامنه القريبة من تبريز عمل في شبابه في مجال التجارة ثم درس العلوم الفقهية والكلام وولع بالفلسفة والتاريخ والاقتصاد ، كان يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية والكردية والاذرية والفرنسية ، ساهم في إحداث الثورة الدستورية وانتخب نائبا فيس البرلمان الثاني سنة ١٩٠٩ ، عمل مع التيارات السياسية في منطقة القفقاس واعتقل عدة مرات اصدر صحيفة تجدد في نيسان ١٩١٧ طالب بالنظام الجمهوري وقيام دولة ازادستان الحرة في أقاليم أذربيجان ، قتل بعد فشل ثورته وكان مقتله يوم ١٤ أيلول ١٩٢٠ . انظر : كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، المصدر السابق ، ص٩٠.

١- طاهر البكاء ، بعض من ملامح ((الثورة الدستورية)) ووقائعها ، المصدر السابق ، ص١٧١.

٢- إسماعيل أمير خيزي ، قيام أذربيجان وستار خان ، انتشارات أمير كبير ، تبريز ١٣٣٩ هـ ، ص٢٣٦ .

٣- سيد جلال الدين مدني ، المصدر السابق ، ص١٨٨.

٤- المصدر نفسه ، ص١٩٥.

٥- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٦٢.

وتأييدهم في ثورتهم ، ففي رسالة بعثت من النجف الاشرف من قبل المراجع العليا (الخراساني ، المازندراني ، خليلي) إلى أهالي أذربيجان جاء فيها : ((**بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى عموم عشائر أذربيجان الغيارى وقبله المؤمنين الإيرانيين ، كلنا أمل بأنكم وبحكم غيرتكم على الدين المدافعين عن نصرة الدين ، نعلن لكم إن الدفاع عن الدستورية يعني حفظ الإسلام ، وبمنزلة الجهاد ضد الظالمين الذين يريدون هدر دماء وأعراض وأموال المسلمين ، أعزكم الله على ذلك**)) [١].

كما وقف المثقفون الموقف الواجب عليهم في دعم الثورة أينما كانت وفي أي وقت ، وبحكم انتماء معظم المثقفين إلى مناطق الشمال وخاصة أذربيجان فإنهم أعلنوا تأييدهم للثورة ، لا بل إنهم كانوا السبب في إشعالها من خلال بياناتهم وخطبهم [٢]. وتصدرت الصحف بيانات وخطابات كبار المثقفين فميرزا مالكم خان كانت صحيفته- قانون- تعلن راية الجهاد والنضال ضد القوى الرجعية المستبدة كما جاء فيها : ((**إن الله قد لعن الطغاة، وقد يكونون منتصرين الآن إلا إنهم لم يبقوا هكذا طويلا ، وان جماهير الشعب الإيراني المسحوقة ستنتصر لا محالة من اجل حقوقها المشروعة العادلة**)) [٣]. وضمن المنشورات التي توزع بين صفوف الشعب جاء فيها أحاديث وخطب منسوبة إلى المفكر طالبوف يقول فيها : ((**إن كل فرد في إيران يجب أن يعلم انه إنسان وان روح الله متجسدة فيه بعض الشيء وعليه يجب أن لا يقهر وان يقاوم الظلم من خلال الثورة ضد الاستبداد والظلم**))[٤]. وفي إحدى المقالات المنشورة في صحيفة صور اسرافيل كتب سيد حسن تقي زادة قائلا : ((**إن العلاج الرسمي والناجع للمجتمع القاجاري المتهرئ هو القانون والنظام الدستوري وهذا لا يتحقق إلا بإشعال الثورة للإطاحة بحكم القاجار**))[٥].

وهكذا اهتدى الثوار بتوجيهات ومقالات المثقفين والكتاب ورجال الفكر والتزموا بفتاوى وخطب رجال الدين المجددين ، في المواجهة مع السلطة القاجارية ، وبدأوا

١- إسماعيل امير خيزي ، المصدر السابق ، ص١٦٨.
٢- المصدر نفسه ، ص١٩٣.
٣- تورج اتابكي ، المصدر السابق ، ص٣٩.
٤- محمد رضا فشاهي ، المصدر السابق ، ص٤١.
٥- مهدي أنصاري ، المصدر السابق ، ص١٧٠.

صراعا مسلحا جديدا من اجل إعادة الشرعية الدستورية التي اغتصبها الشاه بضربه المجلس وحله (١).

أدرك الشاه أهمية تبريز في الثورة الدستورية ، فعمد إلى تعيين عين الدولة رئيس الوزراء الأسبق حاكما عاما على أذربيجان لاعتقاده بقدرته على قمع الثورة ، وعين معه محمد علي ولي خان تنكابي بمنصب قائد الجيش في طهران (٢).

فقامت القوات الحكومية بالهجوم على تبريز لقمع الثورة المسلحة فيها لكنها فشلت في تحقيق أهدافها مما اضطرها لحصار المدينة ، التي عانت من نقص حاد في المواد الغذائية والحاجات الأساسية وجعل حياة السكان في وضع مأساوي صعب ، مما أضطروا الى تناول السكان للحوم الحيوانات المحرمة واضطرارهم لأكل النباتات (٣).

عزز الشاه موقفه العسكري من خلال تعزيز قواته بعدد وعدة ، إذ استطاع أن يسيطر على اغلب نقاط ومراكز المدينة ، إلا محلة أمير خيزي التي بقيت تقاوم رغم كل الإغراءات ومنها الضمانات التي قدمها القنصل الروسي إلى قائد الثورة ستارخان (٤). إذ وصف بعض المؤرخين أن جميع الأراضي الإيرانية هي بيد الشاه المستبد إلا محلة أمير خيزي التبريزية فان الدستورية قائمة بها(٥). استمر ستار خان وأهالي تبريز بالمقاومة بما كانوا يحصلون عليه من أسلحة من مقرات الجيش و الثكنات، وتمكن من تحرير مناطق أخرى من تبريز (٦).

في التاسع من ايلول عام ١٩٠٨م ، اصدر المرجع الديني الموجه للثورة آية الله الخراساني بيانا له من النجف الاشرف أعلن فيه إن الشعب الإيراني وخاصة العشائر وقادة المجموعات المسلحة ملزمين وبحكم الغيرة الإسلامية وقانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورفع الظلم وإشاعة العدل بحفظ أرواح المسلمين وخاصة في مدينة تبريز الثائرة التي تقاوم اعتى رموز الظلم أمثال عين الدولة – مع عشرين ألف من قواته، ورغم قوة الأعداء فان ثوار تبريز ثابتون في وجههم رغم القتل(٧). حاول القنصل الروسي

١- مريم جواهري ، المصدر السابق ، ص٨٣.

2- Abraham Yeselson , OP.Cit , P.113 .

٣- سيد جلال الدين مدني ،المصدر السابق ، ص١٨٢ .

٤- خان ملك ساساني ، سيا ستكران دورة قاجار ، جلد دوم ، ص٣٢٧ .

٥- مهدي مجتهدي ، المصدر السابق ، ص١٥٥.

٦- إبراهيم فخرائي ،كيلان درجنبش مشروطيت ، ص٨٦.

٧- مصطفى طهراني ، خاطرات سياسي واجتماعي دورة استبداد صغير ، انتشارات إقبال ، تهران ١٣٨١ هـ ، ص٣٨.

في تبريز بيختانوف (Pechtanof) أن يثني عزم ستار خان من خلال تقديم الإغراءات له ووعده بمنصب مهم في البلاط الشاهنشاهي ، ولكن ستار خان رفض ذلك وأصر على المقاومة ، واعتبر قائلا : ان من العار القبول بهذه الإغراءات [١].

اشتدت قضية الثوار على تبريز وأصبحوا مسيطرين على كل تبريز ، وأصبح عدد الثوار بحدود العشرة ألاف مقاتل بينهم حوالي مئة مقاتل من جمعية القفقاس الاشتراكية وهم مدربون جيدا [٢]. أطلق الإيرانيون على ستار خان لقب الزعيم الوطني((سردار ملي)) للدور الذي لعبه ولبطولته في الجهاد ، وعلى رفيقه باقرخان ((الزعيم المبجل)) ((سالار اجل)) [٣]. حصلت الثورة على شهرة وسمعة طيبة في كل أنحاء العالم ، وقد أشادت الصحف والمحافل الدولية بها وحصلت على أنصار رفعوا من معنويات الثوار وأعطوها بعدا إنسانيا ، مثل موقف هوارد ، سي . باسكرفيل (Backerville Haward .C.) * الذي صرح قائلا : ((**إنني لا استطيع أن أبقى ساكنا أراقب دون اكتراث بمعاناة شعب يقاتل من اجل حقه ، أنا مواطن أمريكي وافتخر بذلك لكنني أيضاً إنسان لا أضع حدا لتعاطف عميق في مساعدة شعب هذه المدينة ، لا استطيع أن اذهب لأدرس بسكون وهدوء بينما تحدث حولي حوادث مأساوية يوميا ، أؤكد أنني غير خائف من أي عاقبة، وإنني قررت أن اخدم القضية الوطنية الإيرانية**)) [٤]. كما ساهمت القوى الثورية الروسية في دعم ثورة تبريز ، فقد كتب غارتوفك (Gartovik) سفير روسيا في إيرانفي الثاني من تشرين الاول عام ١٩٠٨م إلى حكومته مشيرا إلى دور ستار خان – زعيم تمرد تبريز – انه احد القادة ممن كانوا يعملون على المدرعة المشهورة بتمكين و قد فر إلى رومانيا ثم عاد إلى إيران وانظم إلى الثوار ، كما قامت مجموعة من الثوريين الروس بالتوجه إلى إيران للقيام بنشاطات ثورية ، وكان نفس لينين على اتصال بهم عبر القوقاز ،

١- إسماعيل أمير خيزي ، المصدر السابق ، ص.١٥٧

3-Nikki R. Keddie , Roots of revolution , OP.Cit , P.83 .

4-Asghar Fathi , Op.Cit , P.156 .

* هوارد . س. باسكرفيل : ولد في نبراسكا في الولايات المتحدة الأمريكية في العاشر من نيسان عام ١٨٨٥م وتخرج من جامعة برنستون – قسم اللاهوت في عام ١٩٠٧ ، دعي للعمل مدرسا للتاريخ من المدرسة التبشيرية في تبريز ، صاحب أفكار تحررية ومناهضة للظلم ، قام مع طلابه بالاشتراك بالثورة وقتل في معارك تبريز في الحادي والعشرين من نيسان عام ١٩٠٩م ودفن في تبريز بمشاركة آلاف الأذربيجانيين. انظر : فوزي خلف شويل ، تغلغل النفوذ الأمريكي في إيران ، ص٧١.

٤- المصدر نفسه ، ص٧٢ .

في فترة نضاله ضد الحكم القيصري الروسي وقبل أن تنتصر ثورته [١]. وفي مناورة سياسية اصدر الشاه مرسوما أعلن فيه إن الحكومة الدستورية مخالفة للشريعة الإسلامية ((**وإننا قد تخلينا عن هذه الفكرة ولن يذكر في المستقبل مثل هذا المجلس**))[٢]. في حين انه ما زال مصرا على احترام الدستور ، والنية في فتح مجلس مكون من ستين نائبا لكي يقوم بالإشراف على أعمال الوزارات [٣]. بالمقابل حاول المثقفون والمجددون من رجال الدين توظيف الموقف الدولي والتنافس الدائر على الصعيد الدولي لصالح قضيتهم من خلال دعوة ألمانيا للدخول كطرف ثالث ضد الروس والإنكليز في دعم القضية الوطنية الإيرانية والوقوف إلى جانب الدستوريين ، ومن هذه المبادرات إرسال لجنة من النساء الإيرانيات المقيمات في اسطنبول برقية إلى القيادة الألمانية يطالبونها فيها أن تبذل كل ما في وسعها لدفع بلادها إلى التدخل في الشؤون الإيرانية لصالح الثوار [٤]. رغم حالة الثورة والحرب فان الاتصالات والوساطات بقيت قائمة من اجل حل الصراع بين الحكومة والثوار ، وكانت مطاليب قادة المثقفين والمجددين من رجال الدين واضحة ومحددة وهي : أن يعلن الشاه إن الدستور ما زال قائما ، وان يعيد المجلس السابق ، وان يحاسب رجال البلاط المسئولين عن تدهور الأوضاع السياسية وحل المجلس [٥]. ولكن كل السبل قد استنفذت ووصلت إلى طريق مسدود ، ليأتي الحسم من الخارج ، إذ كانت روسيا صاحبة الأطماع الدائمة في إيران تتحين الفرص لتقوم بتحقيق أهدافها ، فاتخذت من الفراغ الأمني حجة لها وادعت إن قوافلها التجارية تتعرض إلى الخطر في منطقة هي أصلا ضمن مناطق نفوذها حسب اتفاقية التقسيم مع بريطانيا عام ١٩٠٧ [٦]. لذلك سيرت روسيا جنوبا ستة آلاف مقاتل عبر مدينة استارا الحدودية لتصل قواتهم إلى تبريز ، في وقت تحركت فيه القوات البريطانية بمناطق الجنوب الإيراني لتحتل بوشهر وغيرها من مدن الجنوب بحجة حماية خطوط المواصلات في الخليج العربي [٧]. أيقن المثقفون

١- ب.ج. جانوروف ، لينين والتحرر الوطني في الشرق ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٨ ، ص٣٠٧ – ٣٠٨ .
٢- فوزية صابر محمد ،دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٦٩ .
٣- ناظم حسين ، المصدر السابق ، ص٧٣ .
٤- سميرة عبد الرزاق العاني ، المصدر السابق ، ص٦١ .
٥- نور الله دانشور علوى ، تاريخ مشروطة إيران وجبنش وطن برستان أصفهان وبختياري،انتشارات خوارزمي ، تهران ١٣٣٥هـ ، ص٤٣ .
٦- مصطفى طهراني ، المصدر السابق ، ص٤٥.
٧- محمد حسين خسرو بناه ، نقشة ارامنه درسوسيال دمكراسي إيران ١٩٠٥ – ١٩١١ ، بزوهش شيراز ، تهران ١٣٨٢ هـ ، ص١٧.

والمجددون من رجال الدين أن اللعبة كبيرة ولا يمكن الصمود بوجه قوة عظمى محتلة مع قوات حكومة مستبدة فالمثقفون صدموا مرة ثانية بمصداقية بريطانيا في التعامل مع الثورة الدستورية وإرساء الأسس الديمقراطية التي ينادون بها ، واعتبروا ذلك امتحانا اضعف موقفهم تجاه الشعب الإيراني الذي بدأ بانتقاد القيادات المثقفة واعتبرها مجرد أفكار غريبة عن واقع إيران ، وتكريسا لهيمنة الغرب على البلاد [١]. وخشى المثقفون ورجال الدين من ضعف الموقف الداخلي فهم لا يريدون ان يعطوا روسيا ذريعة اكبر لاحتلال إيران، فكان سكوتهم على مضض أملته الضغوط الدولية عليهم، وفضلوا تهدئة الأمور واعتماد نهج الحكمة السياسية وعدم تصعيد الموقف نحو ألا سوء[٢]. وفي العشرين من نيسان عام ١٩٠٩ لجأ ستار خان وباقر خان إلى القنصلية العثمانية في تبريز، لتنتهي الثورة التي بدأت من حزيران ١٩٠٨ ولغاية نيسان ١٩٠٩ – ما يقرب من عام - أضعفت قوة الشاه السياسية والعسكرية، وأعطت دعما قويا لقيام ثورات في باقي المدن الإيرانية كما في أصفهان ورشت [٣].

وهنا تحرك المثقفون بكل طاقاتهم الفكرية إلى تحريك الشارع الإيراني ضد سياسات الاحتلال التي تمارسها القوى العظمى آنذاك فنشرت صحيفة حبل المتين مقالا تحت عنوان ((الموت من اجل الاستقلال)) جاء فيه : ((**إن قوى الاحتلال وعندما تحتل أراضينا فإنها لا تهدف إلى دعم سلطة الشاه المهزوزة أو حبا بالنظام القاجاري المستبد، وإنما حفاظا على مصالحها العليا وهي نهب ثروات إيران واستغلال موقعها الهام وتوسيع نفوذهم**))[٤]. وصرح الشيخ الخيابائي منددا بسياسة الاحتلال ومؤامرات الشاه قائلا : ((**أساس شرف كل شعب هو الاستقلال وبما إن رائحة الورد تفني النتن ، رشوا في المملكة عطر الحرية ، لتقضوا على عفونة الاستبداد ، إن إيران لن يحررها إلا الإيرانيون**))[٥]. كما دعا الخطباء في المساجد إلى الانعتاق من قيود الشاه وأعوانه ، وتخليص البلاد من الهيمنة الأجنبية التي مهد وأسس لها النظام القاجاري [٦]. عدت المدن الإيرانية منذ البداية خارجة عن الطاعة والولاء للحكم المركزي القاجاري ، ورغم قسوة

١- ايرج افشار ، مشروطيت در أذربيجان ، ص٧٣ .
٢- ازيتا لقائي ، اولين شورش در تبريز بر محمد علي شاه ، ص١١.
٣- ناصر نجمي ، المصدر السابق ، ص١٤٩ .
٤- مهدي انصاري ، المصدر السابق، ص١٧٢.
٥- محمد كامل محمد عبد الرحمن ،سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١-١٩٤١، ص٢٣.
٦- حسين ناظم ، المصدر السابق ، ص٧٧ .

حكام الولايات إلا إن الانسجام لم يكن موجودا بين السلطة والشعب [١]. ويعد ضربة المجلس السيئة الصيت فان المدن ثارت بوجه السلطة وزيادة على تبريز ثارت مدن فارس وخراسان وغيرها ، ففي مدينة ((لار)) في ولاية فارس عبرت الجماهير الإيرانية عن سخطها وقامت بالتجمع والتسلح وإعلان التمرد والسيطرة على المناطق المجاورة من كرمان ، حتى إنها وصلت إلى موانئ الخليج العربي للسيطرة عليه لولا إنها واجهت القوات البريطانية – الهندية ، وتوقف عند ذلك الحد [٢]. ولكن أهم التحركات والانتفاضات هي الانتفاضة التي قامت في رشت مركز ولاية كيلان والثانية في أصفهان حيث قبائل البختيارية التي ثارت مع كيلان الشمالية وشكلوا حلفا سياسيا – عسكريا استطاع أن يغير من مسار الأحداث وجعلها لصالح الدستور والمجلس [٣]. ففي رشت وهي المدينة الواقعة على بحر قزوين ، والمتصلة مع الأراضي الروسية جغرافيا وفكريا، إذ كانت مركزا مهما لنشاطات الجمعيات الثورية الروسية ، وكان أهلها على درجة عالية من الوعي الوطني الكبير [٤]. وبها نشأت وتأسست أهم الجمعيات الثورية في إيران مثل ((جمعية ستارة)) وهدفها مقارعة الحكم الاستبدادي والمطالبة بعودة الدستور، وعمل المجلس وتشكلت اللجنة الجمعية من عناصر مثقفة ورجال دين، وشخصيات اجتماعية [٥]. وتألفت الجمعية من لجنتين لجنة عسكرية ولجنة مالية وتضم الجمعية اثني عشر عضوا كقيادة مركزية ، وأقامت الجمعية واجهات صغيرة أخرى لتعمل بحرية ومرونة مثل جمعيات ، السرية ، العدالة ، الإخوة ، الوطنية [٦]، كما حركت القيادات الدينية والوطنية الفلاحين باتجاه مساهمتهم في دعم الثورة الدستورية والوقوف بوجه النظام القاجاري ، ففي رشت رفض الفلاحون دفع الضرائب وأعلنوا الاعتصام ، وهاجموا منزل الحاكم واحتلوا مخازن الحبوب [٧].

كانت للجمعية ارتباطات قوية مع ثوار القفقاس وكرجستان وقد استفادت الجمعية من خبرات الثوار المنتمين إلى اللجنة الاشتراكية الديمقراطية في مجال التدريب والتسليح

١- ناصر تكميل همايون ، المصدر السابق ، ص١٣٧.
٢- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٦٦.
٣- احمد كسروي ، تاريخ هيجدة سالة ، ص٢٧٤.
٤- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٦١.
٥- إبراهيم فخرائي ،كيلان درجنبش مشروطيت ، ص١٣٦.
٦- خان ملك ساساني ، سياستكران دورة قاجار ، جلد دوم ، ص٣١٧.
٨- محمد كامل محمد عبد الرحمن ، الفلاح الإيراني في العهد البهلوي ، ص٣٢.

والمعلومات وحتى إنهم التقوا مع جوزف ستالين (Joseph Stalin)* في مدينة كنجة القفقاسية، كان الوطنيون في كيلان قد وحدوا صفوفهم ، وعملوا على الاستفادة من خبرات الروس الثوريين في القفقاس ، فقد عمل اورجنكيدزه (Oreijinikideza)** ،الذي كان مسؤولا عن نقل الأسلحة والعتاد للثوار ، وله خبرة واسعة في مجال صنع المتفجرات والقنابل اليدوية (١). عمل الثوار في كيلان على تقوية مواقع نفوذهم في المدينة من خلال جمع التبرعات وتأسيس مجلس بلدي وإدارة أعمال الولاية ومخاطبة باقي الولايات والتنسيق فيما بينهم ، كما قامت اللجان الثورية بإدارة أعمال البرق والبريد (٢). كما وخاطب ثوار كيلان وقادتهم الصدر الأعظم بضرورة افتتاح المجلس باعتباره الممثل الحقيقي لطموحات الشعب الإيراني و لشرعيته ، في وقت كان رد الحكومة سلبيا على مطاليب الجماهير في كيلان (٣).

فقد عدت الحكومة الإيرانية إن الإجراءات التي حصلت في الولاية هي بسبب تحريك بعض العناصر المفسدة والمسببة للفتن والمشاكل وإنها لا تملك صفة رسمية ، وان سكان كيلان هم محبون للشاه بالفطرة ولا يرغبون بالخروج عن طوع الحكومة والشاه(٤).

قاد حركة رشت مثقفون يؤمنون بالتجديد والإصلاح وكان على رأسهم ميرزا كوجك خان* ، كما انضم إليهم ((بيرم خان الارمني))** الذي استطاع ببراعته العسكرية

---

* جوزيف فيساديونوفيتش ستالين : رجل دولة سوفياتي ، من أصل جورجي ، ولد عام ١٨٧٩م عمل في التنظيمات الاشتراكية في القفقاس ، وبعد انتصار الثورة الروسية ١٩١٧ أصبح مسؤولا أول عن جمهورية جورجيا وعضو في مجلس السوفيت الأعلى ، كان يؤمن بسياسة القوة والدكتاتورية عرفت فترة حكمة بالقبضة الحديدية وسميت فترة وأسلوب حكمة وسياساته ((بالستالينية)) أصبح زعيما للاتحاد السوفياتي في عام ١٩٢٢م توفي عام ١٩٥٣م . ينظر : إبراهيم عامر ومجموعة مؤلفين ، موسوعة الهلال الاشتراكية ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٢٦٦ – ٢٧٠.

** غريغوري قسطنطوفيتش اورجنيكينده : ولد عام ١٨٨٦م عرف بنضاله ضد الاستبداد القيصري في روسيا وساند الثوار الإيرانيين ، وكان خبيرا في استخدام الأسلحة وصنع المتفجرات ، أصبح مسؤولا عن تنظيمات القفقاس ثم رئيسا للمجلس الثوري الشيوعي هناك ، توفي عام ١٩٣٨م . راجع: لينين، حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ، دار التقدم، موسكو ١٩٦٩ ، ص٥٠١.

١- عطا ايتي ، مقدمات خلع قاجارية وتاجكذاري رضا خان بهلوي ، مجله فصلنامه تخصصي تاريخ معاصر ايران ، شمارة ٢٩ سال هشتم ، بهار ١٣٨٣ هـ ،ص١٢.

٢- ادوارد براون ،تاريخ انقلاب إيران ، ص٦١١ .

٣- برويز افشاري ، المصدر السابق ،ص١١٤ .

٤- إبراهيم فخرائي ، كيلان درجنبش مشروطيت ، ص٨٨ .

الفائقة التي كان يتحلى بها ، وبالتدريب العالي الذي كان عليه رجاله المؤلفون من إيرانيين وارمن وجورجيين أن يلعب دورا مهما في إحراز النصر [١]. في فترة الثورة والقتال في تبريز الثائرة ، كان اشتداد قوة ورسوخ الثورة في كيلان ، ومما عزز من موقف الثورة هو انضمام محمد ولي خان سبهدار تنكابني إلى صفوف الثوار وإعلانه التمرد ومحاربة الشاه لإحقاق الحق لأبناء شعبه المظلوم على أيدي القاجار [٢]. ونظرا لخبرته ومكانته العالية فقد اختاره الثوار قائدا عاما للحركة الوطنية في كيلان [٣]. هددت الحكومة بقمع الانتفاضة في كيلان لاسيما قادتها مثل محمد ولي خان تنكابني الذي عدته مسؤولا عن تألب القوى الثورية ضد الحكومة ، وعليه أن لا يتدخل في شؤون الدولة وينصب نفسه زعيما وطنيا [٤]. وقد رد أهالي المدينة والثوار على هذه المزاعم ، وإنهم بثورتهم قد أطاعوا فتاوي رجال الدين ، وان المشروطة – الدستورية – مطابقة للحكم الشرعي ، وان ما قيل عن سبهدار فانه على الحق والصواب ويحظى بامتنان وحب أبناء مدينته [٥].

---

* ميرزاكوجك خان : واسمه الحقيقي يونس ولد في رشت عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م ودرس في رشت ثم انتقل الى طهران درس العلوم الدينية وأقام علاقات شخصية مع الطباطبائي والافغاني وغيرهم من العلماء ، ساهم في إحداث الثورة الدستورية استعان بالعثمانيين والألمان في محاربة الدولة ، ثم دعمه السوفيات فيما بعد قام بثورة استهدفت إسقاط النظام وإحلاله بنظام جمهوري كانت ثورته بغابات كيلان فسميت ((بالجنكلين)) أي الغابة ، خاض معارك عديدة وآخرها معركة جبال تالش التي قتل بها وذبح وأرسل رأسه إلى طهران للتنكيل به وذلك في أواخر / تشرين الثاني / ١٩٢١.للتفصيل ينظر: إبراهيم فخرائي، ميرزا كوجك خان سردار جنكل ، تهران ١٣٤٤هـ،ص١١.

** بيرم خان : ارمني تركي ولد في كنجة ، التحق بالعمل الفدائي وحاول الهرب إلى الدولة العثمانية فالقي القبض عليه عند الحدود الروسية وتم ترحيله إلى سيبريا ، هرب من هناك إلى اليابان ثم عاد إلى إيران في ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م انضم إلى الحزب الارمني ((داشناكسيون)) عام ١٩٠٨ وأصبح عضوا فاعلا في جمعيات كيلان ، أسس جمعية ستارة السرية وتحالف مع سبهدار ، عند فتح طهران في تموز ١٩٠٩ أصبح رئيسا لجهاز الشرطة ، قتل في منطقة قلعة شورجة في همدان ودفن في مدرسة الارامنة بطهران . راجع : مهدي بامداد ، شرح حال رجال ايران ، جلد جهارم ، ص٤٧٥ .

١- إسماعيل رائيين ، سردار بيرم خان ، مؤسسة تحقيقاتي رائيين ، تهران ١٣٥٥هـ ، ص٢٢ .
٢- أبو الحسن علوي ، تاريخ عصر مشروطيت ، به كوشش حبيب يغمائي ، انتشارات اساطير ، تهران ١٣٦٣هـ ، ص٣٧ .
٣- محمد إسماعيل رضواني ، المصدر السابق ، ص١٨٣.
٤- إبراهيم فخرائي ،كيلان در جنبش مشروطيت، ص١٣٧.
٥- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد شستم ، ص٤٨.

وهكذا أكمل ثوار كيلان كل استعداداتهم العسكرية والإدارية، وشكلوا المجلس الثوري للمدينة وأعلنوا هدفهم وهو الإطاحة بالشاه وحكومته الفاسدة وكان ذلك في التاسع من شباط عام ١٩٠٩م، وقرروا التوجه نحو طهران لانجاز هذه المهمة الوطنية [١].

في الوقت نفسه الذي كانت الثورة محتدمة في الشمال (تبريز – كيلان) وكانت مناطق أصفهان تعيش الأحداث نفسها ، فقد هبت الثورة بين قبائل البختيارية ، فالشاه محمد علي أراد استخدام سياسة مراكز القوى في ضرب الأخوة أنفسهم من البختيارية [٢].

فأراد تعيين صمصام السلطنة * زعيما للبختيارية ضد أخيه سردار اسعد ** ، ولكن الحافز القبلي كان أقوى ، مع وجود كراهية شديدة لنظام الحكم القاجاري الذي أمعن قتلا في السابق ضد زعماء وقادة البختيارية [٣].

كما توحدت القوى الوطنية جميعها تحت طاعة رجال الدين وخاصة بقيادة اقا نجفي مجتهد أصفهان *** الذي أسس الجمعية السرية وتعاون معها زعماء البختيارية [١]. مع

١- إبراهيم فخرائي ،كيلان در جنبش مشروطيت، ص١٣٨.

٢- نور الله دانشور علوي ، المصدر السابق ، ص٦٥.

* صمصام السلطنة : نجفقلي خان ابن حسينقلي خان زعيم البختيارية ، من مواليد عام ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م ، تعلم في أصفهان وطهران ، وعند وفاة والده في عام ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣م منحه مظفر الدين شاه لقب ((صمصام السلطنة)) وأصبح زعيما للبختيارية ، ساهم في إحداث الثورة الدستورية، قاد المعارضة ضد محمد علي شاه وقام مع ثوار الشمال بفتح طهران ، ليصبح بعدها وفي ١٩/رجب/١٣٢٩هـ/١٩١١م رئيسا للوزراء في عهد احمد شاه ، توفي في أصفهان في ١٩٢٩م . راجع : فاطمة معزي ، صمصام السلطنة ، مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر إيران ، شمارة ٢٤،سال ١٣٨١هـ ، ص١٤.

** حاج علي قلي خان سردار اسعد : ولد في ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧م ، تلقى علومه الأولية في إيران ثم سافر إلى فرنسا لتلقي علومه هناك في عام ١٩٠٦ ، منح لقب ((بيكلربيك)) أي زعيما لقومه البختيارية الذين ينتشرون في مناطق تمتد من أصفهان شمالا حتى سواحل الخليج العربي جنوبا وكذلك في إقليم فارس ، وفي ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣م وبعد خلافه مع الحكومة وعزل أمين السلطان صديقة ، غادر إلى أوربا ، بعد فتح طهران أصبح وزير للداخلية ، في أواخر عمره فقد البصر وأصيب بالشلل ، توفي في ١٣٣٦ هـ / ١٩١٨م عن عمر ناهز ٦٣ عاما ودفن في أصفهان مسقط رأسه . انظر: عليرضا اوسطي ، المصدر السابق ، ص٣٧٧ – ٣٧٩.

٣- قام حاكم أصفهان آنذاك ((ظل السلطان)) ابن ناصر الدين شاه بإعدام والد سردار اسعد وحبس باقي إخوانه لفترة من الزمن ، بقي الخلاف والعداوة قائما بين الطرفين ، اعتبر البختيارية عملاء للانكليز ، إذ منحوا مصالح اقتصادية منها إنهم كانوا أصحاب أسهم في شركة النفط الانكلو – فارسية التي أسسها وليم دارسي . انظر : فاطمة معزي ،صمصام السلطنة ، ص١٧.

*** اقانجفي : وهو اقا شيخ محمد تقي من كبار العلماء والمراجع في أصفهان واخو المجتهد والمجاهد اقانورالله ، من اشد المعارضين للنظام القاجاري المستبد ، ويعد من رجال الدين=

تحرك هذه القوى الوطنية نحو باريس لإقناع سردار اسعد بالعودة إلى إيران لممارسة دوره الوطني ضد القاجار ، وفعلا تسلم اسعد قيادة قوات البختياري وأعلن إن هدف الثورة النهائي هو تحرير البلاد من الحكم القاجاري (٢).

وبالفعل جهز قوات مدربة ومسلحة ببنادق ومدافع معدودة واستطاع ان يعلن يوم الخامس من شباط عام ١٩٠٩م سيطرته على أصفهان والتحرك نحو طهران لتحريرها(٣). وبعد اتصالات بين ثوار الشمال والجنوب البختيارية اتفق الثوار نحو هدف واحد هو القضاء على الحكم الاستبدادي وإنهاء حكم الشاه (٤).

عمل المثقفون والمجددون على توجيه الثورة في الشمال بحكم انتشار التيارات السياسية التي تقف بالضد من استبداد الشاه ، وفي الجنوب استغلوا كره قبائل البختيارية للحكومة المركزية ، مع وجود شخصية سردار اسعد الليبرالية التي تعمل من فرنسا ضد حكومة الشاه (٥)، وكذلك من خلال وقوف أعداد كبيرة من الفلاحين إلى جانب الثورة حيث استغلال الفلاح من قبل الإقطاع وتدهور أوضاعه بشكل كبير ، فلهذا استجاب الفلاحون لنداء الثورة في أصفهان وهبوا لنجدة انتفاضة أنصار الدستور هناك (٦).

ولكن مشاركة جموع الفلاحين البختيارية في التحرك نحو طهران ومساندة الثورة كان يعوزه وعي حقيقي لطبيعة ودوافع هذا التحرك فقد أتت مشاركتهم تلك تخلصاً من أعباء النظام الضريبي الممقوت الذي أثقل كاهلهم (٧)، فنجحوا في توظيف هذا العامل لصالح ضمهم إلى صفوف الثورة ضد الشاه وهكذا تحالفت قوى المثقفين والمجددين مع الاتجاهات القبلية البختيارية لتعزيز وتقوية المواجهة السياسية والعسكرية ضد الاستبداد (٨). وقد أنعش آمال الدستوريين في إيران من جديد ما تحقق من نجاحات حققها

=المجددين والمطالبين بالدستورية – المشروطة – باعتبارها وسيلة عصرية تحقق العدالة والمساواة وفق تعاليم الإسلام الحنيف أسس جمعية أصفهان ، وساهم في دعم سردار اسعد زعيم البختيارية من خلال مركزه الديني الهام ، فأعطى للقبلية والعشائرية الثائرة الشرعية التامة . عن حياته ينظر : محمد حسن رازي ، المصدر السابق، ص٤١٠.

١- علي قلي محمود بختياري ، تاريخ بختياري ، انتشارات أمير كبير ، تهران ١٣٧٦هـ ، ص١٥ .
٢- أبو الحسن علوي ، المصدر السابق ، ص٤٨.
٣- محمد وصفي بو مغلي ، إيران دراسة عامة ، ص٢٨٨ .
٤- علي قلي محمود بختياري ، المصدر السابق ، ص١٩ .
٥- نورالله دانشور علوي ، المصدر السابق ، ص٥٨ .
٦- محمد كامل محمد عبد الرحمن ، الفلاح الايراني في العهد البهلوي ، ص٣٢.
٧- فوزية صابر محمد ، ايران بين الحربين العالميتين ، ص١٦.
٨- عطا آيتي ، المصدر السابق ، ص١٤ .

الدستوريون في الدولة العثمانية [١]. وفي السياق نفسه تحرك علماء النجف الاشرف وخاطبوا الأحرار الإيرانيين بعد لقاء عقدوه مع جمعية الاتحاد والترقي العثمانية في النجف الاشرف ، وكان مندوب حزب الاتحاد والترقي ثريا بك ، وقد اتفق على تشكيل جمعية الاتحاد والترقي الإيرانية ، لتبدأ عملية توعية سياسية ودعم للثورة في إيران [٢]. وقد أصدروا بيانا جاء فيه : ((**إن على الشعب الإيراني التحرر والتخلص من قيود الشاه وأعوانه وخنقه للحريات العامة ، وان يستجيب لمنطق العقل والقانون ، وعلى الصحافة أن تأخذ دورها في استنارة طريق الحرية ، وان تلعب الكلمة دورها في النهوض بهذا الشعب المغلوب على أمره**))[٣].

وهكذا دخلت مجريات الصراع بين القوى المثقفة ، ورجال الدين مع سلطة الشاه إلى صدام مسلح بعد أن كان صراعا سياسيا وفكريا ، وانتقلت ساحة المعركة والصراع من العاصمة طهران إلى مدن الشمال والجنوب لتكون أوسع جغرافيا وأكثر عنفا ودموية . ويعمل المثقفون ورجال الدين على إتباع سياسات جديدة منها الاعتماد على القوى العشائرية والقبلية حتى الشخصيات الإقطاعية وكبار الملاكين ، كذلك نرى إن التعاون والاتصال بدأ يتعدى الحدود المحلية ليصل إلى مناطق القفقاس واسطنبول وغيرها من المدن زيادة على النجف الاشرف التي هي بالأصل مركز توجيه الثورة بحكم وجود رجال الدين والمجتهدين الكبار اللاجئين هناك هربا من بطش وظلم الاستبداد القاجاري .

إن دخول الاتجاه القبلي في حلبة الصراع جاء نتيجة للعداء القديم مع حكام القاجار، إضافة إلى إن مصلحة القبائل هي في إقرار الدستور الذي سيضمن حقوقهم القومية ويحقق مصالحهم الاقتصادية من الزراعة او حماية المنشآت النفطية التي يستثمرها الانكليز ، لان الأمراء القاجار كانوا لا يسمحون لغيرهم باستغلال الفرص واستثمار الثروات ،فهكذا كانت صراع قوى وتناقض مصالح .

١- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٧٠ .
٢- الدستور الفارسي والشاه الجديد، مجلة الهلال ،القاهرة ، الجزء الاول، السنة الثامنة عشر،١٩٠٩،ص٣٨.
٣- نورالله دانشور علوي ، المصدر السابق ، ص٦٦.

المبحث الثاني
فتح طهران وعودة المجلس الوطني

ورغم إن قادة الثورة والقوى الوطنية أصبحوا يملكون زمام الأمور في المدن الرئيسة من إيران مثل تبريز ورشت وأصفهان ومشهد وبعض مدن الجنوب ، غير أن الحكومة لا تزال تحكم في طهران وتعد سيدة البلاد [١]. وان طهران كانت قادرة على توجيه الحملات العسكرية ضد المدن الثائرة ، مع توجه أنظار حكام الولايات إلى الحكومة القائمة في طهران العاصمة [٢]. لهذا أيقن الثوار وقادتهم سواء في الشمال أو الجنوب إن طهران يجب أن تكون تحت تصرفهم لتصبح لهم السطوة الحقيقية في حكم البلاد وطرد الشاه من البلاد والتخلص منه ، فكان القرار أولا من محمد علي خان ولي (سبهدار) واصدر الأوامر بذلك وتوجه نحو طهران عبر إسقاط مدينة قزوين وبالفعل تمت السيطرة عليها يوم الرابع من حزيران عام ١٩٠٩م [٣]. وبالمقابل قامت قوات البختيارية وبعد سيطرتها على أصفهان بالتوجه نحو قم وإخضاعها لسيطرتها في السادس والعشرين من حزيران عام ١٩٠٩م ، وليتم الاتفاق بين قادة الثورة بالتوجه إلى طهران [٤]. بعد أن كانت قيادة الثورة في بدايتها تضم العناصر المثقفة ورجال الدين ، أمست الآن تقودها العناصر الإقطاعية ، وكبار الملاكين أمثال محمد علي خان تنكابي الذي يعد من أثرى أثرياء إيران بأملاكه الشاسعة ، مع قادة البختيارية الذين يمثلون الإقطاع بعينه – إذا ما استثنينا بعض الأفكار الليبرالية عند سردار اسعد [٥].

إن سبب هذا التحول في القيادات جاء نتيجة للضربات الموجعة التي تلقاها المثقفون ورجال الدين بعد نكسة المجلس وتعطيل الدستور ، وابتعاد من تبقى منهم عن إيران ولجوئهم إلى دول الجوار والغرب ، فقد بدأوا نشاطاتهم من هناك ، فخلت الساحة السياسية للقيادات الإقطاعية والعسكرية لتضارب مصالحهم مع الحكومة المركزية ، كما ان المثقفين والمجددين أرادوا أن يدفعوا بوجوه جديدة في الصراع مع السلطة ، وان يعيدوا

١- فريدون أدميت ،فكر ازادي ومقدمة نهضت مشروطيت ، ص٢٥٢ .
2-Richard N. Frye , Persia , London ,1960 , P.214 .
٣- ايرج افشار ، مشروطيت در أذربيجان ، ص٨٥ .
٤- نورالله دانشور علوي ، المصدر السابق ، ص٦٩ .
٥- عطا آيتي ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

تنظيمهم بشكل جيد ليصلوا إلى قمة القيادة من جديد ، وهذا لا يعني إن دورهم قد انتهى إلى الأبد .

أيقن الشاه محمد علي آنذاك انه لا بد من مواجهة قوات الثوار وصدها عند ضواحي طهران فقسم ساحة عملياته إلى ثلاث جهات فعين ((أمير أفخم)) على قاطع الجنوب لملاقاة قوات البختيارية ، ولكنه لم يقاتل واتفق على تسهيل دخول الثوار لأنه رغم إخلاصه للشاه وكرهه للدستوريين ، إلا انه رفض محاربة الثوار لأنه وأتباعه من أصل بختياري ورفض محاربة أبناء قبيلته [١]. ووضع الجنرال الروسي لياخوف (Likhov) قائد ضد جبهة ثوار كيلان بقيادة سبهدار ، الذي تمكن ببراعته العسكرية وخبرته من الوصول إلى طهران دون الاصطدام مع قوات الحكومة او القوات الروسية * ، وتمكن من التعسكر في ضواحي طهران عند مدينة كرج على بعد أربعين كلم عن العاصمة [٢].

في هذه الأثناء اتفقت مواقف ومصالح الروس والانكليز على وقف زحف الثوار ، وللحؤول دون إسقاط الشاه وإقرار النظام الدستوري من جديد لان هذا عد إضرار بمصالح البلدين ، وهذا ما دعا قنصلي روسيا وبريطانيا إلى ملاقاة سردار اسعد عند وصول قواته إلى قم ، والطلب منه أن يوقف زحف قواته وان يكونا الوسيطين لنقل مطالبيه إلى الشاه [٣]. فما كان من سردار اسعد إلا أن قام بمناورة سياسية أحرج بها الروس والانكليز على حد سواء عندما صرح لهم قائل : ((**إذا كانت إيران مستقلة فان ما يجري هو على أراضيها ووطنها وإذا لم تكن مستقلة فاكتبوا ذلك بشكل رسمي لنعرضه على الدول الأجنبية لبيان موقفهم**))[٤]. هذا الموقف دفع الروس والانكليز إلى تهديد الثوار بضرورة العودة من حيث أتوا خلال ثمانية وأربعين ساعة وإلا على الثوار أن يحاربوا القوات الروسية في طهران نفسها [٥]. ولكن الثوار تحركوا نحو ممثلي الدول الأجنبية لغرض كسب حيادهم في هذا الصراع الذي عدوه صراعا داخليا لا يستوجب تدخل القوى الأجنبية فيه [٦].

١- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد شستم ، ص٤٣.
* كانت القوات الروسية قد احتلت في ٢٦ نيسان ١٩٠٩ مناطق تبريز واردبيل بحجة حماية الأجانب من الثوار الاذريين . راجع : اسعد محمد زيدان الجواري ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
٢- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٦٥.
٣- سيد جلال الدين مدني ، المصدر السابق ، ص١٩٥.
٤- اسعد محمد زيدان الجواري ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
٥- مصطفى طهراني ، المصدر السابق ، ص.٦٠

6-R.W.Cottom , Op.Cit , P.16.

اضطر الشاه محمد علي وإزاء هذه التطورات والأحداث الخطيرة أن يطرح مبادرات سلمية من اجل إنقاذ وضعه المنهار ، من هذه المبادرات دعوته للتفاوض مع الثوار ووعدهم بإعادة افتتاح المجلس الوطني ، واخذ دورهم السياسي ، ولكن الثوار كانوا مصرين على التوجه نحو طهران واستخدام الخيار العسكري لإسقاط حكمه [١]. ولم تشفع للشاه محمد علي التحركات والضغوط الدولية التي مارسها الروس والانكليز ومنها قيام القوات الروسية بالاحتلال العسكري لميناء انزلي على بحر قزوين والتوغل نحو عمق الأراضي الإيرانية ، في وقت قامت القوات البريطانية بتحركات عسكرية في الجنوب منها إرسال السفن الحربية ، والإنزال العسكري في موانئ بوشهر [٢]. وعمل الطرفان على تصعيد التهديدات لضمان عدم وصول القوات الوطنية إلى العاصمة والاستحواذ على مقاليد الحكم ، ووصلت الحالة إلى أن هدد السفير الروسي بمنع وصول القوات الوطنية إلى طهران [٣]. ولكن إصرار الثوار كان قويا وعارما لدخول العاصمة وإسقاط الشاه وبالفعل تمكن الثوار من الوصول إلى طهران يوم الحادي عشر من تموز عام ١٩٠٩م وتمكنوا من ضرب طوق حول المدينة لمراقبة الأوضاع والتهيؤ لدخول المدينة دون خسائر أو مصادمات مع قوات الشاه [٤].

تمكن الثوار بعد معارك متفرقة من دخول طهران يوم الثاني عشر من تموز عام ١٩٠٩م وسيطروا على بناية المجلس المهدمة، ومسجد سبهسالار المجاور وجعلوها مقرا لإدارة العمليات العسكرية، وانهارت القوات الحكومية داخل المدينة بسرعة ، إذ سلم لياخوف (Laikhov) نفسه إلى الثوار ، وتفاوضوا على خروجه من طهران سالما بواسطة السفير الروسي [٥]. أما الشاه محمد علي فأنه بعد فقدان الأمل في السيطرة على الأوضاع طلب اللجوء إلى السفارة الروسية مع أفراد عائلته ومقربيه ، وكما جاء في برقية له إلى قيصر روسيا ((**أنا وعائلتي وأبنائي تحت حمايتكم أيها الإمبراطور**))[٦].

١- نورالله دانشور علوي ، المصدر السابق ، ص٦٢ .
٢-حسن إعظام قدسي ، المصدر السابق ، ص٢٣٧ .
٣- محمد وصفي بومغلي ، الأحزاب والتجمعات السياسية في إيران ، ص١٠ .
٤- ادوارد براون ، تاريخ انقلاب إيران ، ص٣١٢.
٥- محمد حسن أديب خراساني ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ .
٦- حبل المتين ، شماره ٦١ ، سال سوم ، ٢٧ رجب ١٣٢٧ هـ .

وبالفعل فقد منحه الروس والانكليز أعلام دولهم كنوع من الحصانة الدبلوماسية إلى أن اتفق قادة الثورة على رحيله عن إيران مع عائلته، وتنصيب ابنه احمد شاه ملكا على البلاد في وقت احتفل الشعب الإيراني وعلى مدى خمسة أيام بانتصار الثوار وسقوط الشاه(١). وبهذه النهاية رفع علم المشروطية – الدستورية – من جديد في سماء طهران وانتهت فترة الاستبداد الصغير التي دامت عاما وثلاثة أسابيع ابتداءا من الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٠٨م ولغاية السادس عشر من تموز عام ١٩٠٩م (٢).

١- احمد كسروي ، تاريخ هيجدة ساله أذربيجان ، ص٦٣ .
٢- طاهر البكاء ، بعض من ملامح الثورة الدستورية ووقائعها ، ص١٧٣.

عودة المجلس الوطني

بدا المجلس الثاني أعماله في السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٠٩م، وفي مراسيم افتتاح المجلس كان أول المتحدثين سيد حسن تقي زادة ، فقد أثنى على المجاهدين الثوريين ، وثمن دور كل من ستار خان ،و باقر خان ، وسبهدار تنكابني ، و سردار اسعد في إعادة الدستورية وسقوط الشاه [١]. كما شكر وأثنى المجلس وبالغ في مدح البرفسور ادوارد براون (E.Browne) لمساهمته في الوقوف إلى جانب الثورة[٢].

إن المجلس الثاني شهد تراجعا واضحا لمصلحة كبار ملاكي الأراضي ، وقد انخفضت نسبة المقاعد المخصصة لطهران من ستين مقعدا إلى خمسة عشر مقعدا ، وزادت نسبة الأقاليم من ستة وتسعين إلى مائة وواحد مقعد ، وقد ظفرت الاتحادات القبلية والعشائرية التي دعمت الثورة في نضالها ضد الاستبداد ، كما هو الحال مع قبائل البختيارية بامتيازات جديدة في نسبة مقاعد المجلس ، وان المصالح هي التي حددت حجم وقوة اشتراكها في الثورة ضد الشاه ، فالمصالح هي التي حركتهم لا الأيدلوجيات [٣]. وكانت لجنة مؤلفة من ستة عشر عضوا قد تشكلت لتعديل قانون الانتخابات السابق بما يتفق والوضع الجديد ، وأقرت قانونا في أواخر تموز ١٩٠٩م بالاستعانة بالقوانين البلجيكية والفرنسية ، مع بعض التعديلات الأخرى [٤]. المفارقة في هذا المجلس الثاني انه على النقيض من المجلس الأول الذي كان يواجه سلطة الشاه والحكومة ومواقفهما المعادية لمقررات المجلس ، في حين المجلس الثاني كان على وئام مع الحكومة، ولكنه يواجه الضغوط الدولية (الروسية والبريطانية)[٥]. قام المجلس الثاني بإصدار تشريعات بلغت ثلاثين تشريعا الغرض منها معالجة الأمور الاقتصادية ، والمالية ، والإدارية ، وعالجت المسائل العدلية والمعارف، والصحة [٦]. في هذه الأثناء كان الشاه الذي نفي إلى روسيا بموجب المفاوضات التي جرت بين الثوار وممثلي السفارتين الروسية

١- حبل المتين ، تهران، شماره ٥٨ ، سال سوم ، ١٠ رجب ١٣٢٧ هـ .
٢- ايرج افشار ، أوراق تازة ياب مشروطيت ونقش تقي زادة ، ص١٧٠ .
٣- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ، ص١٧٥ .
٤- إبراهيم صفائي ، إسناد بركز يدة ، ص٢١١.
٥- احمد كسروي ، تاريخ هيجده ساله أذربيجان ، ص٧١.
٦- المصدر نفسه ، ص٧٣.

والبريطانية، يحاول إعادة عرشه بالقوة المسلحة ، إذ جهز جيشا من بقايا أنصاره ومعتمدا على قبائل كلهر التركمانية ، مع مساندة أخوه سالار الدولة الذي جمع بعض أنصاره من أكراد كردستان [1]. وقد انتحل الشاه شخصية تاجر باسم خليل بغدادي وعبأ أسلحته وعتاده في صناديق على إنها بضاعة تجارية يتاجر بها مع إيران ولكن يقظة الوطنيين أفشلت محاولته هذه المدعومة من قبل روسيا ، ومني الشاه بالفشل الذريع في سبيل إعادة عرشه بقوة السلاح ، فهرب الشاه من إيران عائدا إلى روسيا [2]. اعتبر المؤرخون إن نفوذ رجال الدين قد تزايد في المجلس الثاني عن نفوذ المثقفين بنسبة ٢٠% إلى ٣٣% ، ولكن هذه الزيادة العددية قللت من نفوذ رجال الدين تجاه المثقفين الذين أصبحت لهم الكلمة المسموعة بعد انحسار تيار رجال الدين المتشددين الموالين للسلطة مثل الشيخ فضل الله نوري ، والانسحاب القسري للسيدين البهبهاني والطباطبائي الذي فرضت عليه الإقامة الجبرية [3]، ولكن الصراع الخفي ظل قائما بين المثقفين من جهة ورجال الدين من جهة أخرى وبين رجال الدين أنفسهم فمنهم المجددون الذين يؤيدون الدستورية وتطبيقها في المجتمع الإيراني ذا الطابع الإسلامي دينيا والإقطاعي اجتماعيا ، بمقابل رجال دين متشددين – محافظين – يدعون إلى المشروعة وهي نقيض المشروطية ، التي جرّت الويلات على علماء المسلمين وجعلتهم ينقسمون على أنفسهم وبالتالي انقسمت الأمة معهم وجرّت إلى مواقف مؤيدة ومعارضة [4].

كانت مواقف الشيخ فضل الله نوري منذ البداية رافضة للمشروطية – الدستورية – باعتبارها مخالفة للإحكام الشرعية ، وكان ينادي بضرورة قيام – مشروطة مشروعة – أي مطابقة تماما لإحكام الشرع ، وعدت هذه في وقتها نقطة خلاف وجدل قامت عليها صراعات ،وعمل الشاه محمد علي نفسه على تغذيتها وإثارتها لكسب الوقت وإضعاف جبهة الدستوريين بحجة إنهم ضد الدين والإسلام .

أن اللافت للنظر في الإجراءات الأولية التي اتخذتها قيادة الثورة إنها ركزت على مسألة الانتقام من شيخ فضل الله لتلك المواقف التي تبناها ، على الرغم من إن الثورة

١- طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٧٤ – ٢٧٥ .
٢- الشاه محمد علي أقام في ايطاليا بعد ذلك ومات في عام ١٩٢٥م وأوصى بدفنه بكربلاء . انظر : طلال مجذوب ، المصدر نفسه ، ص٢٧٧.
٣- مهدي أنصاري ، المصدر السابق ، ص٢٣.
٤- فؤاد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص١٩٩ ؛ علي الوردي ،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ص٨٥ .

كانت لديها أولويات وقضايا كان عليها معالجتها منذ البداية ، فبعد سيطرة الثوار أعلنوا عن تشكيل مجلس أعلى للثورة - مجلس عالي - ضم في عضويته خمسمائة من قادة الثورة ونواب المجلس السابق ، ولوجود فراغ دستوري فأن الثوار شكلوا لجنة الإدارة ((هيئت مديريت)) مهمتها تمشية أمور الدولة لحين تشكيل حكومة جديدة ، وأصبح محمد خان سبهدار وزيرا للحربية وسردار اسعد وزيرا للداخلية [١]. وبدأوا بحملة اعتقالات لأركان النظام السابق ،على الرغم من إنهم أجازوا خروج الشاه من إيران ، مع بعض الضمانات لحقوقه [٢]. وبدأوا بتشكيل محكمة للثورة التي بدأت بحملة اعتقالات وتحقيقات لاسيما مع شيخ فضل الله نوري الذي وجهت إليه تهمة معاداة الدستورية وتكفير المثقفين أمثال تقي زادة ، وشق وحدة الإيرانيين من خلال تعميق الخلاف بينه وبين رجال الدين المجددين وفئات المثقفين [٣]. في وقت رد فيه فضل الله نوري على تلك الاتهامات ، بأنهم لو كانوا جادين في عملهم فكيف يتركون رأس عدو الدستور الأول – محمد علي شاه – وقاتل الشعب ومهدم المجلس الجنرال لياخوف – Luikhov – وكذلك تساءل عما فعله الثوار مع الصدر الأعظم السابق – عين الدولة – الذي أمعن في قتل الشعب الإيراني وحارب الدستوريين ودمر اقتصاد البلاد بسياسته الموالية للأجانب [٤]. ثم بين فضل الله الذي أصدرت المحكمة الثورية قرار الإعدام بحقه، انه لو كان محبا للسلطة والحياة لقبل اللجوء والأمان الذي منحته إياه بريطانيا وروسيا وضمنت له حياته ، ولخرج مع من خرجوا من أتباع الشاه [٥]. وفضل الشهادة – الموت- على الحياة تحت راية الكفر التي حاربها لمدة سبعين عاما تحت راية الإسلام [٦]. اعتبر رجال الدين إن إعدام الشيخ فضل الله نوري في العشرين من تموز عام ١٩٠٩م سابقة خطيرة وابدوا أسفهم وحزنهم، لأنهم لم يتصوروا أن تصل الأمور إلى حد المواجهة الدموية ، وخاصة إن الفاتحين المجاهدين استثنوا كثيرا من رموز وشخصيات النظام القاجاري وسارعوا إلى اعتقال فضل الله وإعدامه ، لاسيما إن اعتقاله وإعدامه قد تم على يد الأرمن ، وهذا يعد اهانة بحق

١- نورالله دانشور علوي ، المصدر السابق ، ص٧٠.
٢- الضمانات هي الخروج مع عائلته ، و تسديد كافة ديونه الشخصية البالغة ٤.١١٣.٤٣٤ تومانا مع تخصيص راتبا له قدره مائة الف تومان سنويا . ينظر : طلال مجذوب ، المصدر السابق ، ص٢٧٠.
٣- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد ششم ، ص٦٨ .
٤- مهدي أنصاري ، المصدر السابق ، ص٣٦٠ .
٥- حسن دهقاني ، از باريس تا بها رستان باسردار اسعد بختياري علي قليخان ، انتشارات مركز إسناد انقلاب إسلامي ، قم ١٣٨٠ هـ ، ص٧٨.
٦- حسن إعظام قدسي ، المصدر السابق ، ص٢٤٥.

المسلمين [١]. أنصاره في النجف الاشرف (دعاة المشروعة) أمثال محمد كاظم اليزدي انزعجوا من هذا التصرف وأدانوه بشدة وحتى إن اليزدي رفض مقابلة أي إيراني وكان يردد إن الإيرانيين بلا دين [٢].

حتى مخالفيه في الرأي أمثال السيد الطباطبائي -الذي كان منفيا في خراسان - أقام مجلس عزاء وبعث ببرقية تعزية إلى عائلته وعد إن إعدام الشيخ من أعمال أعداء الإسلام وإيران ، وهدفه إضعاف استقلال وعظمة إيران [٣].

وبالنتيجة عدت هذه الحادثة نقطة ضعف سلبية تجاه دعاة الدستورية من مثقفين او رجال دين ، لأنها لم تعالج بشكل عادل ، ووصمت الثورة الجديدة بالدموية والإرهاب [٤].

لم تقتصر حملة التصفيات على شيخ فضل الله إنما امتدت إلى شخصيات أخرى كانت وقفت بالضد ومخالفة الرأي لأصحاب التوجهات الدستورية ، بل إن التصفيات امتدت إلى العناصر التي كانت محسوبة على الدستور وعملت من اجله ولكنها بقيت مدافعة عن الإسلام مثل السيد عبدالله البهبهاني [٥]. الذي كان ضحية التيار الجديد من المثقفين المتطرفين الذين حاولوا إزاحة الرعيل القديم وفرض توجهاتهم في السياسة الإيرانية الجديدة [٦]. فقد عمل سيد حسن تقي زادة وبحكم تسلمه لزمام الأمور في تصفية العناصر المعتدلة ، فعمد إلى تحريك الفرق الثورية الموالية له التي يقودها حيدر خان عمو اوغلي لاغتيال السيد البهبهاني وبالفعل تم اغتياله على مرأى ومسمع من عائلته [٧] . مما أثار ضجة قوية ضده تمثلت في رسالة من قبل الخراساني والمازندراني وتضمنت دعوة صريحة لطرده من المجلس ، إذ عد شخصاً غير أمين ولا يجوز قانونا وشرعا أن يستمر في عمله في المجلس وان إبعاده ضرورة ملحة لأنه مفسد وهذا ما دفع تقي زادة إلى طلب إجازة من المجلس لمدة ثلاثة أشهر ، لحفظ ماء وجهه ، وإبعاد حالة التشنج عن أجواء المجلس [٨]. ولكي تتم السيطرة من قبل المتطرفين في المجلس الثاني فقد بدأوا بإبعاد

١- محمد تركمان ، مجموعة أي از رسائل ، إعلامية ها ، مكتوبات وروزنامة شيخ شهيد فضل الله نوري ، جلد أول ، فرهنك رسا، تهران ١٣٦٣هـ، ص٧ .
٢- المصدر نفسه ، ص٣٣ .
٣- هما رضواني ، لوائح اقا شيخ فضل الله نوري ، نشر تاريخ إيران ، تهران ١٣٦٣هـ ، ص٤ .
٤- محمد تركمان ، المصدر السابق ، ص٣٥.
٥- هما رضواني ، المصدر السابق ، ص٨ .
٦- مهدي أنصاري ، المصدر السابق ، ص٣٨٩.
٧- روزنامة مجلس،تهران ، شماره ١٤٠ ، ١٣ رجب ١٣٣٨هـ .
٨- مهدي أنصاري ، المصدر السابق ، ص٣٩١ .

العناصر السابقة المؤثرة ، فحاربوا عودة البهبهاني من منفاه في العراق لأخذ مكانته ولعب دوره السياسي ، ووصلت بهم الجرأة أن هددوه بعدم العودة ، أو العودة دون لعب دور في أعمال المجلس وهذا اضعف الإيمان [1]. بل إن البعض اعتبره المسبب الرئيس لوقوع فترة الاستبداد الصغير – ضرب المجلس وتعطيل الدستور- [2].

وأصبح البهبهاني يتلقى التهديدات الواحدة تلو الأخرى ، وكلها تدعوه إلى الابتعاد عن مسرح الأحداث السياسية ، وان يكتفي بمتابعة أعماله الشرعية ، وان هذه الأعمال مفصولة عن النشاطات السياسية - فصل الدين عن السياسة - [3] وهكذا قدر للمجلس الوطني الثاني أن يستمد توجيهاته وإلهاماته من مناطق القفقاس ، إذ الجمعيات الاشتراكية الديمقراطية ، بعد أن كان المجلس يستمد قوته وتوجيهاته من النجف الاشرف، يدل هذا على تزايد النفوذ الغربي في توجهات المجلس ، والتأثير على قراراته وأعماله [4].

حاول رجال الدين الذين وقفوا إلى جانب الدستور، ودعموا المجلس ، وفرضوا في وقت سابق آراءهم وتوجهاتهم ضد جبهة المثقفين ، أن يعيدوا هيبة وسطوة رجال الدين إلى المجلس [5]. فقد بعثوا من النجف الاشرف ببرقية بتاريخ السابع من كانون الاول عام ١٩٠٩م وبتوقيع الخراساني والمازندراني لبحث مسألة المادة الثانية من الدستور التي تنص على إشراف لجنة خماسية من كبار المجتهدين على مقررات المجلس وإعطاء حق الأشراف لرجال الدين غيران المجلس تجاهل هذه البرقية ، مما اضطرهم إلى أن يبعثوا ببرقية ثانية مؤرخة في العشرين من كانون الاول عام ١٩٠٩م ،إذ قرئت على نواب المجلس بعد يومين وقد عد نواب المجلس إن ذلك مخالف للدستور وتدخل في شؤونه [6].

على اثر هذا الموقف المستهين برجال الدين ، فقد بعثوا ببرقية شديدة اللهجة إلى المجلس وقد تجاهلها المجلس لفترة من الزمن ، وهذا يعطي دلالة واضحة على بداية الضعف في تأثير قوة رجال الدين على المجلس وقراراته [7].

١- محمد مهدي شريف كاشاني ، المصدر السابق ، ص٤١٩ .
٢- ايرج افشار ، اوراق تازة باب مشروطيت ونقش تقي زادة ، ص١٧٥.
٣- احمد كسروي ، تاريخ هيجدة سالة أذربيجان ، ص٧٣.
٤- فريدون ادميت ، انديشة ترقي وحكومت قانون ، ص١٣٧.
٥- مهدي أنصاري ، المصدر السابق ، ص٣٩٦.
٦- إبراهيم صفائي ، رهبران مشروطة ، ص٧٨.
٧- مريم جواهري ، المصدر السابق ، ص١٩٥.

انقسم المجلس على نفسه وبرزت داخله كتلتان متنافستان ، الكتلة الأولى تألفت من ٢٧ عضوا انتظموا في الحزب الديمقراطي ، والكتلة الثانية ضمت ٥٣ عضوا سميت حزب الاعتداليين [١].

تأسيسا على ما تقدم يمكن أن تنطبق مقولة (الثورة تأكل رجالها) فما إن استقرت الثورة من جديد بعد فتح طهران بدأت الصراعات السياسية تأخذ طابع التصفيات الجسدية بين الاتجاهات المختلفة ، كان هذا بادرة خطيرة أدت إلى إضعاف قيادة الثورة فيما بعد ، وعدم الانسجام في اتخاذ المواقف الموحدة الكبيرة تجاه قضايا مصيرية تخص البلاد ، كما إن الثورة الدستورية وقعت أسيرة الاتجاهات القبلية ، وسلطة كبار الملاكين بعد إن كان يقود دفتها رجال فكر ودين ، وينظرون لمستقبل البلاد ضمن دستور متطور مقتبس من دساتير أوربية ، وأصبح خانات ورجال البختيارية وأزلام سبهدار يتبوؤن المناصب المهمة في البلاد ويستثمرون كل إمكانيات البلاد لصالحهم الخاص ، مقابل مثقفين ورجال الدين كانوا قد ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل إنجاح تجربة ديمقراطية ، واتحاد شعب ذاق الأمرَّين من ظلم وتعسف الاستبداد ، وهكذا تخلص الشعب الإيراني من استبداد الحكم الشاهنشاهي ليقع تحت حكم عشائري يؤمن بالدستورية ظاهرا ويطبق سياسة الاستبداد باطنا .

١- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٧٦.

المبحث الثالث
انتكاسة الثورة الدستورية

شهدت إيران في فترة تشكيل المجلس الثاني ظاهرة بروز الاتجاهات الحزبية، وبداية عمل الأحزاب السياسية ، لتكون البديل الأعظم لحركة المثقفين الليبراليين ورجال الدين المجددين والتوجهات الفكرية الأخرى ، ورغم تباين وجهات النظر بين حزبي اعتدا ليون وديمقراطيون غير إنهما استطاعا استقطاب الحركة الجماهيرية والسير بها نحو مواجهة الأحداث السياسية التي مرت بها البلاد .

تشكل حزب اعتدا ليون من مجموعة رجال الدين المجددين ، الذين لعبوا دورا فاعلا في صنع الثورة الدستورية ، فالسيد محمد صادق الطباطبائي سار على نهج والده سيد محمد طباطبائي في المطالبة بالدستور ، ورفض النظام القاجاري ، وقد عمل إلى جانبه مجموعة من رجال الدين ، والشخصيات الفكرية المحسوبة على التيار الديني أمثال سيد نصرا لله اخوي الذي مثل طلاب المدارس الدينية عند قيام الثورة في عام ١٩٠٥م [١]. وقد تركز عمل الحزب في طهران ، وكانت له فروع في بعض المدن مثل كرمنشاه ، كرمان أصفهان ، تبريز ، مشهد ، مازندران ، واراك [٢].

أما الحزب الديمقراطي ، فقد تشكل من الحزب الاجتماعي الشعبي وانضمام بعض الجمعيات الوطنية إليه التي تضم العناصر الثورية المتطرفة ، وقد قام بتشكيله سيد حسن تقي زادة الذي عاد إلى طهران بعد فتحها [٣]. ضم الحزب العناصر المتطرفة التي تؤمن بالأفكار اليسارية المتأثرة بأفكار التيارات والحركات الثورية في القفقاس ذات الطابع الاشتراكي ، وقد شكلوا لجنة مركزية تدير أعمال الحزب ونشاطاته [٤].

١- محمد تقي بهار ، تاريخ مختصر أحزاب سياسي إيران انقراض قاجارية ، جلد أول ، انتشارات أمير كبير ، تهران ١٣٧١ هـ ، ص١٤ .
٢- أبو الحسن علوي ، المصدر السابق ، ص٥٩ .
٣- كما ذكر سابقا إن سيد حسن تقي زادة وعند أحداث ضرب المجلس في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٠٨م قد التجأ إلى السفارة البريطانية ليغادر بعدها إلى أوربا وأمريكا ، وعاد مع فتح الثوار لطهران في الثالث عشر من تموز عام ١٩٠٩م . ينظر : مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد ششم ، ص٣٢٩ .
٤- محمد تقي بهار ، المصدر السابق ، ص١٠.

واصدر الحزب جريدة بعنوان (إيران نو) أي إيران الجديدة اشرف عليها رسول زادة [١]. شكل الحزب فروعا له في الولايات الإيرانية وخاصة في مشهد ، إذ أسس فرع الحزب حيدر خان عمو اوغلي واصدر جريدة باسم ((نوبهار)) أي الربيع الجديد [٢]. وفي تبريز شكل فرع عدّ من أهم الفروع الحزبية نشاطا، إذ اصدر جريدة ((شفق)) ، وتأتي أهمية الفرع كون تبريز ملتقى الأفكار الاشتراكية ومنها نسبة عالية من المثقفين والمعارضين للنظام القاجاري ولقربها من دول فيها أفكار ثورية دستورية كالدولة العثمانية ومن روسيا حيث انتشار الأفكار الاشتراكية [٣]. كان المأخذ على حزب الديمقراطيين انه لم يضم عناصر من رجال الدين أو طلاب المدارس الدينية إذا استثنينا النفر القليل الذين كانت لهم توجهات دينية سابقة، ولكنهم تأثروا بالأفكار الاشتراكية فيما بعد [٤]. وكان هذا سلاحا في يد المنافسين له وكانوا يصفون أعضاءه بالكفر والفساد ويقولون في صحفهم لماذا لم ينتسب احد من الروحانيين إلى حزب الديمقراطيين [٥].

زيادة على هذين الحزبين تشكلت في إيران أحزاب ذات توجهات محدودة في المجلس مثل حزب الاتحاد والترقي الذي اصدر جريدة (استقلال إيران) وكذلك الحزب الليبرالي وحزب النهضة ، وهي أحزاب صغيرة ذات دور هامشي في المجلس [٦]. ومن الأحزاب السابقة فأن حزب المستبدين الذي ضم عناصر مقربة من الحكم القاجاري كان هدفه الوقوف في وجه التيارات المطالبة بالدستور فقد انتهى دوره ، في حين بقي حزب داشناكسيون الارمني مستمرا في عمله وهو يعمل من اجل الطائفة الارمنية [٧].

تركزت أهداف الحزب الديمقراطي على حفظ استقلال ، وحرية إيران مع التأكيد على تطبيق الدستور ومبادئه ، وإلغاء الفوارق بين طبقات الشعب التي أقرت الدستور الأولي ، أي تأكيد الحزب على المبادئ الاشتراكية والقضاء على النظام الإقطاعي ، والدعوة إلى بناء مجتمع جديد يؤمن بحرية المرأة ، والتعليم المجاني وسنّ قانون التجنيد

١- كريم طاهر زادة بهزاد ، المصدر السابق ، ص٤٩٠ .
٢- منصورة اتحادية (نظام مافي) بيدايش وتحول أحزاب سياسي مشروطيت ، كستردة ، تهران ١٣٦١ هـ ، ص٣١ .
٣- علي مراد فراشبندي ، تاريخجة حزب دمكرات فارس ، انتشارات فرانكلين، تهران ١٣٥٩ هـ ، ص١٤ .
٤- منصورة اتحادية ، المصدر السابق ، ص٣٣ .
٥- محمد وصفي بو مغلي ، الأحزاب والتجمعات السياسية في إيران ، ص٢٥ .
٦- محمد تقي بهار ، المصدر السابق ، ص١١.
٧- محمد وصفي بو مغلي ، الأحزاب والتجمعات السياسية في إيران ، ص١٧ .

الإجباري ، وإنهاء عمل الأطفال وتحديد ساعات العمل [١]. إن الخطوة الأساسية التي عدها الحزب ضرورية لبناء مجتمع ديمقراطي هي فصل الدين عن السياسية [٢].

وكان حيدر خان عمو اوغلي (الذي أصبح فيما بعد سكرتيرا أول للحزب الشيوعي الإيراني) قد ساعد في تأسيس نقابات عمال الطباعة والبرق مع زميله محمد أمين رسول زادة الذي أسس صحيفة (إيران نو) التي خدمت الحزب ولاقت رواجا فاق رواج سائر الصحف الصادرة في طهران ، وكانت الصحيفة تكتب في مجالات الإصلاح الاجتماعي وأسس لدعاية قوية عن أسس الماركسية في إيران [٣]. لهذا كان اختلاف وجهات النظر في الموقف من الدين قد عمقت الخلاف بين الحزبين ، فطبقه التجار المتحالفة مع رجال الدين كان يرون إن الديمقراطيين الذين ينادون بالإصلاح إنما هم ألد أعداء الإسلام ، في حين عدّ الديمقراطيون المعتدلين إنهم يتاجرون باسم الدين [٤].

أما أهداف الحزب الاجتماعي المعتدل فهي حفظ الأوضاع الاجتماعية الحالية مع إقرار دستور يحفظ شرعية الحكم الملكي ((الملكية الدستورية)) ، فالاتهامات كانت قائمة بين الحزبين حول المسائل التي تخص الدستور، والنظام، والقوانين [٥]. فالديمقراطيون يتهمون الاجتماعيين المعتدلين ، وكما جاء على لسان محمد أمين رسول زادة ((منظر الحزب)) إن الاجتماعيين يريدون حفظ مصالحهم الشخصية ومصالح طبقاتهم المستفيدة على حساب طبقات الشعب ، وان الأمل في عودة الماضي قد ولى ، وانه لا فرصة لعودة الأوضاع إلى عهد ناصر الدين شاه ، عندما كان الرجعيون والملاك والأعيان مستفيدين من تلك الأوضاع [٦]، وحتى إن محمد أمين رسول زادة انتقد الحزب الاجتماعي المعتدل على تسميته وإنها تحمل التناقض بعينه فكلمة اجتماعيون تعني الاشتراكية في حين اعتدا ليون تعني المحافظين التقليدين ، فكيف الجمع بين النقيضين [٧].

١- اروند إبراهيميان ، إيران بين ثورتين ، ص١٥١ .
٢- مريم جواهري ، المصدر السابق ، ص١٨٧.
٣- اروند إبراهيميان ، إيران بين ثورتين ، ص١٥٠ .
٤- أبو الحسن علوي ، المصدر السابق ، ص١٨٩ .
٥- على مراد فراشبندي ، المصدر السابق ، ص١٦.
٦- المصدر نفسه ، ص٢٧.
٧- محمد تقي بهار ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

انعكست هذه الخلافات الحزبية على عمل المجلس الثاني ، فقد بدأت حول تسمية او ترشيح رئيس الوزراء الذي أراده الديمقراطيون أن يكون المثقف الليبرالي ميرزا حسن مستوفي الممالك * في حين أصر المعتدلون على ترشيح محمد ولي خان تنكابني [١].

كما إن قبائل البختيارية قد حصلت على حصة الأسد ، فقد استحصلت من الخزينة المركزية على مبلغ شهري قدره عشرين ألف تومان بدعوى حراسة الطرق الخارجية زيادة على الضرائب المباشرة من الناس [٢].

وأصبح المجلس منبرا للمهاترات والخطب الرنانة ، وكل عضو في المجلس يريد كسب شعبيته وتأييد الجماهير من خلال تلك الخطب ، ويقول الوزير المفوض البريطاني إن الإيرانيين سيبقون على مدى جيلين غير جديرين بالنظام الدستوري ، وان بريطانيا مسؤولة عن نشر الديمقراطية في البلاد التي لا تصلح لها [٣].

دفعت الخلافات بين الحزبين إلى التصفيات الجسدية ، فجماعة حست تقي زادة التي عملت على تصفية السيد البهبهاني ، قد دفعت ضريبة عملها هذا إن خسرت شخصية حميد خان تربيت في تبريز وهو زوج أخت تقي زادة [٤]. في الوقت نفسه بدأت مشاكل البلاد بالتفاقم وأهمها حاجة البلاد إلى الأموال اللازمة لإنفاقها في عملية إصلاح الوضع الاقتصادي المنهار ، وكثرت الحروب العشائرية مما أدى إلى ضعف الحكومة المركزية[٥]، كما ان ضعف دور الفلاحين وهم الطبقة الأكبر في المجتمع الإيراني، إذ يؤلفون ٩٠% من العاملين في المجتمع ، دون أن يكون لهم مقعد واحد في المجلس مع عدم انجاز الثورة الدستورية لمهامها الأساسية ، وبضمنها التخفيف من ظلم النظام الإقطاعي الذي يجاهر بعدائه للديمقراطية الليبرالية مع عدم محاولته لتحسين أوضاع

---

* ميرزا حسن مستوفي الممالك : من مواليد طهران عام ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٢م ،أتقن اللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية يؤمن بوجوب سيادة القانون في الحياة السياسية ، كان متأثرا بمفاهيم الثورة الفرنسية ومعجب بالأنظمة الليبرالية الغربية ، تقلد العمل الحكومي حتى أن تبوء آخر شيء وزارة الحربية عدة مرات ، وكان يعتبر إن الدستورية خير وسيلة لحل مشكلات البلاد السياسية والاقتصادية، يخص باحترام المجلس والحكومة . انظر : عليرضا أوسطي ، المصدر السابق ، ص١٨٣.

١- اروند إبراهيميان ، إيران بين ثورتين ، ص١٥٣.
٢- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، ص١٢٢ .
٣- المصدر نفسه ، ص١٢٦.
٤- ايرج افشار ، أوراق تارة باب ، ص١٧٩ .
٥- علي قلي محمود بختياري ، المصدر السابق ، ص٥٧ .

الفلاح [١]. في وقت سيطرت البختيارية على مقاليد الحكم والمناصب المهمة ، وكان البختيارية تحركهم النوازع القبلية ولا يملكون أيدلوجية فكرية او طروحات فكرية لبناء أوضاع البلاد المنهارة ، وبدأت هذه العشائر تنظر إلى الدستور على انه تغطية مهمة للهيمنة البختيارية على مقاليد الأمور في البلاد [٢]. الذين كانوا قد بدأوا بحماية المنشئات النفطية التي تديرها شركات بريطانية مقابل ٣٠% من أرباح الشركة [٣].

كانت كتلة الديمقراطيين التي سيطرت على قرارات المجلس ، قد دعت إلى إصلاح الأوضاع الاقتصادية وأولتها الأهمية القصوى ، لان الفساد قد دب بشكل كامل في مرافق الدولة وتعذر الإصلاح بالخبرات المحلية مما تتطلب التوجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية لطلب المساعدة ، وبالفعل وبناءً على اقتراح ناظر الخارجية الأمريكية عين احد موظفي بنك ((Union Trust)) في واشنطن المدعو موغان شوستر (W.Morgan Shuster) [٤]. تتلخص مهمة مورغان شوستر الذي وصل إيران في الحادي عشر من ايار عام ١٩١١م الإشراف على مالية الدولة وتنظيم موازنتها وقروضها ، فأصبح شوستر مسؤولا عن كثير من المؤسسات والدوائر الحكومية ، ومنحه المجلس صلاحيات واسعة تجعله أكثر فاعلية لانجاز ما كلف به من تنظيم الإيرادات والنفقات ، مع انه كان يعمل بكل جد لتعزيز النفوذ الأمريكي دون أن توجه له هذه التهمة [٥]. عمل مورغان شوستر على تأسيس قوات خاصة قوامها اثنا عشر ألف رجل مسلح ، مهمتها جمع أموال الدولة وضرائبها ، ولكي تكون عليها الهيبة ومظهر القوة في مناطق نادرا ما تخضع او تخشى سلطة الحكومة ، كمناطق العشائر وأصحاب النفوذ القوي [٦].

وعمل مورغان شوستر على تعيين ضابط بريطاني – ستوكس (B.Stokes) وهو ملحق عسكري في البعثة الدبلوماسية بطهران ، عينه قائدا لهذه القوات ، وكان هذا الضابط كارها للنفوذ الروسي في إيران ، وغرض شوستر هو زرع الخلاف بين الروس والانكليز للاستفادة من هذا الوضع [٧]. وبسبب هذه الأوضاع جرت مناوشات بين القوات

١- محمد كامل محمد عبد الرحمن ، الفلاح الايراني في العهد البهلوي ، ص٣٣.
٢- اروند إبراهيميان ، إيران بين ثورتين ، ص١٥٤ .
٣- المصدر نفسه ، ص١٥٥.
٤- كارل بروكلمان ، المصدر السابق ، ص.٦٨٠

4-Robert A. Mc . Daniel , The shusterr Mission and the Persian constitutional revolution , Minnesota , 1974 , P.126.
5-Ibid , P.128.
6-Ibid , P.141.

الروسية والقوات التي يشرف عليها الميجر ستوكس بسبب قضية شجاع السلطنة * ، مما اضطر الروس في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩١١م إلى الطلب رسميا بإقالة شوستر [١]. لان غلطته القاتلة انه تجاوز كثيرا حدود المصالح الأجنبية الروسية بالذات في إيران مما جعل الكيل يطفح لدى الروس [٢].

تحين الروس الفرصة للانتقام من الدستوريين ، بسبب موقفهم المعادي للاستبداد وطردهم لحليفهم الرئيس – الشاه محمد علي – وفتح البلاد على الأفكار الثورية الاشتراكية التي تناصب العداء للحكم القيصري المستبد ، فكان لابد من اخذ الثأر .

في يوم التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١١م قامت روسيا بتوجيه إنذار إلى الحكومة الإيرانية، حددت فيه جملة مطاليب أبرزها طرد البعثة المالية التي يقودها مورغان شوستر ، ودفع تعويضات بقاء القوات الروسية على ارض إيران ، وعدم استقدام الأجانب إلا بموافقة روسيا وبريطانيا [٣]. وحدد الإنذار مهلة ثمانية وأربعين ساعة لقبول تلك المطاليب وإلا فأن القوات الروسية ستقوم بالتوغل جنوبا واحتلال طهران وإسقاط الحكم الدستوري الثوري [٤]. فهم الدستوريون أن المقصود بهذه الرسالة هو ليس شخص شوستر وإنما الحركة الوطنية الإيرانية الممثلة بالمجلس الوطني المنتخب الممثل لفئات الشعب التي ناضلت كثيرا من اجل إقرار حكومة الدستور وسلطة القانون [٥].

قامت قوى الشعب المختلفة بإعلان حالة الثورةوالاحتجاج مستلهمةً مواقفها من دعم الحكومة والمجلس والقوى الوطنية والمثقفين، ففي هذه الفترة تضافرت جهود الحكومة والمجلس والشعب ضد هدف مشترك وعدو واحد هو العدو الروسي [٦]. على عكس أيام الثورة الأولى ، عندما كان الوطنيون (مثقفون ومجددون ورجال دين

---

* شجاع السلطنة : أخوه الشاه محمد علي كان صاحب أملاك واسعة في مناطق الشمال وخاصة تبريز، وقد تعاون مع أخيه الشاه في عملية استرداد العرش الفاشلة ، مما دفع المجلس إلى إصدار قرار بمصادرة أملاكه ، وعندما حاول مورغان شوستر تطبيق القرار بحكم وظيفته منعته القوات الروسية من انجاز مهمته . راجع: كارل بروكلمان ، المصدر السابق ، ص.٦٨١

1-Robert A. McDaniel , Op . Cit , P.142 .

٢- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في إيران ١٩٠٥-١٩١١، ص١٨٤ .

٣- مريم جواهري ، المصدر السابق ، ص٢١٢.

٤- عبدالله بهرامي ، المصدر السابق ، ص١٧٩ .

5-Robert A. Mc Daniel , Op.Cit , P.153.

٦- محمد تقي بهار ، المصدر السابق ، ص ٩٤.

وشخصيات اجتماعية وتجار) يحاربون الحكومة والقوى الخارجية لا سيما الروس المستبدين المعادين للدستورية دوما [١].

وكانت العناصر الرجعية مستهدفة من قبل الثوريين المتحمسين ضد الروس رغم إنهم اخفوا رؤوسهم واسكتوا أفواههم خوفا من نقمة الشعب ، غير ان الذي يظهر منهم ينال عقابه ، كما هو الحال مع علاء الدولة الذي يعدّ من رجال النظام القاجاري ومن اشد المتحمسين لترشيح النفوذ الروسي في إيران [٢]. قام المثقفون والمجددون بتحريض الوطنيين على الهجوم على شبكات الترامواي التي كان للروس فيها النصيب الأكبر ، وتعرضوا لكل المصالح الروسية في البلاد ، ومقاطعة بضائعهم وتعاملاتهم التجارية ، كرد فعل لسوء سياساتهم [٣].

بدأت حملة الاستنكار تتصاعد ضد الموقف الروسي الذي أزّم الأوضاع باحتلاله المدن الإيرانية ووصوله إلى مدينة قزوين ، فأرسل رئيس المجلس رسالة إلى علماء النجف الاشرف اطلع فيها السيد الخراساني على خطورة الموقف [٤]. على أثرها اصدر الخراساني فتوى بَيَّن فيها إن مواجهة روسيا والدفاع عن إيران هو واجب عيني ، وفي رسالة بعثها من العراق جاء فيها : **((على كافة المسلمين ، وأصحاب النخوة الدينية إن الدفاع عن بيضه الإسلام واجب عيني ، وان منع الحملات الصليبية الظالمة من أهم الفرائض الدينية ، وان تتحد وتتعاون كافة القوى الإسلامية ، وان تتناسى الخلافات في وجهات النظر ، وان تلبي الدعوة المحمدية))** [٥].

كما بعث رجال الدين برسائل إلى حكام الولايات الحدودية يحثونهم على صد العدوان ومنع التقدم الروسي نحو إيران أكثر مما هو عليه [٦]. وكلما زادت حدة التهديدات الروسية نحو إيران ازداد الوعي الوطني وترسخت الوحدة الوطنية الإسلامية ، وبدأت المواقف تتوحد وتدعوا إلى وحدة إيران واستقلالها وعدم السماح بإيغال الروس في عدوانيتهم وتدخلهم السافر في الشأن الإيراني [٧].

١- محمد حسن أديب خراساني ، المصدر السابق ، ص٢٦٣.
٢- أبو الحسن علوي ، المصدر السابق ، ص١٩٠.
٣- المصدر نفسه ، ص ١٩٧ .
٤- حسين جودت ، از صدر مشروطيت تا انقلاب سفيد ،انتشارات أمير كبير، تهران ١٣٤٨ هـ ، ص١٩٣ .
٥- المصدر نفسه ، ص٢٠٠.
٦- علي مراد فراشبندي ، المصدر السابق ، ص٤.
٧- ناظم حسين ، المصدر السابق ،ص٧٦ .

كان الإنذار الروسي إلى إيران بمثابة الصاعقة التي نزلت على رأس الشعب والحكومة، فقد أثار غضب الشعب إلى حد الذي أعلن فيه استعداده للتضحية ولتحمل كافة التبعات، حتى المرأة الإيرانية تحركت بشكل فاعل وتجمعن في تظاهرة ضمت المئات ، وهن يحملن المسدسات والسكاكين ويهتفن بشعار (الموت أو الوطن)(١). أما موقف الأحزاب الفاعلة آنذاك وهي الديمقراطي، والمعتدل، وداشناكسيون الارمني، فقد أعلنت رفضها للإنذار الروسي واستعدادها للنضال والقتال من اجل منع وصد الاعتداءات الروسية ، وتخليص إيران من الهيمنة المتواصلة ضد بلادهم (٢).

ورغم خلاف هذه الأحزاب في وجهات نظرها غير إنها توحدت في سبيل حرية إيران وأعلنت نبذ الخلافات جانبا من اجل إنقاذ وسلامة الوطن ، وبادرت هذه الأحزاب إلى تشكيل لجنة ثلاثية مشتركة * لمتابعة الموقف السياسي ، كما اشترك أعضاء من الحزب الاشتراكي الديمقراطي من القفقاس ، لمواجهة العدو المشترك الروسي الذي يهدف إلى احتلال إيران وسلب استقلالها (٣).

وعلى الرغم من علم الحكومة الإيرانية وقواها الوطنية إن قدرة المقاومة اتجاه القوات الروسية ضعيفة وان الإمكانات الجيدة غير متوفرة ، لكن الحكومة لم تكن لترضخ أمام القوة الروسية وتقبل بالإنذار الروسي ، وهذا ما دفع الحكومة إلى طلب يد العون والمساعدة من بريطانيا (٤). والقيام ببعض الإجراءات البسيطة التي عدّها الوطنيون إنها تحد من قوة ونفوذ الروس منها صدور قرارات بتحريم المتاجرة والتعامل مع البضائع والسلع الروسية، وقطع العلاقات التجارية تماما كنوع من أنواع الضغط الشعبي الإيراني على الروس (٥).

رد البريطانيون على الطلب الإيراني بالاعتذار عن تقديم أي مساعدة لإيران في محنتها الحالية ونصحتها بقبول الإنذار الروسي ، وقد جاء هذا الموقف البريطاني من

١- علي مراد فراشنبدي ، المصدر السابق ، ص٢٣.
٢- منصورة اتحادية (نظام مافي) ، المصدر السابق ، ص٣٨.
* تألفت اللجنة من السيد احمد البهبهاني نجل السيد عبدالله البهبهاني ممثلا عن الحزب الاجتماعي المعتدل في حين مثل الحزب الديمقراطي السيد النائيني ، ومثل الحزب الارمني داشتاكسيون بيرم خان. ينظر: مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد هفتم ، انتشارات ابن سينا ، تهران ١٣٢٩هـ، ص٨٧ .
٣- المصدر نفسه ، ص٩٠.
٤- ناظم حسين ، المصدر السابق ، ص٧٩ .
٥- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد هفتم ، ص٩١.

توافق مصالحها مع روسيا ، وهو تدمير الثورة الدستورية [١]. نواب المجلس تجمعوا في المجلس وأعلنوا عن جلسة مفتوحة بشكل دائم حتى تحل هذه الأزمة ، وترفع حالة التشنج وفي هذه الجلسة قدم وزير الخارجية شرحا مفصلا عن قوة التهديد مقابل الضعف الإيراني وتحالف بريطانيا مع الروس ضد إرادة بلده ، وأعلن أن إيران في خطر محدق ما لم تسلم بقبول التهديد أو الإنذار الروسي [٢].

وفي جلسات المجلس صرح الحاج الشيخ محمد حسن الاسترابادي احد نواب المجلس: ((**ربما إن إرادة البارئ ، تحتم أن يمحوا استقلالنا ، ولكن لا يجوز أن نمحيه نحن بأيدينا**))[٣]. قامت الجماهير الإيرانية بالاعتصام حول المجلس وميدان بهارستان العام ، لكي تندد بالحملة الروسية ضد بلادهم ، وتؤازر المجلس في موقفه الرافض لقبول التهديد الروسي وتهتف بحياة المجلس ونوابه الأبطال [٤]. ومع موقف طهران العنيد ضد التهديد الروسي وقفت باقي المدن الإيرانية الموقف المعارض والمندد نفسه ، وبدأت حملة التصريحات والاجتماعات التي قادها رجال الدين والخطباء وبشعار موحد ((**إما الموت أو الاستقلال**))[٥]. كما ساندت القيادات الدينية المؤيدة للدستورية المواقف الإيرانية قبالة التهديدات الروسية فقد انهالت البرقيات من مصر ، والهند، والدولة العثمانية والتجمعات الإسلامية في كل الدول تعلن موقفها المساند للشعب الإيراني المسلم في محنته مع الكفار الروس [٦]. ومن العراق فقد تجمع السيد عبدالله المازندراني وعدد من طلابه ومريديه في بغداد لإعلان الدعم والمساندة للمجلس والحكومة الإيرانية ، وفي السياق نفسه هدد السيد محمد كاظم الخراساني بتسيير جيش إسلامي نحو إيران لمحاربة الروس الكفار ، ولكن المنية وافته في تلك الفترة [٧]. تخوفت القوى الوطنية الإيرانية من قيام روسيا باحتلال طهران وإنهاء استقلال البلاد وسحق الثورة الدستورية إلى الأبد فكان لابد من مرونة في العمل السياسي تجاه الموقف الصعب والمتشدد من قبل الروس ، فكان سيد

١- كروه نويسند كان ، أذربيجان دورة انقلاب مشروطة ، شبكة ارتباطات نوراور أذربيجان ، ١٣٨١هـ ،ص٦.
٢- محمد علي جلونكر ، المصدر السابق ، ص١١٤.
٣- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد هفتم ، ص٩٢ .
٤-عطا آيتي ، المصدر السابق ، ص٦١ .
٥- حسين جودت ، المصدر السابق ، ص١٣٥.
٦- سيد مصطفى تقوي ، المصدر السابق ، ص٥١.
٧- شكك كثير من المؤرخين في سبب وفاته التي وقعت يوم ١٢ / ١٢ / ١٩١١ وعدّت وفاته نتيجة سُمٌ دُس له بسبب مواقفه المعادية للاستبداد والقوى الاستعمارية. ينظر : مهدي أنصاري ، المصدر السابق ، ص٣١٩ ؛ عبد الرحيم محمد علي ، المصدر السابق ، ص٧٢ .

حسن تقي زادة يرسل رسائله من لندن إلى الدستوريين في إيران يدعوهم فيها ((**إلى كل الذين يريدون خير إيران ، انه من الضروري التصرف بحكمة ، وان المقاومة المسلحة قد تسبب في محو استقلال إيران والى الأبد**))[1]. وقد أصيب المثقفون بانتكاسة ومنهم تقي زادة من موقف بريطانيا المخيب للآمال ، وكما وصفت هذا الموقف صحيفة ((تازة بهار)) الربيع الجديد الطهرانية عندما قالت : إن الإنذار الروسي الذي قدم لحكومتنا قد أطاح باستقلالنا ولكن الحكومة البريطانية كانت وراء هذا الإنذار ، فكما ذكرنا مرارا وتكرارا فانه حين تحل مصيبة ما فأن الحكومة البريطانية هي التي تقوم بإعداد المقدمات لروسيا ، ثم تقف بعد ذلك موقف المتفرج [2].

عاش الدستوريون وباقي قطاعات الشعب ساعات حرجة تطلبت موقفا واضحا وشجاعا تجاه التهديد الذي هدد مصير البلاد ، وعدّوا تلك المسألة مسألة حياة او موت بالنسبة للأمة الإيرانية ، وعليه تقرر عقد جلسة موسعة للمجلس الوطني في الأول من كانون الأول عام ١٩١١م الذي قرر رفض الإنذار الروسي [3]. مما حفز روسيا على دفع المزيد من القوات نحو المدن الإيرانية والتوغل باتجاه طهران [4].

كان الاتجاه الملكي القاجاري الممثل في ناصر الدولة الوصي على العرش يهدف إلى عودة (الملكية المطلقة) ، فاستغل ظروف الاحتلال العسكري الروسي ونفوذهم السياسي القوي في وقت آزرتهم بريطانيا بحكم توافق مصالحها مع روسيا ، مع وجود حكومة ضعيفة عجزت عن حل مشكلات البلاد المستعصية [5]. أدرك رئيس الوزراء صمصام السلطنة وبعض وزرائه إن الأمور تستوجب قبول الإنذار الروسي خوفا على طهران من الاحتلال ، ولحفظ ما تبقى من ماء الوجه، وفي الاتجاه نفسه قام ناصر الدولة بالطلب من مورغان شوستر الخروج من إيران خلال أسبوعين ، وبالفعل فقد غادر مورغان شوستر إيران في الحادي عشر من كانون الأول عام ١٩١١م [6].

١- طاهر البكاء ، من تاريخ الحياة البرلمانية في إيران من الثورة الدستورية حتى سقوط رضا شاه ، ص٩٠ .
٢- أسعد محمد زيدان الجواري ، المصدر السابق ، ص٩٥ .
٣- حسين جودت ، المصدر السابق ، ص١٣٩ .
٤- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران ، جلد جهارم ، ص٩٤ .
٥- اروند إبراهيميان ، إيران بين ثورتين ، ص١٥٧ .
٦- نوري عبد بخيت ، المصدر السابق ، ص١٥١ .

قام الوصي على العرش القاجاري ناصر الدولة بحل المجلس في الرابع والعشرين من كانون الأول عام ١٩١١م واصدر قرارات منها منع الصحف من الصدور ، وإعلان الأحكام العرفية ، ونفي النواب والوطنيين إلى مدينة قم ، مع إعلانه عن حملة اعتقالات واسعة [١].

جعلت الأوضاع المتردية وحالة الانهيار العسكري والسياسي الحكومة في موقف ضعيف جدا ، فأعلنت فشلها ، من خلال قيام ((صمصام السلطنة)) آخر رئيس حكومة دستورية وبحالة مضطراً إلى التوقيع على وثيقة القبول بالإنذار الروسي ، وعند توقيعه إقرار القبول سجل ملاحظة تحت توقيعه يقول فيها (**وقعت تحت ضغط القوة**)[٢] .

الثورة الدستورية كانت بالنتيجة صراع وقمة المواجهة بين التقاليد الإجتماعية الإيرانية ضد التيارات الغربية ، وهي عملية تحول تاريخية كبيرة في مجالات النظام السياسي والإداري ، ولكن هذه الثورة انجرّت إلى منزلقات جانبية اضعف بريقها وقلل تأثيرها، فرغم طروحات المثقفين الواضحة بالدعوة إلى الأخذ بالسلوك الغربي إلا إنها لم تجد لها نفوذا في عمق التفكير الإيراني ، وبقي التقبل نحو التغير والإصلاح ضمن توجهات رجال الدين باعتبارهم لا يخرجون عن جادة الشرع والأحكام الإسلامية وان اجتهدوا في بعض المسائل المختلف عليها ، ويتضح مما سبق ذكر مدى قوة وتأثير القوى الدولية - روسيا وبريطانيا - على مجريات الأحداث الداخلية فمثلما كان عامل النفوذ الأجنبي سبباً رئيسا من أسباب الثورة فانه أيضا كان سبباً رئيساً في سقوط التجربة الدستورية بحكم قوة الضغط الأجنبي مقابل هشاشة الوضع الداخلي ، وانشغال الثورة والبلاد بحل المشكلات الداخلية وتصفية الخلافات والصراعات .

١- اسعد محمد زيدان الجواري ، المصدر السابق ، ص٩٧ .
٢- طاهر البكاء، بعض من ملامح الثورة الدستورية ، ص١٧٧ .

الخاتمة

الخاتمة

تعد الثورة الدستورية نتاجا لأفكار وإرهاصات وتفاعلات اجتماعية ، ولدت من رحم المجتمع الإيراني ، الذي عاش حالة تناقض بين متغيرات اقتصادية واجتماعية وفكرية مع جمود وانغلاق سياسي لم يطرأ عليه أي تغيير متمثلا بنظام حكم استبدادي مطلق ، مما استوجب حدوث تغيير جديد ، فكانت ثورة طالبت بنظام سياسي جديد يستند إلى صيغة دستور ينظم العلاقة بين السلطة الحاكمة والشعب .

قاد الثورة اتجاهان اختلفا في التوجهات الفكرية ولكنهما متفقان على هدف إقرار الدستور كحل لمشكلات البلاد المستعصية ، فكان تيار المثقفين الداعين إلى الليبرالية الغربية معتمدين على كتاباتهم في الصحف المحلي٩ والخارجية مع إصدارات متواضعة وضعوا فيها أفكارهم وتصوراتهم للحلول التي يمكن أن تنقذ البلاد من الوضع المتدهور بمقابل تيار رجال الدين ومنهم بالخصوص – المجددين- الذين قادوا المجتمع من خلال الفتاوى الدينية والبلاغات التي يصدروها في ثورتين الأولى ثورة التبغ التي مهدت لقيام الثورة الثانية المطالبة بالدستور الثورة المشروطية ، والتي توجت بالنصر في تحديد سلطات الشاه وإقامة مجلس وطني منتخب ، ينتقل إليه الصراع لاحقا بعد أن كان بين الشاه المستبد والجماهير المطالبة بتطبيق الدستور .

فالمثقفون مع ضعف وهشاشة رصيدهم الشعبي دخلوا في صراع على مراكز القوى والنفوذ مع رجال الدين الإصلاحيين الذين يحظون بدعم شعبي بحكم سطوة القيادات الدينية على غالبية الجماهير المسلمة التي تؤمن بالتبعية للمجتهد وفتواه .

وبقيت طروحات المثقفين مجرد أفكار غريبة لا تصلح لواقع المجتمع الإيراني الغارق بالجهل والعلاقات الإقطاعية وسلطة الاستبداد السياسي .

وعلى صعيد السياسة الخارجية لم تستطع قيادات الثورة (مثقفين ورجال دين) أن يحدثوا تغييرا في السياسة الخارجية لبلادهم التي كانت محكومة بثوابت أملتها مصالح الدول المتنفذة في إيران وهي روسيا وبريطانيا اللتان دعمتا الشاه في سياساته بحكم مصالحهما التي استوجبت عدم المساس بسلطة الشاه ، وعدتها شرعية لا يمكن المساس بها، فلهذا لم تكن في أهداف الثورة الإطاحة بنظام حكم الشاه وإقامة نظام بديل كالنظام الجمهوري .

وداخليا لم تحدث الثورة الدستورية متغيرات عميقة وسريعة في كيان المجتمع ، بسبب انغماس دعاتها المثقفين ورجال الدين المجددين في خلافاتهم الحزبية الضيقة وتقوية نفوذ كل منهم على حساب الآخر ، مقابل حجم قوة الشاه المدعومة من قبل روسيا وبريطانيا وبعض القوى الرجعية الداخلية المستفيدة من بقاء نظام الحكم الاستبدادي .

ومن المواقف المأخوذة على الثورة الدستورية إنها لم تستطع إنشاء جيش وطني قوي ومسلح لكي يحل محل فرقة القوازق التي كانت تأتمر من الخارج وتعمل ضد مصالح الشعب مما مكنها من ضرب المجلس الوطني وإجهاض الثورة وتعطيل الدستور لمدة عام تقريبا .

كما إن صراع مراكز القوى انتقل من صراع بين المثقفين ورجال الدين إلى رجال الدين أنفسهم من خلال انقسامهم إلى تيار يدعو إلى المشروطة وآخر يدعو إلى المشروعة المقيدة بتعاليم صارمة مستندة إلى الشريعة وهو اتجاه محافظ ، إذ استتبع هذا الخلاف انقسام الأمة الإسلامية إلى فريقين ووصل بتأثيره السلبي إلى العراق وخاصة في النجف الاشرف وسامراء .

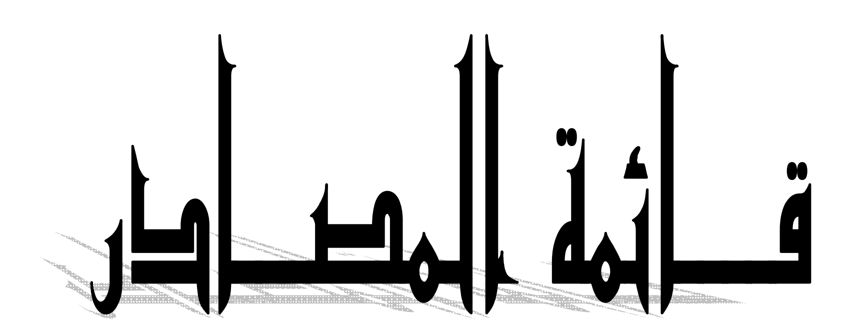
ولم يخمد هذا الصراع الذي توج بإعدام شخصية دينية كبيرة وهو شيخ فضل الله نوري ليحدث شرخا كبيرا في المؤسسة الدينية انقسم به رجال الدين إلى اتجاهين الأول تيار محافظ يرفض كل المتغيرات التي تطرأ في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثاني إصلاحي يدعو إلى مواكبة وتقبل وحلحلة الأفكار والسياسات الجارية على الصعيد الداخلي والخارجي .

بقيت الثورة الدستورية وتأثيراتها محصورة في العاصمة طهران دون باقي المناطق فكانت مساحتها الجغرافية محدودة جدا ، وان انتقلت بعد ضرب الثورة في طهران وحل المجلس إلى مناطق أذربيجان وأصفهان فأنها كانت محكومة بعوامل المصالح الشخصية والقبلية ، فانتقلت الثورة من طابع الجماهيرية إلى طابع القبلية والمناطقية فظهرت شخصيات وانتماءات عشائرية مثل قبائل البختيارية التي حلت محل الاتجاهات الفكرية في قيادة الثورة وتوجيه المجلس وتطبيق الدستور ، كما لعب أهل أذربيجان دورا فاعلا في إحداث الثورة باعتبار التبريزيين هم أكثر الناس ثورية وثقافة وأصحاب أفق سياسي واسع ، فانغمست الثورة في مصالح شخصية وجغرافية ضيقة .

لم تغير الثورة بكل أفكارها وطروحاتها الليبرالية والدينية من وضع معظم الإيرانيين الذين بقوا في فترة المشروطية يشكلون الطبقة الأوسع فقرا باستثناء القلة القليلة التي كانت

تنعم ببعض الخيرات ، ولم تحدث قفزات نوعية وملموسة في مجالات الصناعة والزراعة والتعليم .

بقيت البلاد أسيرة التدخلات الخارجية واستطاعت روسيا بإنذاراتها المشهورة ووقوف بريطانيا وبتوافق المصالح إلى جانب روسيا في إجهاض الثورة نهائيا ودخول إيران تحت سلطة الاحتلال الأجنبي وعودة النظام القاجاري المستبد إلى سنين طويلة ، لتنتهي الثورة بسبب قصور قادتها وضيق أفقهم السياسي في عالم محكوم بمصالح استعمارية من الصعب جدا الإفلات من قبضتها .


قائمة المصادر

أولا : الوثائق المنشورة

١- ف. و، برونده شمارة ٣٦/٤١٦ ، ضميمه ١ شمارة ٩٩، از مردم شيراز بنمايندكان دول خارجي در تهران ، ٢٧ دسامبر ١٩٠٥ .

٢- ف. و، ٣٦/٤١٦ ازكرانـت داف بـه سـر ادوار كـراي ، شـمارة ٣٧٧، تهـران ٢٨ دسامبر ١٩٠٥ .

٣- ف. و ، ٣٥/٤١٦ نامة ازداف به لانسدون ، شمارة ٦١ ، تهران ٢٧ نوفمبر ١٩٠٥.

٤- ف. و، برونده شمارة ٣٧/٤١٦ ، نامة ازكرانت داف به سرا دواركراي ، شمارة ١٩٨٣٣/١٤٦ ، تهران در ٢٣ مه ١٩٠٦ .

٥- ف. و ، بروندة شمارة ٢٨/٤١٦ نامة از سيد عبدالله به كرانت داف ، شمارة ٩٤ مؤرخة در ١٦ زونية ١٩٠٦ .

٦- ف. و، بروندة شمارة ٢٨/٤١٦ ازايولين كرانت به سرادوا رد كراي ، شمارة ٣٧٣٤٧/١٠١ ، تهران ١٠ اوت ١٩٠٦ .

٧- ف. و،٣٨/٤١٦ ازنامة داف به سركراي ، شمارة ٣١٠٩٨/٣٤٤، تهران در١٣ سبتمبر .١٩٠٦

٨- ف. و،٣٣/٤١٦ ازنامة رايس به سر كراي ، شمارة ٣٦٠٣٠/١٤٣،قلهك ١٠ يوليو ١٩٠٧ .

ثانيا : الرسائل والاطاريح الجامعية

١- امجد عبد الغفور محمد ، الدين والتحديث في ايران ، رساله ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، .١٩٨٨

٢- بايش جبار زيارة ، زن در شعر محمد تقي بهار ((ملك الشعراء)) ، بايان نامة دانشكده زبانها ، دانشكاه بغداد، ٢٠٠٠ .

٣- جلال نوحي ، بررسي تئوريها جامعة شناس انقلاب وميزان انطباق باانقلاب مشروطيت ، دانشكده ادبيات وعلوم انساني ، دانشكاه اصفهان ، ١٣٨٠ هـ.

٤- سميرة عبد الرزاق العاني ، العلاقات الايرانية الالمانية منذ اواخر القرن التاسع عشر – ١٩٣٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ .

٥- علي خضر عباس المشايخي ، ايران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨م – ١٨٩٦م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
٦- فوزي خلف شويل ، تغلغل النفوذ الامريكي في ايران ١٨٨٣م – ١٩٠٥م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .
٧- فوزية صابر محمد ، ايران بين الحربين العالميتين تطور السياسة الداخلية ١٩١٨-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٨٦.
٨- فيصل عبد الجبار عبد علي ، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في ايران ١٥٠١م – ١٩٠٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز دراسات العالم الثالث ، جامعة بغداد ، ١٩٨٨ .
٩- كورش صالحي ، تمركز وعدم تمركز در حكومت قاجار (١٢٥٠ – ١٣٢٤هـ) ، دانشكده ادبيات وعلوم انساني ، دانشكاه اصفهان ، سال ١٣٨٠ هـ .
١٠- محمد علي طه الجبوري ، تاريخ الحزب الشيوعي الايراني (توده) ١٩٤١-١٩٦٣ ، رساله ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٨ .
١١- محمد علي كاظم ، النظام السياسي في ايران دراسة في النظام الجمهوري ، رساله ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧ .
١٢- محمد كامل محمد عبد الرحمن ، الفلاح الايراني في العهد البهلوي ١٩٢٥-١٩٧٩، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، .١٩٩١
١٣- محمود عبد الواحد محمود ، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند (١٦٠٠-١٦٦٨) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ،١٩٩٣.
١٤- معد صابر رجب ، جمال الدين الافغاني واثره في الفكر السياسي العراقي ،اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، .١٩٩٩
١٥- نوروز اكبر زادكان ، مناسبات روسية ايران از دوران مظفري تا فتح تهران ، بايان نامه ، دانشكده ادبيات ، دانشكاه شهيد بهشتي ، تهران ، ١٣٧١ .

ثالثا : الموسوعات

١- ابراهيم عامر واخرون ، موسوعة الهلال الاشتراكية ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٨ .

٢- احمد عطية الله ، القاموس السياسي ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨ .

٣- الان يالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩ ـ ١٩٤٥ ، الجزء الثاني ، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين ، دار المامون للترجمة والنشر ، بغداد ١٩٩٢ .

٤- ب . ن . يوناماريوف ، القاموس السياسي ، ترجمة عبد الرزاق الصافي ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٧٤ .

٥- محمد حسن رازي ، نقباء البشر في القرن الرابع عشر ، جلد دوم ، انتشارات بزرك ، مشهد ١٤٠٣ هـ .

٦- منير بعلبكي ، المورد ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧ .

7-The Cambridge Atlas of the Middle East and World Africal , London 1987.

رابعا : الكتب باللغة الفارسية

١- ابراهيم تيموري ، عصر بي خبري يا تاريخ امتيازات در ايران ، جاب اقبال ، تهران ١٣٣٢هـ .

٢- ـــــــــــ ، تحريم تنباكو اولين مقاومت منفي در ايران ، شركت سهامي كتابها جيبي ، تهران ١٣٦١هـ .

٣- ابراهيم صفائي ، اسناد بركزيدة ،انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٧١هـ .

٤- ـــــــــــ ، رهبران مشروطة ، انتشارات جاويدان علمي ، تهران ١٣٤٤هـ .

٥- ابراهيم فخرائي ، كيلان درجبش مشروطيت ، جاب دوم ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٥٣ هـ .

٦- ـــــــــــ ، ميرزا كوجك خان سردار جنكل ، تهران ١٣٤٤ هـ .

٧- احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران تاريخ هيجده ساله اذربيجان ، جلد دوم ، مؤسسة مطبوعات امير كبير ، تهران ١٣٣٣ هـ .

٨- ــــــــــــ ، تاريخ مشروطة ايران ، جاب سوم ، مؤسسة مطبوعات امير كبير ، تهران ١٣١٩هـ .
٩- ابو الحسن علوي ، تاريخ عصر مشروطيت ، به كوشش حبيب يغمائي ، انتشارات اساطير ، تهران ١٣٦٣ هـ .
١٠- ابو القاسم طاهري ، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس ، جلد دوم ، انتشارات انجمن اثار ملي (١٤٣) ، تهران ١٣٥٣ هـ .
١١- ادوارد براون ، تاريخ ادبيات ايران ، ترجمت رشيد ياسمي ، جاب دوم ،انتشارات امير كبير، تهران ١٣٢٩هـ.
١٢- ــــــــــــ ، تاريخ انقلاب ايران ،ترجمت احمد بزوة ، جاب اقبال ، تهران ١٣٣٨هـ.
١٣- اسماعيل امير خيزي ، قيام اذربيجان وستار خان ، انتشارات امير كبير ، تبريز ١٣٣٩هـ .
١٤- اسماعيل رائيين ، سردار بيرم خان ، مؤسسة تحقيقاتي رائيين ، تهران ١٣٣٥هـ .
١٥- ــــــــــــ ، فراموشخانة وفرامانسونري در ايران ، جلد دوم ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٥١هـ .
١٦- اصغر مهدوي ، وايرج افشار ، مجموعة اسناد و مدارك جاب نشدة در بارة سيد جمال الدين مشهور بافغاني ، مؤسسة فرانكلين ، تهران ١٣٦٣هـ .
١٧- ايرج افشار ، زندكي طوفاني ، كتابخانه برويز ، جاب دوم ، تهران ١٣٧١ هـ .
١٨- ــــــــــــ ، خاطرات ظهير الدولة ، جاب اول ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٥١هـ .
١٩- ــــــــــــ ، اوراق تازة ياب مشروطيت ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٥٩هـ.
٢٠- باقر عاقلي ، خاندان حكومتكر ايران (قاجارية – بهلوية) ، جاب اول كتابخانة ملي ايران ، تهران ١٣٨١هـ .
٢١- برويز افشاري ، صدر اعظم هاي سلسلة قاجارية ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٧٣هـ .
٢٢- تورج اتابكي ، اذربيجان در ايران معاصر ، ترجمت محمد كريم اشراق ، انتشارات طوس ، تهران ١٣٧٢هـ .

٢٣- جميل قوزانلو ، تاريخ نظامي ايران ، جلد دوم ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣١٠هـ .
٢٤- جواد هئيت، ناسيوناليسم و باستانكرائي ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٧٤هـ .
٢٥- جورج كرزن ، ايران ومسألة ايران ، ترجمت غلامعلي وحيد ، جلد اول ،جاب اقبال ، تهران ١٣٦٧هـ .
٢٦- حامد الكار ، نقش روحانيت بيشرو در جنبش مشروطيت ، ترجمت ابو القاسم سري، جابخانه رامين ، تهران ١٣٥٦ هـ .
٢٧- حسن دهقاني ، از باريس تا بهارستان باسردار اسعد بختياري ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي ، قم ١٣٨٠ هـ .
٢٨- حسن معاصر ، تاريخ استقرار مشروطيت ، جلد اول ، انتشارات ابن سينا ، تهران ١٣٥٣هـ .
٢٩- حسين ابادیان ، انديشة ديني وجبنش ضد رزي در ايران ، انتشارات اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠ هـ .
٣٠- حسين جودت ، از صدر مشروطيت تا انقلاب سفيد ،انتشارات امير كبير، تهران ١٣٤٨هـ .
٣١- حسين زريني ، روابط زابن وايران در عصر قاجار، انتشارات كوير ، تهران ١٣٧٠ هـ .
٣٢- حسين ناظم ، روس وانكليز در ايران (١٩١٤-١٩٠٠) ، ترجمت فرامرز محمد بور ، انتشارات اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠هـ .
٣٣- خان ملك ساساني ، سيا ستكران دؤره قاجار ، جلد اول ، انتشارات هدايت ، تهران ١٣٧٠هـ .
٣٤- داريوش قمري ، تحولات ناسيوناليسم در ايران (١٣٢٠ هـ – ١٣٣٢هـ) ، جاب اول ، مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠ هـ .
٣٥- رشيد كيخسروي ، دوران بي خبري ياغارت اثار فرهنكي ايرانيان ، ناشر نويسنده، تهران بي تا .
٣٦- رضا داد درويش ، دخالت انكليس وروس در ايران ، انتشارات زرين ، تهران ١٣٧٩هـ .

٣٧- زهرا شجيعي ، نمانيد كان شوراي در بيست ويك دؤره قانونكزاري ، مؤسسة مطالعات وتحقيقات اجتماعي ، تهران ١٣٤٤هـ .
٣٨- سجاد راعي كلوجه ،قاجارية – انكلستان وقرار دادهاي استعماري ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠هـ .
٣٩- سهيلا ترابي فارساني ، اسناد از مدارس دخترانه از مشروطة تا بهلوي ، جاب اول، سازمان اسناد ملي ايران ، تهران ١٣٧٨هـ .
٤٠- سيد جلال الدين مدني ، تاريخ سياسي معاصر ايران ، جلد اول ، دفتر انتشارات اسلامي تهران ١٣٧٧هـ .
٤١- سيد فريد قاسمي ، مجلة نكاري در ايران از اغاز تا صدور فرمان مشروطيت ، نشر كتابخانه مركز دانشكاه تهران ، تهران ١٣٧٢هـ .
٤٢- سيد هادي خسروشاهي ، ترجمة كزيدة از اسناد وزارت خارجه انكليز در باره سيد جمال الدين اسدابادي ، جاب اول ، كتابخانه ملي ايران ، تهران ١٣٧٩هـ.
٤٣- عباس اقبال اشتياني ، ميرزا تقي خان امير كبير ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٤٠ هـ .
٤٤- عبدالله بهرامي ، خاطرات عبدالله بهرامي ، از اغاز سلطنت ناصر الدين شاه تا اول كودتاه ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٦٣هـ .
٤٥- علي اصغر شميم ، ايران در دؤره سلطنت قاجار قرن سيزدهم ونيمة اول قرن جهاردهم ، جاب دوم ، انتشارات زرياب ، تهران ١٣٧٩هـ .
٤٦- علي اكبر ولايتي ، مقدمة فكري نهضت مشروطيت ، دفتر نشر فرهنكي اسلامي ، جاب هشتم ، تهران ١٣٨٠هـ .
٤٧- علي بينا ، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران از كلناباد تا تركمانجاي ١٣٣٤ – ١٢٤٣ جلد اول ،انتشارات امير كبير، تهران ١٣٣٣هـ.
٤٨- عليرضا اوسطي ، ايران در سه قرن كذ شته ، جلد اول ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٧٩هـ .
٤٩- علي قلي محمود بختياري ، تاريخ بختياري ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٧٦هـ .

٥٠- علي مراد فراشبندي ، تاريخجه حزب دمكرات فارس ،انتشارات فرانكلين، تهران ١٣٥٩ هـ .
٥١- عيسى صديقي ، تاريخ فرهنك ايران ، انتشارات دانشكاه تهران ، تهران ١٣٢٦هـ .
٥٢- غلام رضا عزيزي ، تاثير نازيسم بر احزاب ايران ١٣١٥ ـ١٣٢٢ ، سازمان اسناد ملي كشور ، تهران ١٣٨٠ هـ .
٥٣- فتح الله نوري اسفندياري ، رستا خيز ايران ، جاب اول ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٣٥هـ .
٥٤- فرشته منكنه نورائي ، تحقيق در افكار مالكوم خان ، جاب اول ، مؤسسة فرانكلين ، تهران ١٣٥٢هـ .
٥٥- فضلعلي اغا تبريزي ، بحران دمكراسي در مجلس اول ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٧٣ هـ .
٥٦- فريدون ادميت ، فكر ازادي ومقدمة نهضت مشروطيت ، انتشارات سخن ، تهران ١٣٤٠هـ .
٥٧- ــــــــــــــ ، انديشة ترقي وحكومت قانون عصر سبهسالار ، انتشارات خوارزمي، تهران ١٣٥١هـ .
٥٨- ــــــــــــــ ، انديشه هاميرزا فتحعلي اخو ندزادة ، انتشارات خوارزمي، ١٣٤٩هـ.
٥٩- فؤاد ابراهيم ، كذري براندیشه سياسي شيعة ولايت فقيه در عصر قاجار ، ترجمت محمد باغستاني ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠ هـ .
٦٠- كريم طاهر زادة بهزاد ، قيام اذربيجان در انقلاب مشروطيت ايران ، شركت اقبال وشركاه ، تهران ١٣٣٢هـ .
٦١- كلنل كاساكوفسكي ، خاطرات كاساكوفسكي ، ترجمت عباس قلي جالي ، انتشارات امير كبير، تهران ١٣٤٤هـ .
٦٢- مجتبى مقصودي ، تحولات سياسي واجتماعي ايران ١٣٥٧ ـ ١٣٢٠ هـ ، انتشارات اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٧٧هـ .
٦٣- محمد اسماعيل رضواني ، انقلاب مشروطيت ايران ، كتابها جيبي ، تهران ١٣٥٢هـ .

٦٤- محمد تركمان ، مجموعه أي رسائل ، اعلاميه ، مكتوبات روزنامه شهيد فضل الله نوري ، جلد اول ، فرهنكي اسا ، تهران ١٣٦٢هـ .

٦٥- محمد تقي بهار ، تاريخ مختصر احزاب سياسي ايران انقراض قاجارية ، جلد اول، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٧١هـ .

٦٦- محمد حسن اديب خراساني ، تاريخ انقلاب طوس يا بيدايش مشروطيت ايران ، انتشارات مشهد ١٣٣١هـ .

٦٧- محمد حسين خسرو بناه ، نقشه ارامنه در سوسيال دمكراسي ايران ١٩٠٥ – ١٩١١بزوهش شيراز ، تهران ١٣٨٢هـ.

٦٨- محمد علي جلونكر ، كابيتولاسيون در تاريخ ايران ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٢هـ .

٦٩- محمد علي همايون كاتوزيان ، اقتصاد سياسي ايران از مشروطيت تا بايان سلسله بهلوي ، ترجمت محمد رضا نفيسي وكامبيز عزيزي ، جاب جهارم ، نشر مركز، تهران ١٣٧٣ هـ .

٧٠- محمد رضا فشاهي ، از كاتها تا مشروطيت ، جابخانه غو تنبرغ ، تهران ١٣٥٤هـ.

٧١- محمد مهدي كاشاني ، واقعات اتفاقية در روزكار ، به كوشش منصورة اتحادية وسيروس سعد ونيان ، نشر تاريخ ايران ، تهران ١٣٦٣هـ.

٧٢- محمود طلوعي ، راز بزرك فراماسون ها وسلطنت بهلوي ، جلد دوم ، مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٧٩هـ .

٧٣- محمود فرهاد معتمدي ، تاريخ سياسي دؤره صدارت ميرزا حسيخان مشير الدولة سبهسالار الاعظم ، جابخانه خورشيد ، تهران ١٣٢٥ هـ .

٧٤- محمود محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ، جلد بنجم ، جاب جهارم ، انتشارات اقبال وشركاء ، تهران ١٣٥١هـ .

٧٥- ـــــــــــــ ، تاريخ وربط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ، جلد ششم ، جاب جهارم ، انتشارات اقبال وشركاء ، تهران ١٣٥١هـ .

٧٦- ـــــــــــــ ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس در قرن نوزدهم ، جلد هشتم ، جاب جهارم ، انتشارات اقبال وشركاء ، تهران ١٣٥١هـ .

٧٧- مرتضى مدرسي جهاردهي ، السيد جمال الدين وافكاره ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٧٩هـ .

٧٨- مريم جواهري ، نقش علما در انجمنها واحزاب دوران مشروطيت ، جاب اول ، مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠ هـ .

٧٩- مصطفى طهراني ، خاطرات سياسي واجتماعي دؤره استبداد صغير ، انتشارات اقبال ،تهران ١٣٨١هـ .

٨٠- منصورة اتحادية (نظام مافي) ، بيدايش وتحول احزاب سياسي مشروطيت ، كسترده ، تهران ١٣٦١هـ .

٨١- موسى نجفي ، مقدمة تحليلي تاريخ وتحولات سياسي ايران ، انتشارات مركز اسناد انقلاب سياسي ، تهران ١٣٧٩هـ .

٨٢- مهدي انصاري ، شيخ فضل الله نوري و مشروطيت ، انتشارات امير كبير ، تهران ١٣٧٩هـ .

٨٣- مهدي بامداد ، شرح حال رجال ايران ، جلد اول ، زوار ، تهران ١٣٥٠هـ .

٨٤- ـــــــــــ ، شرح حال رجال ايران ، جلد دوم ، زوار ، تهران ١٣٥٠هـ.

٨٥- ـــــــــــ ، شرح حال رجال ايران ، جلد سوم ، زوار ، تهران ١٣٥٠هـ.

٨٦- ـــــــــــ ، شرح حال رجال ايران ، جلد جهارم ، زوار ، تهران ١٣٥٠ هـ .

٨٧- ـــــــــــ ، شرح حال رجال ايران ، جلد بنجم ، زوار ، تهران ١٣٥٠ هـ .

٨٨- مهدي داودي ، عين الدولة ورزيم مشروطة ،انتشارات خوارزمي ، تهران ١٣٧٠هـ .

٨٩- مهدي مجتهدي ، روشنكري ها در مشروطيت ايران ، انتشارات زرين ، تهران ١٣٥٧هـ .

٩٠- ـــــــــــ ، رجال اذربيجان در عصر مشروطيت ، انتشارات زرين ، تبريز ١٣٢٧هـ.

٩١- مهدي ملكزادة ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد اول ، تهران ١٣٢٩هـ .

٩٢- ـــــــــــ ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد دوم .

٩٣- ـــــــــــ ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد جهارم .

٩٤- ـــــــــــ ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد بنجم .

٩٥- ـــــــــــ ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد ششتم .

٩٦- ـــــــــــ ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد هفتم .

٩٧- مير هاشم محدث ، عصر قاجار جند امتيازنامة ، انتشارات كتابخانه موزه مجلس شوراي اسلامي ، تهران ١٣٨٠هـ .

٩٨- ناصر تكميل همايون ، تحولات سياسي ايران در دورة قاجارية ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٧٩هـ .

٩٩- ناصر نجمي ، محمد علي شاه ومشروطيت ، انتشارات فرانكلين ، تهران ١٣٧٧هـ.

١٠٠- ناظم الاسلام كرماني ، تاريخ بيداري ايرانيان ، جلد اول ، بنياد فرهنك ، تهران ١٣٤٩هـ .

١٠١- نورالله دانشورعلوي ، تاريخ مشروطة ايران وجبش وطن برستان اصفهان وبختياري ، انتشارات خوارزمي ، تهران ١٣٣٥هـ .

١٠٢- وحيد مازندراني ، قرار داد ١٩٠٧ بين روس وانكليز در مورد ايران ، انتشارات فرانكلين تهران ١٣٤٨هـ .

١٠٣-هاشم محيط بافي ، مقدمات مشروطيت ، تحقيق مجيد تفرشي وجواد جانفدا ، انتشارات انقلاب اسلامي ، تهران ، ١٣٦٣هـ .

١٠٤- هما رضواني ، لوائح اقا شيخ فضل الله نوري ، نشر تاريخ ايران ، تهران ١٣٦٣هـ .

١٠٥- يحيى فوزي تويسركاني ، مذهب ومدرنيزاسيون در ايران ، انتشارات مركز اسناد انقلاب اسلامي ، تهران ١٣٨٠هـ .

خامسا : الكتب باللغة العربية

١- إبراهيم الدسوقي شتا ، الثورة الإيرانية الجذور – الأيدلوجية ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٧٩ .

٢- احمد أمين ، فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ .

٣- ـــــــــــــ ، زعماء الإصلاح الحديث ، دار الفكر ، بيروت د.ت .

٤- احمد عبد الكريم ، الصحافة الإيرانية ، منشورات وزارة الإعلام ، مديرية الإعلام العامة ، بغداد ١٩٧٢ .

٥- احمد مهابة ، إيران بين التاج والعمامة ، الطبعة الأولى ، دار الحرية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٩ .

٦-اسعد محمد زيدان الجواري ، سياسة إيران الخارجية في عهد احمد شاه ١٩٠٩ – ١٩٢٥، مركز الدراسات الإيرانية ، جامعة البصرة ،البصرة .١٩٩٠

٧-جلال الطالباني ، كردستان والحركة القومية الكردية ، الطبعة الثانية ، دار الطليعة ، بيروت .١٩٧١

٨- حربي محمد ، تطور الحركة الوطنية في إيران ، الطبعة الأولى ، دار الثورة ، بغداد ١٩٧٢ .

٩- حسن محمد جوهر ، محمد مرسي أبو الليل ، إيران ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦١.

١٠- زكي الصراف ، المقالة الصحيفة في الأدب الفارسي المعاصر ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٧٨ .

١١- شاهين مكاريوس ، تاريخ إيران ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ١٨٩٨ .

١٢- طلال مجذوب ، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ١٩٠٦-١٩٧٩ ، الطبعة الأولى ، دار ابن رشد ، بيروت ١٩٨٠ .

١٣- عبد الحميد متولي ، القانون الدستوري والأنظمة السياسية ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٤ .

١٤- عبد السلام عبد العزيز فهمي ، تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين ، مطبعة الجيزة القاهرة .١٩٧٣

١٥- عبد الرزاق الحسني ، البابيون والبهائيون ، الطبعة الخامسة ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٤ .

١٦- عبد الرحيم محمد علي ، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني ، الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ١٩٧٢ .

١٧- عبد الله فياض ، مشاهداتي في إيران ، مطبعة الإيمان ، بغداد ١٩٦٧ .

١٨- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الثالث ، مطبعة الشعب بغداد ١٩٧٢ .

١٩- فؤاد العطار ، النظم السياسية والقانون الدستوري ، دار النهضة ، القاهرة ١٩٧٤ .

٢٠-فوزي خلف شويل ، إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى ، مركز دراسات الخليج العربي ، شعبة الدراسات الإيرانية (٨١)، البصرة ١٩٨٥ .

٢١- كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، بغداد ١٩٨٥ .

٢٢- محمد علي آل ياسين ، القانون الدستوري والنظم السياسية ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ١٩٦٤ .
٢٣- محمد عمارة ، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني – دراسة وتحقيق- ، بيروت ، ١٩٧٣ .
٢٤- محمد غنيمي هلال ، مختارات من الشعر الفارسي ، راجع الترجمة احمد رامي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .
٢٥- محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣ .
٢٦-محمد كامل محمد عبد الرحمن ، سياسة إيران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١- ١٩٤١ ، مركز الدراسات الإيرانية ، جامعة البصرة ،البصرة .١٩٨٨
٢٧- محمد وصفي بو مغلي ، إيران دراسة عامة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، شعبة الدراسات الفارسية (٢٤) ، البصرة ١٩٨٥ .
٢٨- ــــــــــــــ ، الأحزاب والتجمعات السياسية في إيران ١٩٠٥-١٩٨١ ، الطبعة الثانية ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨٣ .
٢٩- محمود أبو ريّة ، جمال الدين الأفغاني ١٨٣٨م – ١٨٩٧م ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦١.
٣٠- نوري عبد الحميد خليل ، التأريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ١٩٢٥- ١٩٥٢، الطبعة الأولى ، د.م ، بغداد .١٩٨٠
٣١- وداد سكاكيني ، قاسم أمين نوابغ الفكر العربي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٥ .

سادسا : الكتب المعربة – المترجمة –

١- اروند إبراهيميان ، إيران بين ثورتين ، العدد٢٢ ، المجلد الأول ، مطبعة جامعة برنستون ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ١٩٨٣ .
٢- ادوار جرانفيل براون ، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربي ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٤ .
٣- ادوار سابلييه ، إيران مستودع البارود ، ترجمة عز الدين محمود السراج ، دائرة الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٣م .

٤- إسماعيل رائيين ، الماسونية في إيران ، المجلد الأول ، القسم الأول ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ١٩٨٢ .
٥- إيران (١٩٠٠ – ١٩٨٠) مجموعة مقالات مترجمة ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ١٩٨٠ .
٦- ب . ج ، جانوروف ، لينين والتحرر الوطني في الشرق ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٨.
٧- ج .ج . لوريمر، دليل الخليج – القسم التاريخي ، الجزء الخامس ، ترجمة مكتب أمير قطر ، د.ت .
٨- جورج كيرك ، موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام الى الوقت الحاضر ، ترجمة عمر الاسكندري – مراجعة سليم سليم حسن ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ١٩٥٧ .
٩- دونالدولبر ، ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين وابراهيم امين الشواربي ، القاهرة ١٩٥٨ .
١٠- رامين جاها نبيلغو ، مأزق الفرد في الشرق الاوسط ، ترجمة حازم صاغية ، الطبعة الاولى ، دار الساقي ، لندن ٢٠٠١ .
١١- روز لويس كريفس ، المعاهدة الانكليزية – الروسية بعض وجوهها ومدى تاثيرها على فارس ترجمة الدكتور محمد وصفي بو مغلي ، البصرة ١٩٨١.
١٢- ز .ي . هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، نقله الى العربية مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٣.
١٣- ستروييف ، جغرافية الاتحاد السوفياتي ، دار التقدم ، موسكو د.ت .
١٤- ستيفن همسلي لونكريك ، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠ ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، منشورات الفجر ، بغداد ١٩٨٨ .
١٥- سنشيا هلمز ، زوجات السفراء في ايران ، ترجمة سامي جابر ، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٦ .
١٦- علي رزم ارا ، جغرافية ايران السياسية ، ترجمه مركز البحوث والمعلومات ، سلسلة الكتب المترجمة (١٧٧) ، بغداد د. ت .
١٧- فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الادنى ، ترجمة انيس فريحه ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ .

١٨- كارل بروكمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية نبيه امين فارس – منير بعلبكي الطبعة العاشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت .١٩٨٤

١٩- لينين ، الاعمال الكاملة ، المجلد ٣٤ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٦٩ .

٢٠- محمد رضا بهلوي ، مذكرات شاه ايران المخلوع محمد رضا بهلوي ، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨٠ .

٢١-هربرت فيشر ، تاريخ اوربا الحديث ١٧٨٩ / ١٩٥٠ ، تعريب احمد نجيب هاشم وديع الضبع ، الطبعة السابعة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة١٩٨٤ .

سابعا : الكتب باللغة الإنكليزية

1-Abraham Yeselson , United States – Persian Diplomatic Relation 1883-1921 ,Rutgers University , 1959 .

2- Clive Irving , crossroad of civilization , London , 1979.

3-Hafez Farman Farmayan , the forces of Modernization in nineteen century Iran , London , 1972 .

4-Malcolm E.Yapp ,1900-1921: The last years of the Qajar Dynasty ((Twenties century Iran)) , London , 1977.

5-M.Chehregani , Iran revolution , center of international studies , Washington , August 2002 .

6- Nikki R.Keddie , Roots of revolution , Los Angeles 1981 .

7-Richard W. Cotton , Nationalism in Iran , University of Pittsburgh , 1964 .

8-Robert A. Mc Daniel , the Shuster Misson and the Persian Constitutional revolution , Minnesota , 1974 .

9-Zafar Bangash , the Tabacco and Constitutional up risings , Maslimdia , August 1999 .

ثامناً : البحوث باللغة الفارسية

١- احمد سيف ، اقتصاد نساجي در ايران ، مجلة روشنكري ، تهران ، شمارة ٣٩٦ ، سال ١٣٨٠هـ .

٢- ازيتا لقائي ، روشنفكران ومشروطيت ، مجله فصلنامة مركز مطالعات تاريخ معاصر ايران ، شمارة بيستم ، سال ١٣٨٠هـ .

٣- ـــــــــــ ، باز تاب قرار داد ١٩٠٧ در مطبوعات فارسي ، مجلة فصلنامة مركزمطالعات تاريخ معاصر ايران ، شماره بيست ونه ، سال هشتم، بهار ١٣٨٣هـ .

٤- اسماعيل شاهرودي ، نظري به سير تاريخي روزنامه ها مجلات هنري ايران ، مجله ((علوم اسلامية)) ، يونيورستي عليكره ، جلد ٣ ، نمبر ٢ ، ديسمبر١٩٦٢ .

٥- اقابابك امير خسروي ، مسئله ملي ، مجله ايران امروز ، تهران ، شماره ٤٥١ ، سال دوازدهم ، ١٣٧٠ هـ .

٦- تقي زادة ، تاريخ انقلاب ايران ، مجله يغما ، تهران ، شماره ١٥٧ ، سال ١٣٤٠هـ .

٧- جلال فرهمند ، حافظ الاصوات ، مجله بهارستان ، تهران ، شماره جهاردة ، سال ١٣٨٠هـ .

٨- ـــــــــــ ، ايدئولوزي ظل السلطان ، مجله بهارستان ، تهران ، شماره سي ويك، ١٣٨٠ هـ .

٩- سيد حسن نصر ، ايران در عصر مشروطيت ، مجله همشهري ، تهران ، شماره ٥٥، سال يازده ، رداد ١٣٨٣هـ .

١٠- سيد مصطفى تقوي ، علما ومشروطة ، مجله فصلنامه مركز مطالعات تاريخ معاصر ايران ، شماره هفتم ، سال ١٣٨٠هـ .

١١- شمس دارنيا ، عيارات اذربيجان در دوران مشروطيت ، ويزه نامة ماهانه سياسي اجتماعي فرهنكي ، تبريز ، ١٣٨٢هـ .

١٢- عزت السادات ميرخاني ، اجتهاد وتوسعة در مسائل زنان ، مجله همشري ، تهران، شمارة ١٤٠ ، سال ١٣٨١ .

١٣-عطا ايتي ، مقدمات خلع قاجارية وتاجكذاري رضا خان بهلوي ، مجلة فصلنامة مركز مطالعات تاريخ معاصر ايران ، شمارة بيست ونه ، سال هشتم ، ١٣٨٣هـ .

١٤- علي اصغر حقدار ، برخي ملاحظات تازه در مورد به توب بستن مجلس ، مجله ادبيات شمارة يازدة ، دانشكاه اصفهان ، ١٣٧٦هـ .

١٥- ـــــــــــــــ ، فرهنك ايران ومدرنيته ، مجلة ادبيات ، شمارة جهاردة ، دانشكاه اصفهان ، ١٣٧٦ هـ .
١٦- علي اصغر حلبي ، تاثير سيد جمال الدين بر نهضتهاي ازاد يخواهانه ، مجله بيام شرق ، تهران ، شماره ٤٥ ، سال ١٣٨٠هـ .

١٧- فاطمة معزي ، صمصام السلطنة ، مجلة مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران ، شماره بيست وجهار ، سال ١٣٨١ هـ .
١٨- ـــــــــــــــ ، شابسال (اديب السلطان) ، مجلة فصلنامه مركز مطالعات تاريخ معاصر ايران ، شماره نهم ، سال ١٣٨٠هـ .
١٩- فريدون كلستاني ، راههاي ارتباطات ، مجلة همشهري ، تهران ، شمارة ٦١ ، سال ١٣٨٠هـ .
٢٠- كروه نويسندكان ، اذربيجان دؤره انقلاب مشروطيت ، مجلة نور اور ، اذربيجان ، ١٣٨١هـ .
٢١- لقمان دهقان نيري ، حكومت نير الدولة در اصفهان ، فصلنامه فرهنك اصفهان ، سال ١٣٧٩ هـ.
٢٢- محسن حيدريان ، مدرنيته ايران ، مجلة ايران امروز ، تهران ، شماره ٧١ ، سال ١٣٧٩هـ .
٢٣- موسى حقاني ، انجمنها در دوران مشروطيت ، مجلة فصلنامه مركز مطالعات تاريخ معاصر ايران ، شماره دوم ، سال ١٣٧٦ هـ .
٢٤ملك الشعراء بهار ، نوابغ تاريخ ايران ، مجلة ميهن ، تهران ، شمارة ٧٧ ، مرداد ١٣٨٣هـ .
٢٥- نيلوفر كسري ، نقش زنان در مبارزات اذربيجان در عصر مشروطيت ، مجلة مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران ، شمارة نوزدهم ، سال ١٣٨٠هـ.

تاسعاً : البحوث باللغة العربية

١- الدستور الفارسي تاريخه ، مجلة الهلال ، القاهرة ، الجزء السابع ، السنة السابعة ، اكتوبر ١٨٩٨ / سبتمبر ١٨٩٩ .

٢- امال السبكي ، تاريخ ايران السياسي بين ثورتين (١٩٠٦ – ١٩٧٩) ، مجلة عطاء المعرفة ، الكويت ، السلسلة ٢٥٠ ، ١٩٩٩ .

٣-ثروة شاه ايران ، مجلة المقتطف ، القاهرة ، الجزء السادس ، السنة العشرين ، يوليو ١٨٩٦ .

٤- رضوان السيد ، الدين والسياسة في ايران ، جريدة الحياة ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

٥- سمير عبد الوهاب عبد الكريم ، اثر العوامل الخارجية في الاتجاهات السياسية والعسكرية في ايران ، مجلة كلية المعلمين ، العدد الثالث والعشرين ، سنه ٢٠٠١ .

٦- صالح حسين الجبوري ، اثر افكار عصر الاستنارة الاوربية في حركة الاصلاح والثورة الدستورية في الدولة العثمانية ، بحث غير منشور ، كلية التربية، جامعة تكريت ٢٠٠٠ .

٧- طالب محيبس حسن الوائلي ، النائيني مفخرة الفكر السياسي الاسلامي ، مجلة علوم انسانية ، العدد السابع ، اذار ٢٠٠٤ .

٨- طاهر البكاء ، بعض من ملامح الثورة الدستورية ووقائعها من منظور المصادر العربية ، مجله كلية المعلمين ، العدد الخامس ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٩٦ .

٩- ــــــــــــ ، من تاريخ الحياة البرلمانية في ايران من الثورة الدستورية حتى سقوط رضا شاه ، مجله كلية المعلمين ، العدد السادس والعشرين ، بغداد ٢٠٠١.

١٠- عبد علي الخفاف ، تحديد الخصائص السكانية لهرم السكان في ايران ، مجلة دراسات ايرانية ، البصرة ، المجلد الاول ، العدد الاول ، ١٩٨٧ .

١١- عثمان امين ، عبقرية جمال الدين الافغاني ، مجلة العربي ، الكويت ، العدد ٧٩ ، حزيران ١٩٦٥ .

١٢-علي اكبر سياسي ، ايران في القرن التاسع عشر ، ترجمة الاستاذ نجيب العقيقي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، العدد الرابع عشر ، ١٩٥٩ .

١٣-علي الوردي ، المشروطية الايرانية واثرها على العراق ، مجلة الموسم ، بيروت ، العدد الخامس ، ١٤١٠ هـ .
١٤- فوزية صابر محمد ، دور المثقفين في الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥ – ١٩١١، مجلة كلية المعلمين ، العدد السادس ، السنة الثانية ، ١٩٩٦ .
١٥- ما شاء الله شمس الواعظين ، العلاقات العربية الايرانية الاتجاهات الراهنة وافاق المستقبل ، بحوث ندوة مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٦.
١٦- محمد جمال باروت ، الكواكبي والنائييني جوانب غير مكتشفة ، مجلة اخبار الشرق، دمشق ، العدد الرابع ، ٢٠٠٢ .
١٧- محمد وصفي بو مغلي ، الحروب الايرانية في القرن التاسع عشر نتائجها ، مجلة دراسات ايرانية مركز الدراسات الايرانية ، جامعة البصرة ، المجلد الاول ، العدد الاول ، ١٩٨٧ .
١٨- مظفر الدين شاه ، مجلة الهلال ، القاهرة ، الجزء الخامس ، السنة الخامسة عشر ، شباط ١٩٠٧ .
١٩- معصومة ابتكار ، العلاقات العربية الايرانية ، بحوث ندوة مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٦ .
٢٠- مملكة ايران بين روسيا وانكلتره ، مجلة الهلال ، القاهرة الجزء الخامس ، السنة العشرين ، شباط ١٩١٢ .
٢١- نوري عبد البخيت ، تاريخ النفوذ الامريكي في ايران ، مجلة الخليج العربي ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، المجلد الخامس عشر ، العدد الاول ، ١٩٨٣.

عاشراً : البحوث باللغة الإنكليزية

1-Ann Lambton , Persian Society under the Qajars , Journal of the Royal central Asian Society , Vol 48 , 1961 .
2-Asghar Fathi , The role of the “ Rebels” in the constitution Movement in Iran , International Journal of Middle East Studies , Vol. 7, No 1 , 1979 .

3- Bernard Temple , the place of Persia in world polities proceeding of the central Asian Society , May 1910 .

4- Ervand Abrahamian , The causes of the constitutional revolution in Iran , International Journal of Middle East studies , Vol. 1, No 3, August 1979.

5- I.Klein British Intervention in the Persia revolution 1905 – 1909 , The Historical Journal, London, Vol. xv , No 4, 1972 .

6-Masoud Kazemzadeh , The constitution of 1906 , Iranian community , Vol. 2 , No 21 , September 2001.

7-Negin Nabaui , Iran revolution , Iranian studies , Vol 32 , No 3 , Summer 1999.

8- Nikke R.Keddie , the Iranian power structure and social change 1800 – 1969 , International Journal of Middle East studies , Vol. 2 , No 1 , 1979 .

9-_________ , Iranian polities 1900 – 1905 , Back round of Revolution II , Journal of Middle East studies , Vol 5 , No2 , May 1969.

10- Shireen Mahdavi , Wemen and the Shii Uiama in Iran , International Journal of Middle East studies , Vol.5 , No 2 , May 1969.

أحد عشر : الصحف والمجلات :

١- روزنامة ايران نو، (تهران) .

٢-روزنامة حبل المتين ، (تهران) .

٣- روزنامة صوراسرافيل ، (تهران) .

٤- روزنامة قانون ، (لندن) .

٥- روزنامة مساوات ، (تهران) .

٦- مجلة اسلام مستقل ، (هرمزكان) .

٧- مجلة كفتكو ، (تهران) .

٨- مجلة يغما ، (تهران).
٩- مجلة همشهري ، (تهران).

اثنا عشر : مواقع الانترنيت

١- جعفر عبد الرزاق ، جمال الدين الافغاني دراسة في مرتكزاته الاصلاحية ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.google.com/search

٢- سعيد عبود ، العلم والاسطورة منهجان للتغير الاجتماعي ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.google.com/communismlibertarian

٣- سليم الحسني ، المرجعية الدينية دراسة في تحولات ما قبل الستينات ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.iichs.org/makalat

٤- شفيق شقير ، نظرية ولاية الفقيه وتداعياتها في الفكر السياسي الإيراني ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.Albayant.org/fekir

٥- عبد الصمد كامبخش ، الحركة العمالية والشيوعية في ايران ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.marxist.com/iran-chap3

٦- عبد المنعم حسن ، جذور الحركة الاسلامية لمسلمي الاتحاد السوفياتي المنحل ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.darislam.com/home/alfekr/data

٧- كمال مظهر احمد ، الصحافة الكردية ، مجله سردم العربي ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.sardam.net/sardamarabi

٨- مرتضى اسعد ، تشييع درجهان امروز ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع:

www.imamalinet.net/per/pscd

٩- ميكادونامه ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.persian-cuctur.com/articles/mikadu

١٠- يوسف عزيزي ، اليسار الايراني المنشأ والافاق ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.Ahwazstudies.net

١١- يوسف هادي ، منهج التحريض السياسي عند الافغاني ، شبكة الاتصالات الدولية (الانترنيت) الموقع :

www.google.com/search

12- History of Iran ((Constitutional Revolution))

شبكة الاتصالات الدولية ((الانترنيت)) الموقع :

www.google.com/iran

الملاحق

ملحق رقم (١)

فرمان مشروطيت *

((جناب الاشرف رئيس الوزراء ، حيث ان حضرة البارئ تعالى جل وشأنه قد اودع في كفنا ذات الكفاية ازمة الامور ورقي وسعادة ممالك ايران المحروسة وجعل شخصنا الهمايوني حافظا لحقوق اهالي ايران قاطبة ، وحارس لامن رعايانا المخلصين ، لذا في هذا الموقع الذي ستجري فيه الاصلاحات اللازمة لدوائر الدولة ومن اجل رفاهية وراحة كافة اهالي ايران ، ومن اجل تثبيت اسس الحكومة فـأننا قد عزمنا على ان يشكل وينظم مجلس شورى وطني من منتخبين عن الامراء القاجاريين والعلماء والاعيان والملاكين والتجار والحرفيين ، في دار الخلافة طهران بحيث يشارك في المشاورة والدراسة اللازمة في شؤون الحكومة والدولة والمصلحة العامة ويساعد هيئة الوزراء المساعدة الضرورية حول الاصلاحات التي ستكون لخير وسعادة ايران ، ويعرض على شخص الدولة الاول اراءه بكل اطمئنان ، لما فيه خير الامة والحكومة والمصلحة العامة ، وحسب ما تقتضيه متطلبات اهالي ايران كافة ، للترشيح ومن ثم بالمصادقة الهمايونية ، وتوضع موضع التنفيذ ، وبديهي انه بموجب هذا المنشور المبارك ، فأن نظام واسس هذا المجلس ووسائل تشكيله سوف ترتب وتهيء منذ هذا التاريخ حسب رأي الاعضاء المنتخبين ، لتقترن بموافقتنا الملكية ، وبعون الله تعالى فأن مجلس الشورى المذكور الذي هو حارس لعدلنا ، سوف يفتتح ويبدأ بتنفيذ الشرع المقدس ، ويجري الاصلاحات اللازمة لهذه المملكة ، تقرر ايضا نشر نص هذا المرسوم المبارك لكي يطلع الاهالي كافة على حسن نوايانا نحو رقي الامة والدولة الايرانية وليظلوا مرفهي الحال ، وينصرفوا الى الدعاء بدوام هذه الدولة ، وبعدم زوال هذه النعمة))

قصر صاحبقرانية في ١٤ جمادي الثانية ١٣٢٤ هـ . ق

المصدر : احمد كسروي ، تاريخ مشروطة ايران ، المصدر السابق، ص١١٩

الملحق رقم (٢)

قصيدة الاستبداد التي نظم أبياتها الشاعر محمد تقي بهار ((ملك الشعراء)) مخاطبا بها الشاه محمد علي *.

أيها الملك !! أي هدف لك وراء الاستبداد
ولن تشهد من ورائه سوى الأدبار
فكن جوادا في أمر الدستور ، لتصير المطاع
إنما شرف المرء بجوده ، وكرامته في عبادته وسجوده
فأذا أعوزه هذان الأمران ، فالعدم أولى به من الوجود
أيها الملك لا تجعل الجور مهنتك ، ولا تنكث بالعهد
فيأخذ عقاب الله بتلابيبك
وتلقى حوادث دولات الدهر بالتراب فوق رأسك
ألا ترى إن ثرى مصر السعيد ظل هو
ثرى مصر ولكنه القي على رأس فرعون والجنود
ايها الملك من صلفك وجورك تحترق ايران
والوطن اليوم قادر على مجازاتك
الا فلتمر باقليم تبريز ومقام شهدائها
واستمع الى قصتها المحرقة الفؤاد وخدش بأظفار غمك القلب
ليس الملك سليم القلب وقد أضحت الحقوق هباء مهدرة
ألا أيتها الأمة الجريحة في هذه الآونة . انشدي مخرجا آخر
لا تضعي قدم الأمل على باب ملك جلف
كوكب الدستور يطل برأسه من فلك الكمال
وقد انتهى ليل البحر وتنفس صبح الوصال

---

* محمد غنيمي هلال ، مختارات من الشعر الفارسي ، راجع الترجمة احمد رامي . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص٤٧١ _ ٤٧٥

University of Tikrit
College of Education
Department of History

The Role of Educated and Regenerators in The Iranian Constitutional Revolution 1905 –- 1911

A thesis

Submitted to the Council of College of Education, University of Tikrit, in Partial Fulfillment of the Requirements of the Degree of M.A. in Modern History

By
Kahtan. J. Asa'ad Al – Tikrity

Supervised by
Prof Dr. Ibraheem S. Al-Baidhany

2005 A.D. 1426 A.H.

Abstract

Iran has been attracting the attention of politicians for its strategic location, its deep-rooted civilizational history and variety of its natural *resources and its various nationalities. It became the concentration point of historians. With regard to its historical aspect, a lot was mentioned, but with regard to the civilizational and historical conflict, that marked Iran-Iraq relations; a little was written about it.*

Iran importance increases throughout time, especially for Iraqi historians and writers, whereas they have began writing about Iran in all aspects, particularly its modern history. Those specialized in Iran history increases more and more in number throughout time, whereas a lot of researchers submitted theses and dissertations which enriched history library with modern & contemporary history of Iran.

The constitutional revolution (1905 -– 1911) was one of the most important events in Iran and the region history as whole, as well as it was the most important episode happened in early of 20th century. In order to study the importance of this episode, we should study the role of those, who were behind this revolution, they were a group of educated and renewing clergymen with support of merchants bazaar's men. This group had led the classes of Iranian people, each class revolted from its location, whereas the educators were advocating the western liberal concepts through their statements, paper and symposiums. As for the clergymen, they had an influence in leading the people through their religions instructions (Fatwas), which are considered as a religious duty, should be done.

This thesis consisted of four chapters, the first chapter dealt with the public statues of Iran from a political, economic and social aspect in the 19th century, as well it dealt with the issue of the Russian and British authority in Iran affairs.

As for the second chapter, it is dedicated to study the internal and external factors of revolution outbreak, then it passes through till the third chapter, whereas the revolution triumphed and the phase of forming the national council (parliament) had began, which adapted the task of preparing and approving the constitution, which the revolution struggled for achieving it, to serve the Iranian people aims of wishing to topple the Qajhari autocratic regime, which kept on waiting the chances to crack down and abort the revolution . Mohammed Ali Shah with support of the Russian authority and backward powers attacked the national council with bombs, arrested and executed the parliament members and disabled the constitution.

I have concluded the thesis with the fourth chapter, whereas it reviewed the revolution outbreak, especially in Tabreez and Asfahan regions, where the tribes and revolutionists advanced towards Tehran and freed the regions from the Shah tyranny, who fled away out of the country with the help of Russian. This chapter also dealt with how the revolutionists reopened the national council, readopting the constitution and forming a new national government.

In spite of that, the foreign powers especially Russia and Britain in cooperation with the local opponents tried to crack down the revolution again, that threatened to occupy all the Iranian territories. The deterioration of the conditions in Iran and government failure in improving the economic and social conditions in the country made the revolution situation weak, a matter that led to its failure against the Russian pressure, this made it easy for the autocratic power to come to power for ruling Iran again, where the Qajar remained in the power till 1925, when Ridha Shah Al-Bahlawi assumed the power.

The revolution brightness and constitution concepts remained in the conscience and feeling of Iranian, who didn't submit to the autocracy and remained in state of continuing revolution.